الثورات الشعبية ضدّ القوى الاستعماريّة:

دراسة استكشافيّة عن
دور العلماء المسلمين المليباريين كما تنعكس فى الأعمال الأدبية العربية المختارة
(نسخة منقحة)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

قدمتها:

سكينة م. ك.

وأشرف عليها:

الدكتور س. ب. أبو بكر

رئيس قسم الماجيستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها (سابقا)

كلية فاروق (حكم ذاتي) – كاليكوت

الاشراف المشترك :الدكتور .ساجد .اي .ك

أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربيّة ، كلّية فاروق (حكم ذاتي)

جامعة كاليكوت

كيرالا - الهند

٢٠١٩

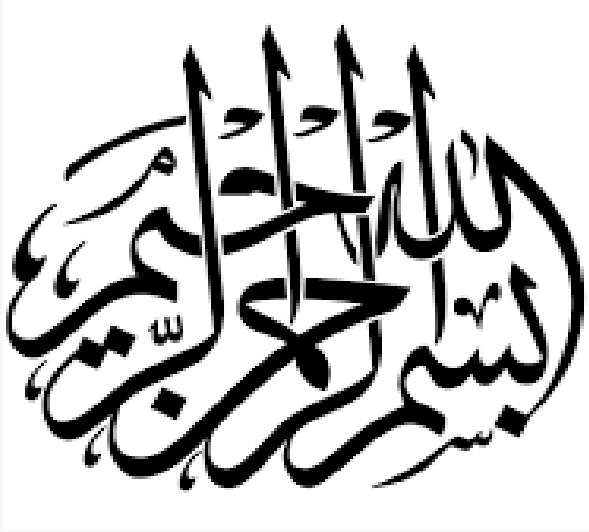
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

العنوان	صحفة
المقدمة.....	١ -١٥
الباب الأوّل : قدوم المسلمين إلى الهند	١٦-- ٥٦
الفصل الأوّل : العلاقة التجارية بين الهند والعرب	١٧ -٣٣
الفصل الثانى : الرحّالة العرب وبداية العلاقة مع الهند.....	٣٤-٤٣
الفصل الثالث : الإسلام فى كيرلا	٤٤ -٥٦
الباب الثانى : قدوم البرتغاليين إلى كيرلا والثورات الشعبية المترتّبة.....	٥٧-١٠٢
الفصل الأوّل : قدوم التجار البرتغاليين وعلاقاتهم بملوك مليبار.....	.٨٩-٨٠
الفصل الثاني : جرائم البرتغاليين وفضائحهم.....	٨١-٨٧
الفصل الثالث : الثورات الشعبيّة ضدّ البرتغاليين	٨٨-١٠٢
الباب الثالث : الإنجليزيون في مليبار والثورات ضدّهم ١٠٣- ١٤٠	
الفصل الأوّل : قدوم الإنجليزيين إلى مليبار	١٠٤-١٠٩

الفصل الثانى :الثورات الشعبية ضدّهم في القرن الثامن عشر ١١٠-١١٩

الفصل الثالث : الثورات الشعبية ضدّهم في القرن التاسع عشر ..... ١٢٠ -١٣٢

الفصل الرابع: الثورات الشعبية ضدّهم في القرن العشرين ١٣٣-١٤٠

الباب الرابع: دور علماء المسلمين المليباريين فى الثورات الشعبية ضد البرتغاليين.... ١٤١ - ١٨١

الفصل الأوّل : زين الدين المخدوم الأوّل والمكافحات الشعبيّة..... ١٤٤-١٥٥

الفصل الثانى : زين الدين المخدوم الثانى والمكافحات الشعبيّة..... ١٥٦-١٦٢

الفصل الثانى : القاضى محمّد بن عبد العزيز الكالكوتي والمكافحات الشعبيّة ١٦٣-١٨١

الباب الخامس : دور العلماء المسلمين المليباريين فى الثورات الشعبية ضد الإنجليزيين.١٨٢-٢٥١

الفصل الأول : السيّد علوى المنفرمي والثورات الشعبية ضد الإنجليزيين..... ١٨٣-٢٠٢

الفصل الثانى : فضل بوكويا تنغّل و الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين ٢٠٣-٢٢٦

الفصل الثالث : آمنمّانتكتّ فريكتّي مسليار والثورة الشعبية ضدّ الإنجليزيين. ٢٢٧-٢٣٨

نتائج البحث:..... ٢٥٢-٢٥٨

الخاتمة ٢٥٩-٢٦٠

المصادر والمراجع..... ٢٦١-٢٧٣

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الممدوحين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد،

فهذه الأطروحة وعنوانها **"الثورات الشعبية ضدّ القوى الاستعماريّة: دراسة استكشافيّة عن دور العلماء المسلمين المليباريين كما تنعكس فى الأعمال الأدبية العربية المختارة "** ، أعدتها الباحثة لتقديمها إلى قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة والآداب العربية بكلية فاروق . كيرالا، التابعة لجامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها.

تحليل العنوان

الثورة جمعها الثورات هي عبارة عن ردّة فعل لفظيّة أو حركيّة يقوم بها الإنسان لإيجاد تغيير في نظام حياته نتيجة تعرّضه لأيّ نوع من أنواع الظلم والاظطهاد الذي يسلب بدوره جزءا من حقوقه الإنسانيّة ، سواءا كانت حقوقا فرديّة أم جماعيّة اي الثورة هي محاولة لإيجاد تغيير أساسي في الأوضاع السّياسية والاجتماعيّة الراهنة التي يقوم بها الشعب في دولة ما.

المقصود من "الشّعب " الجمهور اي العامّة من النّاس الّذين يسكنون جماعة كبيرة في أراضي محدّدة ويخضعون لنظام إجتماعي واحد تجمعها عادات وتقاليد

متباينة ويتكلّمون لسانا واحدا. أمّا كلمة الشعبية فالمفهوم منها كلّ ما يتّصل بالشعب من الأمور المختلفة .

كلمة "الاستعمارية "تدلّ على السيطرة التي تمارسها دولة من الدول أو جماعة من النّاس على شعب من الشعوب والتحكم بمصيره واستغلال خيراته لصالح البلد المستعمر. أمّا "القوى الاستعماريّة " فهي الدول القويّة التي تسيطر على دولة ضعيفة وتبسط نفودها لاستغلال ما فيها من الخيرات في المجالات الاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة .

أمّا المراد بـ "العلماء المسلمين المليباريين" فهم العلماء المسلمون الّذين عاشوا في منطقة مليبار التي تقع بين الهضاب الغربيّة (Western Ghats) والبحر العربي في جنوب الهند . تقع الآن وسط ولاية كيرلا . وتشمل الأقاليم الأربعة : ملابرم وكاليكوت وترشور وبالاكّاد .

ولو أجريت دراسات لا تحصى حول الثورات الشعبيّة ضدّ الاستعمار والمستعمرين ودور المسلمين فيها في لغات مختلفة، لاتوجد دراسة مكثّفة هادفة عن دور العلماء المسلمين وآثارهم الأدبيّة . عندما نتتبّع صفحات الكتب التاريخيّة في اللغات المختلفة يمكن أن نرى أخبارا متناثرة هنا وهناك عن العلماء الّذين شاركوا مباشرا أو غير مباشرا في معظم هذه الثورات ،الكبيرة منها والصغيرة . وفي الحقيقة انّ هذه الأخبار السطحيّة غير كافية لتسليط الضّوء على الخدمات الجليلة التي قدّمها هؤلاء العلماء الكبار مستنبطين التعاليم الإسلاميّة في سبيل تحرير أراضيهم من

براثن المستعمرين المستبدّين وانقاذ سكّانها - معظمهم من المسلمين المزارعين - من اضطهاد ملّاك الأرض الأغنياء وظلمهم الشديد.

أمّا الباحثة التي أدركت هذه الحقيقة فقد أرادت لإجراء بعض الدراسات الأوّلية في هذا الموضوع فوجدته يستحق دراسة مستقلّة للإتيان بكلّ ما يتعلّق بهؤلاء العلماء الكرام والأئمّة الأفاضل الّذين لهم قدم سبق في كافّة التطوّرات ، السّياسيّة منها وغير السّياسية ،التى شاهدتها هذه الديار ولاسيّما في عصور الاستعمار . وبالإستشارة مع مشرف البحث والعلماء المتضلّعين في هذا المجال اختارت هذا الموضوع لإجراء الدراسات المكثّفة وإيجاد ما هو الجديد من الحقائق الكامنة في تاريخ هذه الدّيار. أمّا بالنّسبة الى هذه العصور التي كثيرا ما تهمل فيها الحقائق التاريخيّة ولاسيّما تلك الّتي تتعلّق ببعض النّاس وخدماتهم الجليلة في حركة الاستقلال ، فانّ هذه الدّراسة لمن الدّراسات اللازمة التي ينبغي ان يقوم بها الباحثون لإحياء ذكرياتهم في صفحات الكتب التاريخيّة وإبقاء ذكريات تلك التطوّرات المختلفة في أذهان الأجيال القادمة .

انطلاقا من هذه الرغبة الشديدة والنّية الخالصة عزمت الباحثة لاختيار هذا الموضوع وبدأت عملها بجمع القدر الممكن من المصادر والمراجع التي سهّلت لها الطرق الى الأمام . وبالتالي قامت بتحديد أسماء العلماء الّذين لهم أدوار ملحوظة في التطوّرات المذكورة وبتبويبهم حسب العصور الّتي عاشوا فيها . وبذكر الأخبار عن ظهور الإسلام في ديار مليبار وقدوم البرتغاليين والإنجليزيين بعدهم والثورات

الشعبية العديدة الّتي نشبت ضدّهم في الأبواب الثّلاثة الأولى ، تركّز الباحثة في البابين التاليين اهتمامها على اجراء دراسة مستفيضة حول الأئمّة والعلماء الّذين قاموا حتي بتضحية أرواحهم في سبيل الوطن. وبالإضافة الى تصفّح أوراق الكتب التاريخيّة المتوفّرة لدى الجهات المختلفة كانت للباحثة أن تقوم باجراء بعض المناقشات مع الخبراء في هذا الموضوع للتأكّد من صحّة بعض المعلومات المكتشفة من جديد.

الدراسات السابقة

المقاومات الشّعبيّة ضدّ الحكّام المستبدّين والمستعمرين الأجنبيين واضطهاداتهم ، حيث ما كانت ، لمن أكثر الموضوعات التي تعرّضت لدراسات الباحثين ولا سيّما في المستويات الجامعيّة . ومن المستحيل أن نرى ولو مقاومة شعبيّة واحدة الاّ وفيها دراسات عديدة تعالجها من النّواحي المختلفة . ومن المعروف أنّ معظم المقاومات الشعبية والثورات ،الكبيرة منها والصّغيرة أجريت فيها الدّراسات البحثيّة المستفيضة حتى من قبل الباحثين الذين ينتمون الى البلدان الأجنبية . على سبيل المثال نرى دراسات أجريت عن الثورات الشعبية الهنديّة في الجامعات الأوروبية من قبل الباحثين الإنجليزيين وبالعكس . حيث أنّ هذه هي الحقيقة ، من المستحيل أن نقول أنّ هذا الموضوع من الموضوعات التي ما أجريت فيها الدّراسات البحثيّة قطّ.

أمّا بالنسبة الى هذا الموضوع فقد وقع اختياري عليه بعد ما تأمّلت فيه كثيرا وتصفّحت المصادر المختلفة طويلا لعلّني أعثر على دراسة بحثيّة تماثله لفظا ومعنى. خلال محاولاتي العديدة مااستطعت العثور الاّ على الدراسات البحثية بعنوان "مقاومة كتّاب كيرلا باللغة العربيّة ضدّ الاستعمار الغربي " و"الظّروف الاجتماعيّة في الأدب العربي ضدّ الاستعمار بولاية كيرلا في العصور الوسطى " و"حركة المقاومة لعلماء كيرلا كما تنعكس في مؤلّفاتهم العربيّة" و" المقاومة في الأدب العربي الهندي ". التي قام بها كلّ من الدكتور مجيب والدكتور عابد والدكتورة حسينة والدكتور أسلم . ن ك على التوالي . هذا كلّها بالإضافة الى بعض الكتب العربية والإنجليزية والمليالميّة التي ألّفت في صورة غير رسمية . وقد استفدت من هذه الكتب كثيرا عند اجراء هذه الدراسة .أما الدراسات الرّسمية من قبل الباحثين المذكورين فكانت مركّزة على بعض الجوانب الأخرى للموضوع : فالدراسة الأولى تتحدّث عن مؤلّفي كيرلا في اللغة العربية ودورهم في حركة المقاومة والثانية عن الظّروف الاجتماعيّة السائدة أيّام الاستعمار الأجنبي داخل كيرلا كما هي مذكورة في مؤلّفات الكتّاب الذين عاشوا في قرون الوسطى . أمّا الدراسة الثالثة ، ولو يُرى بعض التشابه بينها وبين الدراسة الحالية ،فتدور حول علماء كيرلا برمّتهم وأدوارهم المختلفة في حركة المقاومة . ولكن هذه الدراسة لا تتجاوز حدود منطقة مليبار . وفيها أيضا تركّز على بعض العلماء المتصوّفين الذين يمثّلون فترتي الاستعمار البرتغالي و الإنجليزي . وبالإضافة الى هذا في هذه الدراسة محاولة جادّة

لمعرفة مدى تأثير هؤلاء العلماء ومواعظهم الدينية ومصنّفاتهم العربية في تحريض الناس على الانتفاضات الشعبية وعلى الأخص في الاشتباكات والثورات المحلّية العديدة التي جرت بين المسلمين بالإشتراك مع جنود الملك الساموتري وغيره من الملوك الهندوكيين وأعداء هذه الديار البرتغاليين والإنجليزيين . أجريت هذه الدراسة بالإعتماد على التطوّرات المختلفة بما فيها هذه الإشتباكات والثورات المحلّية التي شاهدتها هذه الديار أيّام الاستعمار وتحليل الأسباب المختلفة التي أدّت الى كلّ منها . عند القيام بتحليل هذه الأسباب أمكنت للباحثة العثور على اشارات كافية الى أدوار هؤلاء العلماء في هذه التطوّرات وتأثيرهم الكبير فيها .

وفي الجملة لا تُرى دراسة رسميّة شاملة في اللّغة العربية أو الإنجليزية او الميالمية عالجت هذا الموضوع من الناحية المذكورة . انّ هذه الحقيقة هي التي شجّعت الباحثة على الإقدام على اختيار هذا الموضوع لإجراء هذه الدّراسات البحثية .

مشكلات البحث

من المعروف أنّه توجد وراء كافة الدراسات الاستكشافية عوائق مختلفة وصعوبات عديدة تحول دون تحقيق مرامي الباحث . فلا يستطيع لأيّ باحث أن ينجح في عمليّاته الاّ بدون مواجهة العديد من العوائق والمشقات والسيطرة عليها سيطرة تامّة . تقدّر قيمة الدّراسات البحثية وتعيّن أهميتها في معظم الأحوال على أساس ما واجهها الباحث من الصعوبات والمشقّات وغيرها من العوائق في مسيرة البحث .

أمّا بالنسبة للباحثة في هذا الموضوع فكانت طريقها وعرة وممتلئة بعدد لا يحصي من الصّعوبات . وكانت من أهمّها عدم وفرة الكتب العربية في الموضوع المعيّن . ولو وجدت بعض الكتب القديمة ما كانت كافية لسدّ حاجة الباحثة . مع هذا كانت بعض الأخبار الواردة ولاسيّما عن الفترات التي عاش فيها العلماء والسنوات التي حدثت فيها الثورات والاشتباكات في هذه الكتب متناقضة حتى أوقعت الباحثة في ارتباك شديد . هذا كلّها بالإضافة الى ما يتطلّب من الباحثة من الجهود الشاقة و المملّة عند ترجمة الكتب المليالمية والإنجليزية المصنّفة في هذا الموضوع . لقد كلّفتها هذه العملية وقتا طويلا بالإضافة الى الجهود الجبّارة المبذولة . مع كلّ هذا كانت للباحثة أن تسافر في منطقة مليبار طولا وعرضا وخارجها لجمع المعلومات وللإستشارة بالعلماء الكبار للتحقيق من صحّة بعض الحقائق التي وصلت اليها . وبالإضافة الى المبالغ الضخمة التي بذلتها في هذا السبيل ، معظم هذه الرحلات كانت مملّة ومتعبة جدّا .

منهج البحث

أمّا المنهج الذي اتّخذتها الباحثة لإجراء هذه الدراسة البحثيّة فهو المنهج التحليلي التاريخي المعترف لدي معظم الباحثين في مثل هذه المواد الذي يمهد الخلفيّة التّاريخيّة حتّى يتسنّى لها الدخول في نُواة الموضوع وإجراء الدّراسات المقصودة في شكل مُنظّم وفي صورة مُفصّلة . وبالإضافة الى هذا اعتمدت الباحثة في بعض

الأحيان على المنهج السردي ولاسيّما عند تحليل الموضوعات المختلفة الواردة في مصنّفات العلماء المذكورين في الأبواب الأخيرة .

قبل اختيار هذا الموضوع كانت للباحثة أن تقوم بدراسة ميدانيّة للمعرفة عن مدى وفرة الكتب والمراجع المطلوبة . عندما وجدت عددا غير قليل من المراجع والمصادر استشارت مع المرشد واتفقا على اختيار هذا الموضوع . وقد جمعت الباحثة كتبا كثيرة قديمة وجديدة في هذا الخصوص بالإضافة الى بعض المخطوطات الهامّة ولاسيّما من المساجد القديمة التي كانت محط الثّوار المناضلين ومركز احتشادهم الكبير . طيلة فترة البحث قامت الباحثة بالكثير من الرّحلات الدراسة ولاسيّما الى الجامعات والمراكز العربيّة العريقة ومراكز المسلمين القديمة مثل فنّاني وتانور وترورنغّادي ومنفرام وكوروامبالام وكدنغلّور وغيرها من الأماكن التاريخيّة التي يرقد فيها الكثير الكثير من الحقائق التاريخية. وبالإضافة الى هذا قامت بإجراء المشاورات والمناقشات بعدد غير يسير من العلماء الأفاضل الذين لديهم دراية تامة في هذا الموضوع . عند تحليل هذه المعلومات المنتقاة من مثل هذه المراجع العديدة والمستمدة من المصادر الأخرى - معظمها في اللّغات الميالميّة والإنجليزيّة - عثرت على بعض الحقائق التي لم تُذكر قط حتى الآن في دراسات رسميّة أو غير رسميّة أجريت في هذا الخصوص .

تبويب البحث

تنقسم هذه الدراسة البحثيّة إلى خمسة أبواب بالإضافة الى هذه المقدمة ونتائج البحث والخاتمة بعدها .يشتمل كل باب من هذه الأبواب على ثلاثة أو أربعة فصول.

أمّا الباب الأول فيتناول في فصوله الثلاثة موضوع قدوم المسلمين الى كيرلا . يعالج الفصل الأوّل منه موضوع العلاقة التجاريّة بين الهند والعرب بكلّ أبعادها. وفيه اشارات الى الأغراض التجاريّة التي تعتبر من أهمّ دوافع العلاقة بين العرب والهند والأحوال الجغرافية التي سهّلت الرحلة بين البلدين . في هذا الفصل يقسّم تاريخها الى مرحلتين: مرحلة ما قبل الإسلام ومرحلة ما بعده. ثمّ يتحدّث عن الأدلّة والشواهد العديدة ولا سيّما في الآثار الأدبيّة القديمة على الحقائق التاريخيّة. وفي الفصل الثاني تتحدّث عن الرحّالة العرب المشهورين ومصنّفاتهم الشّهيرة وبداية العلاقات الثّنائية بين البلدين . أمّا الثالث فمباحث عن قدوم الإسلام في كيرلا ويتحدّث فيه عن ظهور الإسلام ورحلة الملك جيرمان برمال الى الجزيرة العربيّة ووصول وفد من المسلمين في رئاسة مالك بن دينار في كدنغلّور ودخول النّاس أفواجا الى الإسلام وتشييد المساجد العشرة الأولى وغيرها من التطوّرات الأخرى المترتّبة.

والباب الثاني يتحدّث عن قدوم البرتغاليين في كيرلا والثورات الشعبيّة المترتّبة ضدّهم . وفي هذا الباب أربعة فصول .يناقش الفصل الأوّل عن قدوم البرتغاليين وعلاقاتهم بملوك مليبار و يذكر فيها أسماء كلّ من القوّاد البرتغاليين البحريين الذين وطئت أقدامهم أراضي هذه الدّيار. وفي الفصل الثاني يتحدّث عن تصرّفاتهم السّيّئة وأعمالهم الفضيحة ومعاملاتهم الخشنة بالمسلمين بإحداث خسائر روحيّة ومادية لهم وهتك حرمة نسائهم وإحراق ديارهم ومساجدهم بكل ما فيها من الكتب المقدّسة وإهانة المسلمين واعتبارهم كا العبيد أو أدنى كا العبيد . أمّا الفصل الثالث فيتحدّث عن الثورات الشعبية المختلفة ضدّ البرتغاليين. أوّلا يذكر عن وصول القوّاد البرتغاليين ودخولهم في المعاهدة مع الملوك المحلّيين. ثم يناقش عن عداوتهم الشديدة لتجّار العرب و محاولاتهم العديدة للسيطرة على النشاطات التجارية والاحتكار بتجارة الفلفل ثمّ يذكر عن نشوب الثورات الشعبيّة في الأماكن المختلفة. وفي الفصل الرابع إشارات كثيرة الى التطوّرات التي جرت حول قلعة شاليم . وهنا يذكر إقامة المراكز التجاريّة والقلاع ولاسيّما قلعة شاليم التي شيّدها القائد البرتغالى نونودا كونها سنة ١٥٢٩م لتسهيل العمليّات التجاريّة . هنا إشارات الى اضمحلال نفود التجّار العرب والملوك المحلّيين وازدياد نفود البرتغاليين وحدوث الخلاف بين الملك الساموتري والبرتغاليين والحصار حول القلعة المذكورة وفتحها وتدميرها سنة ١٥٧١م.

يتحدث الباب الثالث عن الإنجليزيين في مليبار والثورات الشعبيّة ضدّهم . هذه الأمور يقدّمها في أربعة فصول . الفصل الأوّل يبحث عن قدوم الإنجليزيين في مليبار بكلّ الإشارات الى أوّل من وصل من الإنجليزيين في كيرلا للأغراض التجارية هو القبطان كيلنغ (Captain William Keeling) سنة ١٦١٥م. وإقامة العلاقات الودّية بينهم وبين الملك الساموتري وبدأ عمليّة تصدير البضائع المليباريّة الى انجلترا سنة ١٨٣٦م وتأسيس «الشركة الهنديّة الشرقية» (East India Company)لإجراء النشاطات التجارية بين البلدين في لندن سنة ١٦٠٠م ثمّ الى فتح المراكز التجارية العديدة داخل كيرلا تحت ادارتها . يناقش الفصل الثاني عن الثورات الشّعبيّة في القرن الثامن عشر والفصل الثالث عن تلك الثورات العديدة التي وقعت في القرن التاسع عشر والأخير يخبر عن الثورات والإضطهادات في القرن العشرين .

أمّا الباب الرّابع فهو المهم في هذه الأطروحة فيتحدّث بكلّ التفصيل عن دور نخبة من العلماء المسلمين المليباريين في الثورة الشعبيّة ضدّ البرتغاليين . يتحدّث الفصل الأوّل بكلّ التّفصيل عن الشّيخ زين الدين المخدوم الأوّل وخدماته الجليلة في سبيل استقلال الوطن مشيرا كلّ الإشارة الى مؤلّفاته المختلفة وأسماء القوّاد البرتغاليين الّذين عاصروهم والاشتباكات والانتفاضات ضدّهم والإظطهادات المختلفة التي تلقّوها منهم ومن غيرهم . وفي الفصل الثّاني دراسة عن زين الدين المخدوم الصّغير الّذي عاصر كافّة التطوّرات التي أدّت الى فتح قلعة شاليات وعن دوره في المكافحات الشّعبيّة ضدّالإستمار والمستعمرين. وفي هذا الفصل اشارات الى كتاب له

باسم ـ «تحفة المجاهدين». أمّا الفصل الأخير فعن القاضي محمّد ،صاحب منظومة مطوّلة باسم «الفتح المبين للسّامري الّذي يحبّ المسلمين» ودوره في الثّورات الشّعبية ضدّ البرتغاليين . وفي هذا الفصل ، باستدلال ما ورد في هذه المنظومة من الأبيات ، يشير بكلّ الدّقة الفائقة الى الحوادث المختلفة التي شاهدتها هذه الدّيار.

أمّا الباب الأخير فهو أيضا المهمّ في هذه الدراسة لكونه يتحدّث عن نخبة من العلماء المسلمين الذين عاصروا الحكم الإنجليزي في الهند وأبلوا في الثورات المختلفة ضدّهم بلاءا حسنا. ومن هؤلاء العلماء تتحدّث الأطروحة في الفصل الأوّل عن السّيّد علوي المنفرمي الذي وصل في ربوع كيرلا أيّام كان الإنجليزيون يستغرقون في النشاطات التجاريّة وعن خدماته الجليلة في سبيل الوطن . وهنا تشير الباحثة بعض الشيئ الى مصنّفه الشّهير باسم "السيف البتار" .الذي كان له دورمحوري في إشعال نيران الثّورة ضدّ المستعمرين الإنجليزيين . وفي الفصل الثاني تخبر عن فضل فوكويا تنغال ودوره في الثورات الشّعبيّة ضدّ الإنجليزيين .تتحدّث هنا عن أدواره المختلفة في الثورات الشّعبية ضدّ الإنجليزيين . وكذلك عن كتابه الشّهير "عدّة الأمراء" ومواعظه في المناسبات المختلفة وما كان لها من التّأثير الكبير ولاسيّما لدى العامّة من النّاس . أمّا الفصل الأخير فعن عالم كبير لم يذكر الاّ نادرا في الكتب التاريخيّة هو فريكوتّي مسليار الذي كان في طليعة حركة الخلافة في تانور و عضوا من أعضاء حزب المؤتمر الهندي .وكان هذا العالم الّذي دائما يرتدي الثياب البيضاء المنسوجة محلّيا من أمهر الخطباء وأكبر المصنّفين في تلك الأيّام .

تذكر الباحثة هنا عن كتابه الشّهير«مهمّات المؤمنين» المحظور من قبل الإنجليزيين ودوره الكبير في اثارة الثّوار وتحريضهم على القوى الاستعماريّة .

وبالإضافة الى هذه الأبواب بكلّ ما فيها من الفصول المختلفة هناك فصل مستقلّ في هذه الأطروحة بعنوان نتائج البحث ، تستنتج به الباحثة عمليّتها الدّراسيّة وموضّحة الحقائق المكتشفة نقطة تلو أخرى . ثمّ بعد ذكر كلمات الشّكر في صفحة مستقلّة تنهي الأطروحة بذكر أسماء المراجع في اللّغتين العربيّة والإنجليزيّة .

***

كلمة الشكر

ختاما لهذه الدراسة المستفيضة التي تلقّيت لإتمامها كافّة المساعدات والتّأييدات من قبل عدد لا يحصى من العلماء الكرام والزّملاء الأعزّاء والإخوة والأخوات الوفيّات أقوم الآن بتأدية واجباتي الشّخصيّة . أوّلا قبل كلّ شيئ أنتهز هذه الفرصة لأعبّر عمّا في أعماق قلبي من الشّكر الجزيل للدّكتور س.ب. أبوبكر ، أستاذ مشارك، ورئيس قسم اللّغة العربيّة سابقا ، بكلّية فاروق ، كاليكوت الذي كان يشرف على النشاطات الدّراسيّة التي قمت بها طيلة خمس سنوات ماضية. وفي هذا الصدد أذكر هنا تشجيعاته المستمرّة وتّأييداته الذؤوبة ، ولولاهما لما أستطيع أن أقوم بإتمام هذه الدّراسة بالشكل المطلوب . انّ التشجيعات التي تلقّيتها منه هي الّتي دفعتني الى مواصلة الخطوات الى الأمام في سبيل البحث بعد أن كنت يائسة في أوائل أيّام البحث . جعلتني مواقفه الصارمة باحثة مستغرقة في النّشاطات البحثيّة في الشّكل المنتظم . وفي الحقيقة أنا فخورة جدّا ومعتزّة بكونه هو الذي كان يشرف على نشاطاتي الدّراسيّة بكلّ ما لديه من النّصائح الغالية والإرشادات القيّمة.

وثانيا أقدّر المجهودات التي بذلها رئيس قسم اللّغة العربيّة في كلّية فاروق الدكتور علي نوفل الذي كان خير دليل لي أيّام مسيرتي في مجال البحث. هنا لا أستطيع أن أنسى تلك المساعدات المختلفة التي تلقّيتها من قبل الأساتذة الكرام داخل قسم اللّغة العربيّة ولاسيّما مساعد المشرف الدكتور ساجد والأساتذة الكرام من الكلّيات

الأخرى الذين كانوا دائما يشجّعونني على اتمام هذه العمليّة في أقرب وقت ممكن. هنا أعبّر لكلّ واحد منهم عمّا في داخلي من الشّكر الجزيل .

قبل الختام ، أذكر والدتي الحنونة وزوجي الحبيب وأطفالي الصّغار وسائر أقرب أقربائي الذين كان لهم أن يواجهوا صعوبات عديدة لأجل استغراقي سنوات عديدة في النشاطات الدّراسية . أعرف أنّني ماستطعت أن أقوم بواجباتي نحوهم كما هو المطلوب. أنتهز هذه الفرصة لأقدّم لكلّ واحد منهم خالص الشّكر والإمتنان. أشكر أيضا لكل من الأقرباء الآخرين والأصدقاء الأوفياء الذين لم يبخلوا بما لديهم من النصائح الغالية والإرشادات القيّمة لانجاح هذا المشروع النّبيل. وجزاهم الله جميعا خير الجزاء في الدّنيا والآخرة .

أختتم عباراتي الخالصة راجية من القرّاء الكرام الإشارة الى الأخطاء والزلل الممكنة في هذه الأطروحة وتصحيحها حتى يتسنّى للطلبة والباحثين أن يستفيدوا منها، داعية المولى القدير أن يجعل مساعينا كلّها نافعة في كلتي الدّارين . والله الموفق وهو المستعان.

سكينة م. ك.

الباب الأوّل

قدوم المسلمين إلى مليبار

- الفصل الأوّل : العلاقة التجارية بين الهند والعرب
- الفصل الثانى : الرحّالة العرب وبداية العلاقة مع الهند
- الفصل الثالث : الإسلام فى كيرلا

الفصل الأوّل

العلاقات التجاريّة بين الهند والعرب

الأحوال الجغرافية للهند

من أهم مميّزات الدراسات السياسيّة والثقافيّة والفكريّة لأمّة من الأمم علاقتها مع الأمم الأخرى ولاسيّما المجاورة منها ، تتوقف- أوّلا وقبل كل شيئ - على الطّبيعة التّكوينية والجغرافيّة لبلادها ، لأن الموقع الجغرافى والتكوين الطبيعى لكل بلد له أثر بالغ فى الأسس الاجتماعية والحضارية لسكانه ، وعلاقتهم بالآخرين .

يقول بعض العلماء المتخصصين في طبقات الأرض باستدلال نتائج من الحفريات الاستكشافية فى شتى بقاع هذه المنطقة ،انّ شبه القارة الهنديّة كان فى البداية جزءا من قارة كبرى أخرى عرفت باسم "جوندوانا"[١] التي تمتدّ من أفريقيا الجنوبية مارة عبر أستراليا حتى تبلغ أمريكا الجنوبية . فكانت سلسلة الجبال الغربيّة (western Ghats) الواقعة فى شبه القارة الهندية اليوم بمثابة سورين للجزئين الشرقى والغربى لقارة جوندوانا الكبيرة ، ولهذا نجد أنّ مياه الأنهار الهندية تجرى من منابع قريبة من بحر العرب فى اتّجاه معاكس حتى تنصب فى خليج البنغال الواقع فى شرقى شبه جزيرة الهند .[٢]

---

[١] Gunduana

[٢] محي الدّين آلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة – صفحة ٢٧

أخذ شبه القارة الهنديّة بعد فترة طويلة من الزمن شكله الجغرافى الحاضر نتيجة للهزات الأرضية والتطويرات الجيولجية العديدة التى أحدثت التغييرات والتقلّبات فى الجبال والبحور والأراضى ، فنشأت الحدود الجغرافية والطبيعيّة التكوينية الحالية لشبه القارة الواقعة بين سلسلة جبال الهماليا شمالا والمحيط الهندى جنوبا .

يشبّه تاريخ التطور الجيولجى لبلاد العرب تماما بالتطورات الجيولجية التى مرت على الأراضى الهندية ، وتدل دراسة الصخور السطحية على أن تكوين أراضى بلاد العرب أيضا يعود إلى جميع الأزمنة والعصور الجيولجية المذكورة ، كما تدل الأصداف البحرية التى ترى بكثرة فى سواحل هذه المنطقة .

وقد ذكر الجيولجيون أن شبه الجزيرة العربية كان يمثل فى الماضى السحيق جزءا من القارة الكبرى باسم "جوندوانا" ، ثم تعرضت هذه المنطقة المعروفة الآن بشبه الجزيرة العربية خلال العصور التكوينية المختلفة لحركات تكوينية ناتجة عن هزات أرضية عديدة ، أدت إلى تكوين جبال عمان والبحر الأحمر والحجاز ومنخفض البحر الأحمر وما الى ذلك من الطبيعة الجغرافية الحالية . فليس فى العالم الشرقي تقارب بين الإقليمين مثل التقارب الجغرافي الذى يربط بين شبه الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية .لأنّ شاطئ كلّ منهما ما هو إلاّ إمتداد لشاطئ الآخر ، وقد أحدث هذا التقارب فى التكوين الطبيعى والموقع الجغرافى تقاربا فى التاريخ البشري والحضاري بين شعوبهما . فمن الممكن أن نطلق على بلاد الهند ، وشبه الجزيرة العربيّة ، إنّها بلاد متجاورة ، يجاور بعضا بعضا ، لا يحول بينهما إلاّ بحر . ولو

مُدت الطرق الطويلة والعريضة ، على سطحه ، لربطت بين الدول بعضها بالبعض ، وكلتاهما تقع على الشاطئ المقابل ، فلو أمسكت إحدى يدى هذا البحر ، بأرض الحرم ، لأمسكت اليد الأخرى ، بأرض الآريين . [1]

أمّا الظروف الطبيعية فلها أثر بالغ فى تكوين الحدود الجغرافية للبلاد ، تتخلص الخصائص الجغرافية لشبه القارة الهندية التى أثرت فى تاريخها وحضارتها وصلاتها بالبلاد المجاورة فى أربعة أمور: ضخامة رفعتها وتنوّع مناخها وفصولها وكثرة أنهارها ووديانها ووفرة ثرواتها الطبيعة.

ومما يهمّنا من الأمور المذكورة في هذا الصدد ثروات الهند الطبيعية. كما هو المعروف إنّ بلاد الهند مختلفة فى تربتها وأجوائها وارتفاعها وانخفاضها ، يوجد فيها من أنواع الثروات الطبيعة والنباتات والحيوانات والمعادن مالا يوجد الاّ نادرا في البلاد الأخرى ، ومن حاصلاتها الزراعية الحنطة والشعير والذرة والأرز الذى تبلغ أصنافها ٢٧ صنفا ، ومن نباتها قصب السكر والقطن والتبغ والنارجيل والخشخاش والخيزران والشاي والتامبول وغيرها . ومن أثمارها الموز والرمان واللوز والتمر الهندي والليمون والمانجوا بأنواعه العديدة ، ومن أشجارها ،الساج" الذى تصنع من أخشابه القوارب والسفن ، وأشجار الصنبور والبلوط وغيرها . اشتهرت الهند بحيواناتها المختلفة ولاسيّما المفترسة منها والمنتشرة فى جبال هماليا ،أما القرود والأفيال والغزلان فكانت ترى منتشرة في كل بقاع الهند حتى قيل فى وصف شبه

[1] سيّد سليمان ندوي – العلاقات العربيّة الهنديّة –الناشر- شارع الجبلاية بالأبرا –الجزيرة –القاهرة- طبعة سنة٢٠٠٨-صفحة ٢٩

القارة الهندية : "الهند والسند بلاد تركب الأفيال ". وكذالك الحال بالنسبة إلى الطيور النادرة مثل الطاؤوس والنعام وغيرها.[١]

وقد اشتهرت الهند بثرواتها المعدنية منذ القدم ، بل كانت المصدر الرئيسى للأحجار الكريمة والحديد والذهب . ولا تزال مصدر الرخام الجيّد بأنواعه المختلفة، كما توجد فيها مناجم الذهب والمنجنيز والميكا الذى هو معدن شفاف من المواد الأساسية فى صناعة الأدوات والأجهزة الكهربائية . وقد تم أخيرا إكتشاف مصادر طبيعية غنية بالمعادن الذرية فى أنحاء الهند مثل معدن "الثور يوم" "واليور انيم " وبخاصة فى منطقة "تومبا"(Thumba) فى ولاية كيرلا بجنوب الهند . وقال ابن الفقيه الهمدانى فى كتاب البلدان : خصّ الله تعالى أرض الهند والسند بأنّها توجد بها جميع الروائع العطرية والجواهر كالياقوت والماس وغيرها ، وكذلك العود والعنبر والقرنفل والخولجان والدار صيني والنارجيل والهليلة والبقم والصندل والفلفل الأسود.[٢] والفلفل الأسود الذي كان لا يزرع إلاّ في كيرلا كان مشهورا عند العرب منذ القدم حتى أن نقله الأفرنج إلى جافا في القرن الثامن عشر للميلاد .يقال إنّه لما سمع ساموترى ملك كيرلا بخبر نقل الإفرنج الفلفل إلى بلدهم وزراعتهم إيّاه هناك قال إنّهم قادرون على نقله إلى بلدهم ولكنّهم هل يقدرون إلى نقل موسم المطر اللازم لنموّه من بلدنا إلى بلدهم ، فلا مجال للمخاوف الشديد.[٣]

---

[١] محي الدّين آلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة – الناشردار القلم –دمشق-صفحة-٣١-التاريخ -١٩٨٦

[٢] المرجع السابق –صفحة ٣١

[٣] د ويران محي الدين الفاروقي –الشعر العربي في كيرلا مبدؤه وتطوره- الناشر –عرب نتّ-كالكوت –التاريخ ٢٠٠٣-صفحة-٢٨

العلاقات التجاريّة بين الهند والعرب قبل الإسلام

كان مفروضا على جزيرة العرب أن تصبح بلادا تجارية بطبيعتها المناخية وموقعها الجغرافى ، لأنّ البحار مع كونها قاحلة وغير خصبة تحيطها من ثلاث جهات ، كانت تجاورها من الجهات الأربع. بلاد عامرة وخصبة ومزدهرة بالتجارة مثل العراق والشام من الشمال ومصر وأفريقا من الغرب ، والهند وإران من الشرق . وكانت الهند أكثر البلاد ملائمة للتجارة البحرية مع البلاد العربية الواقعة على الشاطئ الغربى لبحر العرب المواجه لشبه القارة الهندية . وكانت السفن العربية التجارية منذ فجر التاريخ تتجه إلى موانئ الهند الغربية لتنقل بضائعها المختلفة إلى الموانئ التجارية العربية وبالأخص فى البحرين وحضرموت وعمان واليمن ومسقط وغيرها ، ثم تنقل تلك البضائع على ظهور الجمال برا إلى الأسواق التجارية فى الحجاز ، وإلى الشام ومصر عن طريق ساحل البحر الأحمر ، ومن هناك تصل تلك البضائع الهندية عن طريق البحر المتوسط إلى أوربّا .

عند البحث عن أحوال العرب التجارية العالمية ، نجدهم يشتغلون بالتجارة منذ قديما لزمان. كانت قوافلهم تمرّ ذهابا وإيابا ،عبر الطرق إلى الدول المختلفة ولاسيّما الى بلاد الهند .يدّعي بعض المؤرّخين أنّ هذه العلاقة كانت منذ عهد النبي سليمان عليه السلام . كان أهل مليبار يذهبون ببضائعهم التجاريّة إلى الأسواق العربيّة مثل عكّاظ وغيرها . وازدهرت هذه التجارة إلى أن صارت هذه البضائع الهنديّة مألوفة لدى الجميع ومتوافرة في الأسواق العربيّة قبل الإسلام . وكان خشب التيك(الساج)

من هذه الصادرات منذ الأزمنة القديمة وظل على ذلك عبر العصور الوسطى . ومما يسلط الضوء على هذه الحقائق التاريخية ما قاله الشاعر الجاهلي المشهور امرؤ القيس في معلّقته حيث قال: [1]

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنّه حب فلفل .

وباستدلال هذا البيت وما ورد فيه من كلمة فلفل الذي نادرا ما يُرى في أرض غير الأراضي الهندية يقول المؤرّخون أن العلاقات التجارية كانت تجري بكلّ صورة تامة بين العرب وبلاد جنوب الهند[2]

وعندما استولّى الإغريق على مصر سيطروا على هذه التجارة حيث كان الطريق من مصر إلى الشام أمنا لهم ، ففقدت التجارة العربية رونقها ، وذهب بريقها ، فما عادت كما كانت ، وقد كتب محرر مادة "العرب" فى دائرة المعارف البريطانية ، يقول: كان السبب الرئيسى وراء هذا الخير الوفير الذي عم جنوب شبه الجزيرة العربية الغربى (حضرموت واليمن) ، مرور البضائع التجارية بين الهند ومصر ، عبر البحر الأحمر أوّلا ثم تكمل مسيرتها برا على الساحل الغربى ، وقد توقفت هذه التجارة آنذاك ، حيث أن ملوك "مصر" البطالمة قد مهدوا طريقا مباشرا من الهند إلى الإسكندريّة .[3]

كانت بلاد اليمن سوقا كبيرة للبضائع الهنديّة منذ العصور القديمة ، كثيرا ما كان يتردّد إليها التجار الهنود . يقول الأستاذ أحمد أمين : " وكان لسكّان اليمن قديما

---

[1] من مجلّة "مليبار" :مجلّة عربيّة تصدر من كلّيّة ب ت م برنتلمنّا

[2] سليمان ندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ ٢٠٠٨-صفحة-٦٠

[3] المرجع السابق - صفحة-٦٠

علاقات بالهند والشرق الأدنى . ثم يقول : "وكانت التجارة قديما في يد اليمنيين وكانوا هم العنصر الظاهر فيها ، فعلى أيديهم ، كانت تنقل غلّات حضر موت وظفار وواردات الهند إلى الشام ومصر". وكانت البصرة (أبلّة) في العراق ميناء كبيرا تصل إليه السفن التجاريّة الهنديّة ، ولذا كان العرب يطلقون هذا الميناء أحيانا "أرض الهند ".[١]

يتحدّث الدكتور ويران محي الدين في كتابه "الشعر العربي في كيرلا مبدأه وتطوّره" عن العلاقة التجارية التي تجري بين سكان الجزيرة العربية والهند ويقول: "بعد سليمان عليه السلام أيضا استمرّت هذه التجارة بيد الفينيقيين واليونان والصابئين . واليونان اشتروا الزنجبيل والفلفل والقرنفل من كيرلا من القرن السادس قبل الميلاد . ولما أهلك ملك دارا(٤٨٤ - ٥١٩ ق م) قناتي دجلّة والفرات وأباد أسواق مصر انطوت التجارة البحريّة بأيدي أهل اليمن . ومراكبهم الكبيرة جلبت الموارد الهنديّة إلى يونان والروم كما أنّهم عبروا بها إلى الصين وسيلان بطريق المعبر في جنوب الهند . وتجارة كيرلا مع الشرق الأوسط كانت مستمرّة منذ عصر الفينيقيين ولكنّه لم يكن لأي دولة من الدول المرتبطة مع كيرلا للتجارة علاقة وثيقة متتابعة كما كانت للبلاد العربية ".[٢]

[١] محي الدّين آلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّ -الناشردار القلم –دمشق-صفحة-٣١-التاريخ ١٩٨٦ -صفحة ٣٩
[٢] د ويران محي الدين الفاروقي –الشعر العربي في كيرلا مبدؤه وتطوره- الناشر –عرب نتّ-كالكوت –التاريخ ٢٠٠٣-صفحة-٢٧

وممّا يدلّ على قدم العلاقات التجارية بين الهند والعرب أن السفن التجارة كانت تصل إلى "أوفير" مرة فى كلّ ثلاث سنوات فى عهد سليمان وتحمل من هناك الذهب والفضّة والمجوهرات والبخور والعاج والقرد والطاؤوس وغيرها[1] .

نرى فى كتاب "ج ب ب موري" أنّ هناك علاقة تجارية وثيقة بين العرب من جنوب الجزيرة العربية والفارس والسند ومليبار وسيلان والصين قبل بعثة النبي (صلعم) . كانوا يصلون إلى مليبار لشراء الفلفل قبل قدوم الإسلام في كيرلا[2] .

كانت للهنود مستعمرات تجارية خاصّة فى جزيرة "سوقطرة" ويقال أيضا بأن الملك بطليموس الثانى الذى كان يحكم مصر ، قد عرض فى استعراض ملكي نظمه مرة فى عاصمته أشياء مستوردة من الهند ومنها الثيران والمرمر . ومن الموانى المصرية الرئيسية التى لعبت دورا هاما فى الميادين التجارية مع الهند حينذاك ، " مايوس هرمز " برنسيس " وكانت السفن المتجهة إلى الهند تغادرها عبر البحر الأحمر إلى المحيط الهندى فيما بين شهرى يوليو وسبتمبر ، وتشحن تلك السفن عادة من موانى غربي الهند مثل "بروج" وكاتياوارا " المنتجات الهندية مثل الأرز والسمسم والقماش والعسل .وفى تلك العصور نالت السواحل الشرقية للبحر الأحمر فى شبه جزيرة العرب صيتا بعيدا للتجارة ومنها مرافئ "قنا " موشا" و"نطرا" " وكذالك الأبلة ومحمّرة فى شط العرب بالخليج العربى ، واشتهرت هذه الموانئ لتصدير القماش

[1]- محي الدّين آلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّ الناشردار القلم –دمشق- ١٩٨٦ صفحة -٥٦-
[2] ج بب موري :كيرلا مسلنكض آورباووم آدي كال جرترووم - صفحة ٣٩-٤٠- ليد بكّ –ودّكنر–

والأحجار الثمينة والتمر والذهب إلى بعض الأسواق التجارية الشهيرة فى السواحل الهندية مثل "كراتشى" وكرنغنور " وكورمندال "[1]

أمّا الطريق الآخر بين العرب والهند ، فكان عن طريق الخليج العربى ، الذى ظلّ مفتوحا بين العرب والفرس من سكان السواحل ، فيحملون بضائعهم برا وبحرا ، عبر جميع المدن الهندية الساحلية ، وجميع جزر المحيط الهندى ، ثم مرورا ب"البنغال " وآسام " حتى الصين " ثم يعودون قافلين من هذا الطريق نفسه.

وقد حدث انخفاض فى نطاق العلاقات التجارية بين الهند والعرب فيما بين القرن الثالث والقرن السابع للميلادى ، إذ نشأت الأمر طورية الساسانية فى إيران وجعلت عاصمتها "مدائن " التى كانت تتولّى زمام التجارة فى الشرق إلى عهد ظهور الإسلام فى جزيرة العرب وحدث انحلال فى الدولة الحمرية فى جنوب جزيرة العرب حينما اعتنق "يوناواس" اليهودية واضطهد نصارى "نحران" فأثارت هذه الفعلة من جانبه سخط الحكام المسيحيين فى الحبشة ، وأصبحت الدولة الحمرية على إزدياد نفوذ الساسانيين فى الملاحة فى بحر العرب ، وبسبب هذا التطور إنتقلت كفّة الرحلات التجاريّة التى كانت تجرى بين مصر والهند منذ عصور بالغة فى القدم من أيدى العرب إلى أيدي الفرس ، واصبحوا زعماء النشاط التجاري فى بحر العرب ، وازداد معدّل السفن التجارية التى تتردّد بين موانئ الهند والمدائن فى شواطئ دجلّة وميناء أبلّة حتى اشتهرت هذه الميناء باسم "فرج الهند " أي ركيزة الهند ، نظرا للعلاقات

[1]- محي الدين آلوائى- الدعوة الإسلامية فى شبه القارة الهندية صفحة ٥٧

الوطيدة بطريق البحر بين الهند وبين هذه الميناء . واستمرّت هذه الحالة إلى أن فتحت اليمن بلاد الفرس ، وقد تمّ هذا الفتح فيما بين عامى ٥٧و٥٨للميلاد أي قبل وفاة "أنوشروان " وبعد ولادة النبي العربى "محمّد بن عبد الله (صلعم) .[١]

وكانت فى بعض سواحل كيرلا منازل لبعض العرب الّذين استوطنوها من القرن الثانى قبل الميلاد . ولسبب الروابط التجارية للعرب مع جنوب الهند كانت للعرب استعمارات عديدة فى سواحل مليبار قبل سنتين لبعثة محمّد (صلعم) . وأما بعد البعثة المحمدية إجتهد بعضهم فى دعوة الإسلام أيضا . وكانت القوافل التجاريّة فى عهده (صلعم) سائرة بين الجزيرة العربية ومليبار ذهابا وإيابا ، وبعض التجار العرب استوطنوا بعض سواحل مليبار وأكثرهم من أهل الحجاز واليمن والبحرين . ولم يزل تتتابع هذه الحالة إلى عدّة قرون . والتاريخ ينص على أن الإسلام وصل إلى الهند فى قرن الأوّل الهجرى ، وكيرلا هي البقعة الأولى فى الهند التى تشرفت بالإسلام أوّلا ، وذلك بواسطة التجار العرب المسلمين . ولما توثقت تجارتهم فى هذا البلد إستوطن منهم كثيرون فى بعض مدنها الساحلية وتزوّجوا بالنساء الأهالية لأن تكون التجارة قوية وثابتة ، وبعض ملوكها لاسيما ساموترى ملك كالكوت حرض المسلمين على هذا لمنافع فيها ، حتى كثرت بيوتهم فى كيرلا فى القرن السابع الميلادى . ولأنّهم جاؤوا بدون نسائهم تزوّجوا من نساء كيرلا فتولّدت فيها أمّة بشرية جديدة من ذكور العرب وإناث مليبار وسماهم المؤرّخون والشعب باسم مابلا . وهذه التسمية تفسّر

[١] محي الدّين آلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة- الناشردار القلم –دمشق- ١٩٨٦ صفحة -٥٨

بمعان منها أنّ الكلمة مركّبة من كلمتي "مها" و"بلا" والمعنى "الشخص المحترم " أو "الولد المحترم " ويقال إن معناها ابن الأم لأن كلمة "ما" معناها فى لغة سنسكرتا الأمّ . سمي أولاد تجار العرب بهذا الاسم نسبة إلى الأمّهات حيث آبائهم رجال أجانب . تؤيّد دائرة المعارف البريطانية هذا الرأي حيث تفسّر كلمة مابلا بأنّها إسم لجنس بشري من مسلمى كيرلا الّذين ولدوا للعرب فى نساء كيرلا . وكلمة مابلا أيضا تستعمل بمعنى الزوج فى لغة تامل وفى اللغة العامية فى كيرلا . فمن الممكن أن سمي بها العرب المسلمون أوّلا حين تزوّجوا من نسائها ثم لما تزوج أبنائهم منها وهم أيضا سموا بهذا الإسم كآبائهم. [1]

العلاقة بين الهند والعرب بعد الإسلام

دخلت العلاقات التجارية بين الهند والعرب عصرها الذهبى منذ ظهور الإسلام فى القرن السابع للميلاد. بدأت الدعوة الإسلامية فى الحجاز وانتشرت منها إلى الجهات الأخرى ، وجدير بالذكر أن سكان الحجاز كانوا – عكس ما كانت عليه حالة العرب المقيمين فى جنوبى جزيرة العرب – تجار برّيين ، واتّخذوا مكة التى كانت ملتقى الطرق بين الشام واليمن مركزا لنشاطهم التّجارى وساعدتهم هذه الظروف على أن يقوموا بدور وكلاء التجارة بين مصر والحبشة والحجاز متّخذين ميناءهم الرئيسي فى مدينة "جدّة ". فكانوا يشترون البضائع الهنديّة بطريق اليمن فيبيعونها فى مكّة وغيرها من المدن الهامّة فى الحجاز ، كما جرت العادة أن تقام بمكة سوق سنوية

[1] د ويران محي الدين الفاروقي –الشعر العربي في كيرلا مبدؤه وتطوره- الناشر –عرب نتّ-كالكوت –٢٠٠٣-صفحة-٣٣ -٣٤

تباع فيها السلع المستوردة من اليمن والشام وغيرهما إلى سكان البادية الّذين يفدون إلى هذه السّوق لشراء المطالب السنوية منها ولعبادة الأصنام المنصوبة فى الكعبة[١].

وكانت قريش في مكّة وهم سدنية الكعبة وحراسها يتزعمون النّشاط التجاري فيها . وأمّا ظهور الإسلام فى هذه المدينة التى كانت المركز الحساس للنشاط التجارى والثقافى للحجاز فى ذلك العصر ، فكان من العوامل التى أسرعت بانتشار دعوته إلى سائر البقاع . ومن المعلوم أن داعيته الأوّل "محمّد بن عبد الله (صلعم) كامن من التجّار البارزين . ومن البضائع الهنديّة المنتشرة فى أسواق الحجاز فى تلك الأيّام "السيف المهند " المعروف لدى العرب ، لأنّ القبائل العربيّة كانت تعلّق أهمّية كبرى على الأدوات الحربيّة وفى مقدمتها السيوف التى تستورد من كل من اليمن والهند ، ومنها ما صنع فى اليمن من الحديد الوارد من الهند ، أو ما صنع فى الهند نفسها ، وامتازت السيوف الهندية بليونتها وحدّتها ، كما هو واضح من الأشعار الجاهليّة التى أشادت بذكر هذه السيوف وغيرها من السلع الهندية التى كانت معروفة فى جزيرة العرب ،هذا وإن القيام بدراسة وافية للعلاقات التجارية بين الهند والعرب قبل الإسلام ما هو إلاّ مدخل لدراسة الدور الذى لعبته هذه العلاقات فى الإسراع بوصول الدعوة الإسلامية إلى شبه القارة الهندية وتطوّراتها فيها .[٢]

[١] محي الدّين آلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة- الناشردار القلم –دمشق- ١٩٨٦ صفحة -٥٨
[٢] المرجع السابق صفحة ٥٩

موانئ العرب:

أبلة

كان ميناء "أبلة " الواقع قرب البصرة أكبر موانئ الخليج العربى وأشهرها بالنسبة لشبه القارة الهندية ، وذلك فى عهد الفرس ، وقبل الفتح العربى للعراق عام ١٤هـ .وكانت "الأبلة " عند العرب تسمى أرض الهند لكثرة التبادل التجارى وتدفقه منه . وكانت السفن القادم من الهند والصين ، ترسوا فيه ، وتبحر منه أيضا .عندما سأل عمر بن الخطّاب (ر)الحجّاج بن القرية [١] رحّالة العرب عن رأيه في الأراضي الهنديّة أجابه قائلا : بحرها در ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عطر ، وفي الخصبة كانت هذه الإجابة هي الشاملة والصحيحة مائة في المائة بالنسبة للهند وما فيها من الموارد الطبيعية .

سيراف

هو أكثر موانئ الخليج الفارسي أهمية بالنسبة للهند بعد ميناء"أبلّة " وتقع على حدود فارس وتبعد عن "البصرة " مسيرة سبعة أيّام . وقد سطع نجم سيراف وازدادت شهرتها فى القرن الثالث الهجري ، عندما أصبحت مقرا لكبار البحارين ، وكبار رحال التجارة البحرية كما أن السفن القادمة من "الصين " والهند " كانت تأتى إليها محملة بالبضائع التجارية .

[١] هو أيّوب بن قرية ،كان أحد أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس ، عامل الحجاج على البصرة

قيس

قيس جزيرة إيرانيّة فى الخليج ، بالقرب من عمّان ، إحتلّت مكان "سيراف " واستولت على التجارة الهندية والصينيّة . وكان حاكمها وإلى "عمّان". عندما رآها ياقوت الحموي فى القرن السادس الهجرى ، وصفها بأنّها جميلة تكسوها الخضرة ، فهى جزيرة صغيرة ، وذلك كلّه لما أدرته عليها التجارة الهندية من خير وفير ، حيث كانت ترسوا فيها كل السفن الهندية . ونتيجة لحركة التجارة ، وكثرة السفن بها ، كتب عنها ياقوت ، فقال :ولملكها هيبة وقدر عند ملوك الهند ، لكثرة مراكبه ودووانيجة .[١]

وقد كتب زكريا القزوينى ، عام ٦٨٦هـ: وهى مرفأ مراكب الهند والفرس ،و منقلب التجارة ، ومتجر العرب والعجم .....يجلب منها كل أعجوبة وقعت فى بلاد الهند .[٢]

موانئ الهند

وكان من أكبر الموانئ الهنديّة القريبة من الجزيرة العربية منذ القرن الأوّل الهجري ميناء "تيز" ببلوجستان وميناء "ديبل" في السند وموانئ"تهانة"وكهنبات وسوبارة وجيسورفي كجرات "وكولم ملي" ومليبار و"اسكماري"في مدراس . وكان تجار العرب يتنقلون بين هذه الموانئ المختلفة او يتجهون إلى بنغال أو الى القامرون أو آسام ومنها الى الصين.[٣] كانت مدينة كدنغلّور من أهمّ المرافئ فى جنوب الهند . وكان كلّ مرفأ

[١] ياقوت الحموي –معجم البلدان –ادار صادر –بيروت ١٩٧٧م – صفحة ١٢٦-مصر وجزءالخامس صفحة١٩٣
[٢] زكريّا القزوينى –آثار البلدان –طبع- أوربّا –صفحة١٦١
[٣] سليمان ندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ ٢٠٠٨-صفحة-٦٦

من المرافئ في جنوب كيرلا مراكز تجارية في هذا الوقت . ومن أهم هذه المرافئ التي وصل فيها التجار من الخارج ولاسيّما العرب منهم " بزينغادى ، ولي بدّنم ، كنّور ، برهم بدّنم ، درفدن (تلشيرى) بتبّدنم ، تكودى ، فندرينة، كاباد ، كالكوت ، بيبور ، شاليم ، أزيكود، كوشن ، بركّاد ، كايم كلم ،كولم وغيرها .

التوراة والتجارة العربية

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أنه توجد اشارات عديدة في التوراة الى بعض المواد التي كان يتجرها التجار العرب قبل عدّة قرون .وباستدلال هذه الإشارات يمكن هنا أن نفهم أن قدماء العرب كانوا في اتصال دائم مع الهنود للأغراض التجارية . وكان من أهم الأشياء التي يتجرون بها منذ أكثر من الفي سنة قبل ميلاد المسيح البلسان ،الصنبور ، والأنواع العطرية الأخرى .[1]

وكانت الهدايا التى أحضرتها "بلقيس" ملكة "سبأ لسيدنا سليمان ـ عليه السلام عام ٩٥٠ ق م ، من العطور ، وسبائك كثيرة من الذهب ، والدرر الثمينة .

وكان العرب يحملون الفولاد والبقول والتوابل ، من "اليمن " إلى بلاد الشام ، فى عهد النبي حزقيال سنة 528 ق م . يقول النبى:" يأتون من اليمن لبيع المصقولات ، والفولاذ والبقول والتوابل ، فى سوق تبر". ومن المعروف أن اللبان (نوع من البخور يفرز صمغا ، يوضع على النار ،فيعطى رائحة طيّبة) .ومختلف أنواع النباتات العطريّة ، كانت تنبت فى "اليمن " أما الفولاذ المصقول (السيف) ، والبقول

[1] المرجع السابق -صفحة- ٨١

والتوابل ، فموطنها حتى اليوم "الهند" ومن هذه الشواهد والأدلة العديدة ، يتضح جليّا أن تاريخ العلاقات التجارية بين العرب والهند ممتدا منذ آلاف السنين قبل الميلاد.

المنتجات الهندية فى عيون الرحالة العرب

يعتبرجوز الهند" من أهم الثمار الهندية، التى استرعت انظار الرحالة العرب ، وقد وصفه بعض الرحالة قائلا: " وبعمان من يقصد هذه الجزائر التي فيها النارجيل، ومعهم آلات التجارة وغيرها . فيقطعون من خشب النارجيل ما أرادوا ، فإذا جف قطعوه ألواحا، ويفتلون من ليف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب، ويستعملون منه مراكب ، وينحتون منه الدواقل ، وينسجون من خوصه شراعا ، ومن ليفه خرابات ، وهي القلوس عندنا ، فإذا فرغوا من جميعه ، شحنت المراكب بالنارجيل ، قاصدة "عمان" فيباع ، وتعظم بركته ومنفعته" .[١] ونراهم يتحدّثون عن الليمون والمانجوا فى دهشة بالغة ،فيقول إبن حوقل (٣٥٠هجرة) فى معرض حديثة عن السند :"وبأرضهم ثمرة على قدر التفاح ، تسمى الليمون ، حامضة، شديدة الحموضة ، ولهم فاكهة تشبه الخوخ ، يسمونها الأنبج (هى المانجو) ،تقارب طعم الخوخ ،وأسعارهم رخيصة [٢].

[١] سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ ٢٠٠٨-صفحة ٨٢
[٢] المرجع السابق – صفحة ٨٢

كتب المسعودى : إنّ النارنج والليمون من الثمار الهندية الخاصة ، والتى اجتلبت من الهند إلى بلاد العربية فى القرن الثالث الهجرى ، فوصلت أوّلا عمّان ، ومنها ألى العراق وسوريا وما لبثت أن انتشرت فى ربوع "مصر" وسواحل الشام .[١]

وقد حدث الرحالة العربي الكبير ابن حوقل عن أحوال تجارة "السند" وكشمير" ومنتجاتها فقال : تتوفّر في " المنصورة" التي كانت قديما تسمى برهمن آباد ثمرة على قدر التفاح ، تسمى الليمون ، حامضة شديدة الحموضة ، ولهم فاكهة تشبه الخوخ يسمونها الأنبج ، تقارب طعم الخوخ وأسعارهم رخيصة[٢]

وفي الجملة كان العرب يتجرون بمحصولات كيرلا مع الحبشة والهند وبلاد فارس، وكانت لهم موانئ كبيرة للتجارة . حيث لم يكن لهم نقود خاصة يتعاملون بها ويتصرّفون فى التجارة كانوا يستخدمون نقود الفرس والروم - [٣] . وقد عثرت من بعض أنحاء ملوك جيرا(Chera) القديمة على نقود تلك الدولتين وفى تلك النقود التى عثرت عليها من أراضى كيرلا ما يعود إلى الفترة ما بين القرن الأوّل والقرن السادس للميلاد. وهذا خير دليل على هذه التجارة القديمة . وكان العرب متوسطين لتجارة المحصولات الكيرلية فى الأسواق العالمية . وقد استوطن بعض التجار العرب سواحل كيرلا إلى الأبد .

***

[١] المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – صفحة ٤٣٨ – أوربا
[٢] ابن حوقل – المسالك والممالك – صفحة ٣٢
[٣] د ويران محي الدين الفاروقي –الشعر العربي في كيرلا مبدؤه وتطوره- الناشر –عرب نتّ-كالكوت –التاريخ ٢٠٠٣-صفحة-٢٩

الفصل الثاني

الرحّالة العرب وبداية العلاقة مع الهند

الرحّالة العرب المشهورون وبداية العلاقة الثّنائيّة مع الهند

حبّ الاستطلاع هو من أهمّ الدوافع وراء الأسفار والرحلات التي يقوم بها الإنسان منذ الأزمان القديمة . ولولا هذا لكان يستقرّ ويعيش ويموت حيث ما ولد. ومن العناصر المختلفة التي لها تأثير كبير في اثارة حبّ الاستطلاع لدى الإنسان الأحوال الإقتصادية والجغرافية والثقافيّة والدينية والسياسية وغيرها . نعرف أنّ الأراضي الهنديّة وعلى الأخص المناطق الجنوبية منها منعّمة بعدد لا يحصى من الموارد الطبيعية الت٢ي لا يستطيع أن يستغني عنها سكّان البلدان الأجنبية . على سبيل المثال ،نرى الفلفل وبعض التوابل الأخرى التي تنتج بكلّ وفرة في كيرلا يحتاج اليها الأوروبيّون والعرب أكثر من الآخرين بل أكثر من الذين ينتجونها .كذلك هو شأن بقية المواد الأخرى مثل خشب الساج الذي تصنع منه أفخر المفروشات ودهون بعض الأشجار الجبليّة والأعشاب التي يتعطرون ويتداوون بها وبعض المواد المعدنيّة التي لا ترى الاّ في أراضيها الخصبة . هذا كلّها بالإضافة الى مزاياها الجغرافية التي تقلّل المسافة وتسهّل السفر بينها وبين الدّول الأجنبية . وقد ساهمت هذه العناصر المختلفة مساهمة كبرى في كثرة وصول الجغرافيين والرحّالة من الدّول الأجنبية القريبة منها والبعيدة الى الأراضي الهنديّة . تُعتبر خبراتهم المدوّنة

في شكل الذكريات خير عون للمؤرّخين الذين يتوافدون عليها لإستخلاص ما فيها من الحقائق التاريخيّة الكامنة .

لقد شهدت سواحل كيرلا مع بقيّة أجزاء الهند لتدفّق هائل من قبل المسافرين الذين اتّجهوا اليها وفي داخلهم الكثير من الأمنيّات الكبيرة والأحلام العذبة . وكان فيهم الرّحالة الذين خرجوا ديارهم للنّشاطات الاستطلاعيّة والتجار الذين غادروها للأغراض التجارية والجغرافيون الذين جابوا الآفاق لاقتناء القدر الممكن من المعلومات حول الكرة الأرضيّة وأسرار البلدان المختلفة فيها . ومن هؤلاء الرحّالة المشهورين :

إبن خرداذبه (٢٥٠هـ)

كان عبيد الله بن أحمد ابن خرداذبه مؤرّخا فارسي الأصل ومؤلف أوّل كتاب بالعربيّة في ذكر أحوال الهند الجغرافية باسم "المسالك والممالك" ،شغل منصب صاحب البريد والخبر أيّام الخليفة المعتمد العبّاسى فى القرن التاسع الميلادى . وقد روي الأخبار عن الفرس وأنسابها والملاهي والموسيقي والشراب وصناعة الأطعمة .[١] ألّف كتابا فى الجغرافيّة موضحا البلدان والأقاليم ومسالك الذهاب والإياب إليها .وكذلك طرق التجارة البرية والبحرية الهندية . وقد ذكر في هذا الكتاب الطبقات المختلفة الموجودة فيها ، ولو لم يسافر إلى الهند ، استند فى معلوماته على

[١] الأب فردنان توتال : منجد الأعلام –

جغرافية بطليموس (Ptolomy) . أضاف بهذه المعلومات ما جمعها الإخباريون . جعلته طبيعة عمله على علاقة دائمة بالتجارة ، والمسافرين إلى هذه البلاد.

ويذكر ابن خرداذبه طبقات الهند السبعة في كتابه "المسالك والممالك"ويقول : في الهند سبعة أجناس ، وهم الأشراف الذين فيهم الملك ، تسجد الأجناس كلّها لهم ، ولا يسجدون لأحد ، والبراهمة الذين لا يشربون الخمر والأنبذة ، والكشترية الذين يشربون ثلاثة أقداح فقط لا تزوّجهم البراهمة ، ويتزوّجون فيهم ، والشودرية الذين يختصون بالزراعة . والبيشة الذين يختصون بصناعات ومهن مختلفة، والسندالية (جندال) أصحاب اللهو واللحون ، وفى نسائهم جمال ، والذننبية (دوم) أصحاب لهو ومعازف ولعب .[١]

سليمان التاجر: (٢٣٧هـ)

هو أوّل رحالة عربى وصلتنا رحلته ، التى طبعت فى بارس عام ١٨١١هـ م . باسم "سلسلة التواريخ " . فقد كان تاجرا ، سافر من ميناء العراق ، يجوب البلاد ، حتى وصل في الصين . وقد طوف كل موانئ الهند . فكتب رحلته ، وأحواله المختصر ة، عام ٢٣٧هـ. ويعد المرجع الأوّل الذى ذكر بحر الهند "هركند" ومن ثم ، حفظه العرب بهذا لإسم وهركند هذا يطلق على الجزء الذى يجرى من حدود جنوب الهند . ويكتب عن بعض شواطئ جنوب الهند .وقد ذكر لنا سليمان التاجر أسماء أربعة ملوك لسواحل الهند ، أوّلهم ،الملك بلهرا ، ملك الملوك ، وقد نظم جيشه طبقا

[١] سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ ٢٠٠٨-صفحة ٤٤

للنظام العربى ،وسك النقود ، مكتوبا عليها بداية جلوسه على العرش . ويقول سليمان التاجر عن عادات أهل الهند هكذا : وإذا مات الملك ،ببلاد "سرنديبب" ... يهيّأ له الصندل ، والكافور ، والزعفران ، فيحرق به ، ثم يرمى رماده فى الريح . والهند كلهم يحرقون موتاهم بالنّار ....وربّما أحرق الملك ، فتدخل نسائه النّار ، فيحترقن معه ، إن شئن لم يفعلن ...وعن عادات الزواج وأهل الهند إذا أرادوا التزويج ، تهنّؤوا بينهم ، ثم تهادوا ، ثم يشهرون التزويج بالصنوج والطيول ، وهدينهم من المال على قدر الإمكان .

ومما يثير العجب عند العربى أن هذا البلد فيها تمر ، وهو أمر تعجب منه الرحالة العرب ."وللهند نحل .... ولهم ساير الشجر ، وثمر ليس عندنا ، وسائر الفواكه عندهم كثيرة . وتعدد الزوجات عندهم (أهل الصين والهند) مباح . "وليس الصين ولاالهند بأصحاب الفرش. وبتزوّج الرجل من... الهند ما شاء من النساء وطعام الهند الأرز ".

وقد أخذ الصينيون عقيدتهم من الهند . وليس لأهل الصين علم ، وإنّما أصل ديانتهم من الهند . وهم يزعمون أن الهند وضعوا لهم البدده ، وأنهم هم أهل الدين ".

المسعودي(٣٠٣هـ)

كان أبو الحسن علي المسعودي من مؤرّخي العرب الكبار ورحّالتهم البارزين والجغرافيهم المشهورين . ولد في بغداد من عائلة تنتسب الى الصحابي الجليل عبد

الله بن المسعود. قضى نحو خمسة وعشرين سنة في الرحلات والأسفار . زار خلال هذه الفترة الطويلة معظم البلدان في قارة آسيا وشمال الإفريقية مثل الشام وفلسطين ومصر وبارس والهند والسيلان ومدغشقر وآذربيجان وما وراء النهر حتى الصين .أقام في أنطاكية ودمشق والفسطاط وتوفي في مصر سنة ٩٥٦م . وقد ألّف كتبا عديدة في هذا الخصوص ولكن لم يبق منها الاّ كتابين هما "التنبيه والإشراف "ومروج الذهب ومعادن الجواهر" الذي تحتوي مقدّمته على مجمل تاريخ الأمم كلّها منذ بدء الخليقة . ولاسيّما الأمّة الهندية . وقد عابه النقاد على بعض ما جاء في هذا الكتاب من الإستطرادات والمعلومات غير الصحيحة.[١]

أبو زيد السيرافى (٢٦٤هـ)

نشأ أبو زيد فى مدينة سيراف ، على الخليج الفارسي. كان من التجار العرب البارزين .كان يسافر ما بين السيراف والهند والصّين بحريّا للأغراض التجاريّة . وقد قام بتدوين جميع العادات والتقاليد الغريبة التي كان يتمسّك بها سكّان هذه البلدان البعيدة.كانت معظم هذه الأخبار معجبة بالنسبة للعرب الّذين يعيشون في ظروف متغايرة . خلال رحلاته المتتابعة مرّة التقى به الرّحّالة الشهير المسعودي . كانت معظم رحلاته بناءا على المعلومات التي تلقّاها عند قراءة كتاب الرحّالة الشهير سليمان التاجر. وقد أمكن من خلال فترة رحلاته المستمرّة أن يضيف بذلك

[١] الأب فردنان توتل: منجد الأعلام ـــصفحة ٦٦١

الكتاب معلومات جديدة حول تلك البلدان وما فيها من التقاليد و العادات الغريبة.[1]

الإصطخرى (٣٤٠هـ)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الملقب بالإصطخري . كان رحالة ومن علماء الجغرافية المشهورين عند العرب . زار أكثر البلدان في قارة آسيا. استعان بكتاب "صور الأقاليم "لأبي زيد البلخي وألّف كتابا له بنفس الإسم[2] وكتابا آخر باسم "المسالك والممالك" الذي ذكر فيهأخبار عن بلاد الهند والسند ، وكابل ، وبلاد ما وراء النهر .وبالإضافة إلى بلاد العرب والفرس وقد وردت في هذا الكتاب أخبار عن بحر الهند .

إبن حوقل (٣٣١هـ)

كان تاجرا من تجار بغداد. غادرها عام ٣٣١ هـ الى البلدان الأجنبية. وسافر إلى أوربا وأفريقا وآسيا، وطاف أسبانيا وصقليّة، حتى وصل إلى الهند وصوّر أقاليمها في خرائط توضيحية تعدّ أوّل خريطة جغرافية عن اقليم من اقاليم الهند. طاف أنحاء الهند وذكر مزايا أقاليمها في كتابه المسالك والممالك. يعتبر أول جغرافى عربى يخبرنا فى كتابه عن طول الهند وعرضها.[3]

[1] سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ ٢٠٠٨-صفحة -٤٩
[2] الأب فردنان توتل – صفحة ٥٠ منجد الأعلام -
[3] سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ ٢٠٠٨-صفحة -٥٤ح

البشار المقدسى (٣٧٥ هـ)

هو شمس الدين محمد بن أحمد البشارى ،الملقب بالمقدّسي من مواليد بيت المقدس فى الشام .كان من الجغرافيين العربيين المشهورين. تجوّل نحو عشرين سنة في معظم البلدان الإسلامية. ولو وصل في الهند لم يتجاوز حدود اقليم السند . وقد جمع المعلومات التي تلقّاها خلال أسفاره الطويلة وألّف كتابا باسم "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" .يمتاز هذا الكتاب بما فيها من خرائط البلدان المختلفة التي زارها . ما الذي يهمّنا في هذا الكتاب بابه الأخير الذي يتحدث فيه عن السند وأخبارها .

البيرونى (٤٠٠هـ)

هو أبو الريحان البيروني الذي ولد بضاحية خوارزم . كان مؤلّفا عربيا كبيرا درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهنديّة . وكانت بينه وبين ابن سينا علاقة وطيدة .[١]وقد قدم الهند قبل ما يبدأ محمود الغزنوي حملاته الهندية ، من مؤلّفاته الشهيرة " الآثار الباقية من القرون الخالية"و "القانون المسعودي" الذي ذكر فيه كثيرا من المدن الهندية محددا فيها طول كلّ بلد من بلادها وعرضها . أما كتاب" تاريخ الهند " ففيه تفصيل كامل عن جغرافية الهند. ترجم هذا الكتاب الى اللغات الإنجليزية والهندية .

[١]منجد الأعلام - الأب فردنان توتل – صفحة١٥٤

ابن بطوطة

هو محمّد بن عبد الله ابن بطوطة من مواليد طنجة فى المغرب . كان من أشهر رحّالة العرب . طاف في أكثر أنحاء العالم المعروف وقتذاك. استغرقت رحلاته زهاء تسعة وعشرين سنة زار خلالها مصر والشام وفلسطين والحجاز والعراق وبلاد العجم وجنوبي بلاد العرب وافريقيّا الشرقيّة وبلاد آسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد خوارزم وما وراء فولغا وبخارا وأفغانستان والهند والصين وبنغال . ثم رجع الى بلاد العرب عن طريق جزيرة سوماترا وعاد الى المغرب ثم الى غرناطة . كان معروفا بملاحظته الدقيقة وأسلوبه الفكه ووصفه الأمين . ومن أشهر مؤلّفاته كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المعروفة برحلة ابن بطوطة. تُرجم هذا الكتاب الذي فيه جزء خاص بأحوال جنوب الهند الى اللّغات العالمية الكبرى مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

أبو الفدا إسماعيل بن علي (١٢٧٣ – ١٣٣١م)

هو الملك المؤيّد اسماعيل الملقّب بأبي الفدا. كان أميرا عربيّا من حماة .ولد في دمشق . اشتهر مؤرّخا وجغرافيا. ألّف كتاب "المختصر في أخبار البشر" في التاريخ وكتاب "تقويم البلدان" في الجغرافيّة . وقد وردت في هذا الكتاب أخبار عن المحصولات الزراعية المتوفّرة في كيرلا ولاسيما الفلفل وكذلك عن المسلمين الذين يقطنون في كولّم وسواحلها.[١]

[١]- كيرلا مسلنكض آورباوم آدياكال جرتروم- صفحة ٦١- ج ب ب موری

وبالإضافة الى المذكورين من المؤرّخين الكبار والرحّالة البارزين وصل في الهند عدد غير قليل من الرحّالة والجغرافيين الذين ألّفوا كتبا عديدة واصفين مزاياها الجغرافية والتطوّرات المختلفة التي تعرّضت لها. وكان من أشهرهم الجغرافي من ديار الشام زكريا الخنسوي الذي وصف كثيرا عن كيرلا ولاسيما مدينة كولم في كتابه "كتاب ترحيل البلاد".والجغرافي الشامي عبد الله الوصّاف الذي يقدّم صورة جميلة للشواطئ الطويلة الممتدّة من كولم الى نلّور ولمزايا جنوب الهند ومواردها الطبيعية المتنوّعة في كتابه بعنوان " تزجية العصر وتجربة العصر " ، والرحّالة العراقي الكبير أبو دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي الذي دخل الهند عن طريق البرّ ووصل في سواحل الهند الجنوبية مرورا بالصّين والتركستان وكابل والتبت وكشمير وملتان والسند والبحّار الفارسي بزرك بن شهريار الذي وصل مباشرا في سواحل الهند ثمّ سافر الى الصين واليابان ودوّن مشاهداته باللّغة العربيّة بعد الرجوع الى الوطن .[١]

ومن المفهوم من كثرة الرحّالة والجغرافيين الذين يتسابقون للوصول في الأراضي الهندية ولاسيّما في الأنحاء الجنوبية منها ووفرة الكتب المؤلّفة من قبلهم فيها ، أنّ الأراضي الهنديّة كانت مقصد الرحالة والجغرافيين الكبار من شتّى أنحاء العالم ومحطّهم الأخير منذ الأزمان القديمة . أمّا التي استرعت أنظارهم وجذبت قلوبهم الى هذه الديار فما كانت الاّ تلك المزايا الجغرافية التي تتمتّع بها والمواقع الإستيراتيجية

[١] المرجع السابق- صفحة-٦٤

التي تقع فيها والمحصولات الزراعية التي تنتج فيها بكثرة. جعلتها هذه العناصر الثلاثة موضع اهتمام الدّول الأجنبية ولاسيّما الدّول العربيّة والأوروبية منذ قديم الزمان. ولو لا هذه الأسفار المستمرّة والرحلات المتواصلة لكانت أخبار هذه الديار مدفونة تحت طيّ الكتمان .

***

الفصل الثالث

الاسلام فى كيرلا

عندما نتحدث عن قدوم الإسلام الى الهند وخاصة في كيرلا يرد الى أذهاننا عنصران، يختلف كلّ منهما عن الآخر . اما العنصر الأوّل فيمثله الدعاة الذين غادروا ديارهم في الجزيرة العربية قاصدين البلدان في شتى أنحاء المعمورة منذ ظهور الإسلام. والعنصر الثاني يمثله الغزاة الذين خرجوا من الجزيرة العربية لتوسيع نطاق حكمهم وحكم الخلفاء الذين ينتمون اليهم . كان الدعاة الذين وصلوا هنا يرتكزون على نشر التعاليم الدينية باستخدام المواعظ والإرشادات . وكانوا متصفين بما لديهم من الأخلاق الكريمة والقدوة الحسنة التي اجتبذت اليها قلوب السكان الأصليين . أما العنصر الآخر الذي يمثلها الملوك والأباطرة المسلمون فكان متصفا بما لديه من الرغبة الشديدة للإستيلاء على القدر الممكن من الأراضي التابعة للآخرين. فكانت عمليّاتهم كافية لإيجاد العداوة والبغضاء بين الطوائف المختلفة . اما الدعوة الخالصة والفكرة المحضة التي جاء بها الدعاة فكان لها أعمق الأثر فى تاريخ الإسلام والمسلمين فى شبه القارة الهنديّة .

يرجع فضل إنتشار الدعوة الإسلاميّة فى هذه البقعة الواسعة الأرجاء إلى دعاة من المسلمين العرب والهنود الذين تشبّعوا بروح الإسلام السمح ، وبذلوا جهودا جبارة

فى سبيل نشر دين الله المتين فى كلّ بقعة نزلوا فيها ، وكان من أهم دوافعهم فى ذلك قوله تعالى :"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن " (سورة النحل -١٢٥). وبدأت هذه الجهود الفردية فى الهند قبل الفتح الإسلامى الأول الذى قام به "محمّد بن القاسم الثقفى " فى نحو عام ٩١هـ من الهجرة النبوية فى شمالى القارة الهندية ، فلا يرجع فضل إنتشار الدعوة الإسلامية فيها إلى الملوك والأباطرة المسلمين الذين قاموا بالفتوحات العسكرية فى شبه القارة الهندية بعده وأقاموا حكمهم فيها ، بيد أنّهم تركوا بعض الآثار الإسلامية القيمة من المساجد الفخمة والقلاع الضخمة ، وأسدوا خدمات جليلة لإحياء بعض العلوم والفنون والآداب ، وأضافوا إبتكارات علمية وفنّية فى تاريخ الهند المجيد .[١]

حاول العرب بعد البعثة النبوية لإنتشار عقاعدهم فى كلّ أنحاء العالم . فصار مصر والفارس تحت راية الإسلامية بعام ٦٤٠ م . لمّا غلب البلدان التي لها علاقة وثيقة بالتجارة مع كيرلا منذ قديم الزمان مثل البابل والفارس إنتشر الإسلام بكل سهولة فى أنحاء منطقة مليبار الذي كانت مشهورة للتعايش السلمي بين السكان المليباريين والتجار العرب .

وكانت مزايا منطقة كيرلا الجغرافية من أهم دوافع دخول الإسلام فيها. نرى أن شواطئ الهند الغربية كانت مركز ارتياد التجار والرحّالة العرب منذ أقدم العصور . وكذلك كانت طريقهم الرئيسي الى جزيرة سيلان والصين وجاوة وغيرها من بلدان

[١] د. محي الدين الآلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة – الناشر –دار القلم –دمشق – ١٩٨٦- صفحة ٨

الشرق الأقصى . وكانت الأغراض السياسية من الدوافع الثانية التي سبّبت دخول الإسلام في شبه القارة الهندية أوّلا عن مناطق السند الواقعة على شاطئ الهند الشمالي الغربي حيث قدم محمّد بن القاسم الثقفي فاتحا في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي. وثانيا عن الحدود الشمالية الغربية المتاخة لأفغانستان وإيران حيث قدم السلطان المشهور محمود الغزنوي .

وكان من الطبيعي أن يتحدث التجار العرب المسلمون عن الدعوة الجديدة التي ظهرت في ديارهم للأصدقاء الهنديين الذين يجدونهم في موانئ الهند ومراكزها التجارية وأن يحاولوا لنشر تعاليمها بينهم. سبّبت هذه الظاهرة الى حدّ ما الى انتشار التعاليم الإسلامية في هذه الديار وانشاء رابطة بينهم وبين النبي (صلعم). وبالإضافة الى هذا ،بناءا على ما أكّده بعض المؤرّخين مع الأدلّة الكافية ،كان من المحتمل أن يبحث النبي(صلعم)واحدا برسالته الى ملك مليبار ضمن الرسائل العديدة التي أرسلها الى الملوك والحكّام في قارتي آسيا وأفريقيا .[1]

وممّا يتّضح من الشواهد التاريخية أنّ ملكا من ملوك هذه المنطقة باسم راما ورما كولاشيكهرا برمال المشهور باسم "جيرمان برمال " سافر الى جزيرة العرب لمقابلة النبي(صلعم). نرى هذه القصّة فى كتاب "تحفة المجاهدين" لصاحبه الشيخ زين الدين المخدوم الصغير حيث قال : "وذلك أن جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد مليبار يقال لها "كدنكلّور " وهي مسكن ملكها ، فى مركب كبير

[1] د. محي الدين الآلوائي – الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة – الناشر –دار القلم –دمشق – ١٩٨٦- صفحة ١٨٣

بعيالهم وأطفالهم، وطلبوا منه الأراضى والبساتين والبيوت وتوطّنوا فيها، وبعد ذلك بسنين وصل إليها جماعة من الفقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان[١] ، فلمّا سمع الملك[٢] بوصولهم طلبهم وأضافهم وسألهم عن الأخبار ،فأخبره شيخهم بأمر نبيّنا محمّد (صلّعم) وبدين الإسلام ،وبمعجزة إنشقاق، القمر فأدخل الله سبحانه وتعالى فى قلبه صدق النّبي (صلّعم) فآمن به ودخل فى قلبه حبّ النبي (صلّعم) ، وأمر الشيخ بأن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم ،ومنعه أن يحدث بهذا السر المليباريين ، ثمّ إنّهم سافروا إلى سيلان ، ورجعوا إليه فأمر الملك الشيخ بأن يهيّأ مركبا لسفره من غير أن يعلم به أحد ، وكان فى البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء فقال الشيخ لصاحب مركب أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوا فى مركبك فرضي بذلك صاحب المركب ، ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزرائه عن الدخول عليه مدّة سبعة أيّام ، وعيّن فى كلّ بلدة من بلدانه شخصا ، وكتب لكلّ واحد منهم كتابا مفصّلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذى عيّنه....."[٣].

وكان ملكا متواليا فى جميع مليبار وحدّها من الجنوب كمهرى[٤] ومن الشمال كانجركوت ، ثمّ إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء فى المركب ليلا ، وسار المركب

[١] سيلان تعرف منذ ١٩٧٢ بإسم جمهورية سري لنكا وكانت العرب تسميها "سرنديب
[٢] والمشهور أن هذا الملك كان اسمه شيرمان برمال وبعضهم يقول هو "بالى بانا برمال"
[٣] عبدالقادر بن الشيخ يوسف الفضفرى جواهر الأشعار وغرائب الحكايات والأخبار - سى يم برس ترورنغادى- صفحة ٢٠٨
[٤] كنياكمارى

حتّى وصل إلى فندرينة[1] ونزل فيها ولبث يوما وليلة ، ومنها سار المركب إلى "درمفتن"[2] ونزل فيها ولبث ثلاثة أيّام ، ومنها سار المركب حتى وصل إلى شحر[3] ونزل فيها هو ومن معه ، وبعد مدّة طويلة رافقة جماعة فى السفر معه إلى مليبار لعمارة المساجد ، وإظهار دين الإسلام فيها ، ثم إن الملك مرض واشتدّمرضه فوصى أصحابه الّذين رافقوه وهم شرف بن مالك وأخوه من الأم مالك بن دينار وإبن أخيه مالك بن حبيب بن مالك وغيرهم ، بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته فقالوا :" نحن لا نعرف موضعك ولا حدّ ولايتك ، وإنّما أردنا السفر بصحبتك " فتفكّر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخطّ مليبار عين فيها مكانه وأقربائه ، وأسماء ملوكها وأمرهم أن ينزلوا فى كدنغلّور أو درمفدن أو فندرينة أو كولّم وقال لهم لاتخبروا بشدّة مرضى ولا بموتى إن مت أحدا من المليباريين ، ثم إنّه توفي رحمه الله رحمة واسعة ....."

ومن المفهوم من الإقتباسات المذكورة أنّ زين الدين المخدوم لم يذكر شيئا عن الملاقات بين الملك شيرمان بيرمال و الرسول (صلّعم) .

عندما نتصفّح صفحات كتاب "تاريخ مسلمي كاليكوت" في اللغة الميالميّة بقلم الباحث الكالكوتي الشهير برابّيل ممّد كويا يتّضح لنا أنّ ملوك كيرلا القدماء كانوا مهتمين بالعلوم الفلكيّة . وقد شاهد منهم "بانا برمال" ملك كدنغلّور حادثة انشقاق القمر ، وقد جمع المنجمين فى قصره وقص عليهم ما حارته من هذه الحادثة الخارقة . بعد البحث والتنجيم أخبروه بأن ذلك معجزة وقعت فى بلاد

---

[1] من أقدم موانئ كيرلا . وهي الأن بنتلاينى كلّم ،تقع قريب كويلاندى

[2] مشهورة بإسم دهرمابتّنم أو دهرمدم ، وهي تقع قريب تلشّيرى

[3] شحر مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الهندى قريبا من يمن وهي الآن فى صلالة

العرب . ولم يزل الملك يحاول للإتصال بالتجار العرب الّذين ما فتئوا يفدون إلى كيرلا فى تلك الآيّام والاستطلاع على حقيقة هذه المعجزة . لما تحقق من شروحهم صحة ما شاهدها من المعجزة ذهب سرّا بعد تدوين أخبار هذه الحادثة فى الصفائح النحاسية مع التجار العائدين إلى مكة لمقابلة الرسول الله (صلعم) واعتناق الإسلام.[1]

هذه الروايات وغيرها تقدّم لنا صورة مبهمة عن التطوّرات التي أدّت الى وصول الإسلام في الأراضي الهندية . هناك آراء مختلفة لدى العلماء والمؤرّخين حول دخول الإسلام في كيرلا وعلى الأخص عن اسم الملك الكيرلي الذي عاصر النبي (صلعم) وسافر الى مكّة لملاقاته .أما الشيخ زين الدين المخدوم الصغير صاحب كتاب " تحفة المجاهدين" فلم يذكر شيئا عن مقابلة جرت بينه (صلعم) وبين ملك من كيرلا وصل في حضرته معتنقا الإسلام . مالّذي ذكر في هذا الصدد اسم الملك جيرمان برمال الذي وردت أخبار سفره الى الجزيرة العربية في هذا الفصل.وفي رأي بعض المؤرّخين سافر ملكان من ملوك كيرلا الى الجزيرة العربية . هما الملك بانا برمال الذي عاصر النبي (صلعم) والملك جيرمان برمال الذي عاش بعد النبي (صلعم) . أمّا الأوّل فيقول عنه "لالاهانسراج " رئيس فرقة هندوكيّة ، بناءا على ما قرأ في بعض المخطوطات الحجريّة ، أنّ ملك كدنغلّور شاهد حادثة انشقاق القمر واستعان بالمنجّمين لمعرفة ما ورائها من الأسرار . لمّا علم منهم أنّ تلك الحادثة تدلّ

[1] د/ أبوبكر محمّد - مقاومة الإستعمار البرتغالى كاليكوت ٢٠٠٧م –ص-١٥٠

على معجزة وقعت فى بلاد العرب .أبدى رغبته في الذهاب الى الجزيرة العربية لملاقاة صاحب المعجزة النبي (صلعم). وقد اتّصل بالتجار العرب الذين كانوا يرتادون دياره وتحقق من شروحهم صحة ما شاهدها من المعجزة ثمّ ، بعد تدوين أخبار هذه الحادثة فى الصفائح النحاسية، غادر دياره مع التجار العائدين إلى مكة حيث التقي بالنبي (صلعم) واعتنق الإسلام وصار من أتبّاعه الكرام .[1]

خروج الفاضل مالك بن دينار وأصحابه إلى كيرلا

وما هو الأجدر بنا في هذا الصدد أن نرجع مرّة أخرى الى كتاب تحفة المجاهدين حيث نرى شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب قد توجّهوا الى مليبار مع عائلتهم و رفقائهم وبعض أقربائهم الأقربين بعد موت الملك جيرمان برمال المعروف باسم تاج الدين الذي اعتنق الإسلام . وبالإضافة الى المذكورين كان في تلك الجماعة عشرة من أبناء مالك بن دينار وبناته الخمسة وزوج مالك بن حبيب مع أولادهما وأقربائهم الأقربين بالإضافة الى اثنين وعشرين من العلماء الكبار والفقهاء البارزين .[2] وصلوا إلى "كدنغلّور " كما أوصى بهم الملك المرحوم تاج الدين ونزلوا فيها وأعطوا مكتوب الملك إلى أقربائه وأخفوا خبر موته عنهم ،فلمّا قرأواها وعلموا مضمونها أعطوا هؤلاء الدعاة الأراضى اللازمة لتشييد المساجد وبناء المساكن لهم . أقام مالك بن دينار ورفقاؤه فى "كدنغلّور" وبنوا هناك مسجدا . وارتحل إبن أخيه مالك بن حبيب مع أسرته إلى "كولم" حيث بنى مسجدا ،و أسكن عائلته بجوارها.

---

[1] برابيل ممّدكويا – تاريخ المسلمين في كاليكوت (مليالم) --فوكس بيلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤ ص-٣٥

[2] البشرى--مجلّة علميّة أدبيّة ثقافيّة١ - ٢٥ كانون الثاني (يناير)١٩٦٣- صفحة: ٩

ثم غادرها إلى بلدة "هيلى" وبنى فيها أيضا مسجدا . ثم انتقل إلى قرية بعد أخرى حتى وصل الى "باكنور" و"منجلور" "وكانجركوت" "وقام بتشييد المساجد في كلّ منها. بعد قليل عاد مالك بن حبيب ومالك بن دينار مع بعض أصحابهما إلى "شحر" حيث زاروا قبر الملك جيرمان برمال الذي فارق الدنيا طريقة عودته معهم الى كيرلا . ومن هنا سافر مالك بن دينار إلى خراسان حيث فارق الحياة الدنيويّة . ورجع مالك بن حبيب الى مليبار وأقام أولاده فى "كولم" وانتقل مع زوجته "قمريّة" الى "كدنغلّور حيث مكثا حتّى وافاهما الأجل.[1]

أوّل مسجد أسّس فى كيرلا

أمّا ملك كدنغلّور الذي تلقى رسالة الملك المذكور فقد أكرم وفادة المسلمين تحت رئاسة مالك بن دينار وقام بتنفيد أوامره كلّها . وقد أعطى له قطعة من الأرض قريبة من عاصمته لبناء المسجد. هكذا تمّ تشييد أوّل مسجد في الهند بكلّ التّشجيعات والتأييدات من قبل ملك هندوكي كان دائما يشجّع رعيّته ويحرّضهم على تقديسه مثل ما يقدّسون هياكلهم ومعابدهم الأخرى . وقد أجاز الملك للمسلمين بالإقامة قريبا من المسجد . وقد اعتنى بإدارة المسجد ومصالح المسلمين حق الإعتناء وأحبّهم من صميم قلبه. وكان يشاور مالك بن دينار فى جميع الأمور التي تتعلّق بالدّولة وما فيها من الرعيّة .

[1] محي الدين آلوائى - الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة – الناشر –دار القلم –دمشق – ١٩٨٦ -صفحة١٤٦

يعتبر مسجد كدنغلّور المسجد الأوّل الذي بني في شبه القارة الهنديّة. بعد اتمام بناء هذا المسجد توجّه المسلمون الى المناطق الأخرى في كيرلا لنشر الدعوة الإسلاميّة ومن هذه الأماكن المختلفة التي وصل فيها المسلمون وشيّدوا فيها المساجد:

باكنور[١] ومنغلابرم[٢] و كاسركود و إيزمالا[٣] وشريكندبرم و درفتن و فندرينة وكولم وشاليم[٤] تعد هذه الأماكن العشرة مراكز المسلمين الأولى في الهند التي بنيت فيها مساجدهم العشرة القديمة .

وفاة الدعاة المبلّغين

فلما فرغ مالك بن حبيب ومالك بن دينار من بثّ الدعوة الإسلامية وتبليغ الدين الحنيف الى سكّان كيرلا ومن تشييد المساجد العشرة المذكورة رجعا إلى كدنغلّور وأقاما بها فترة ثمّ قاما بزيارة الى المساجد المذكورة . بعدما وصلا في كدنغلّور عزم مالك بن دينار على مغادرة كيرلا فشد رحله إلى كولم ولبث فيها أيّاما ثم ارتحل مع مالك بن حبيب منها إلى الشحر حيث قاما بزيارة الى ضريح الملك جيرمان برمال. ومن هنا سافر مالك بن دينار الى خراسان حيث أصاب به المرض ولازم الفراش وتوفي بعد بضعة أيّا م . أما مالك بن حبيب فرجع إلى كدنغلّور وأقام بها مستغرقا في النشاطات الدعوية بما فيها ادارة المساجد وتعميرها واصلاحها وكذلك الإشراف على شؤون المسلمين وقضاياهم المختلفة والتحكيم فيها. وقد ظلّ هكذا يسدي

---

[١] تقع فى ولاية كرنادكا وهى معروفة اليوم بإسم "بدكل"

[٢] منجلّور هذه المدينة تدعى الآن "مانغلور وهى تابعة لولاية كرنادكا

[٣] هيلى ماراوى المعروفة الآن بإيزمالا سلسلة جبال مرتفعة من الساحل ب٧٥٥ قدما وهى تقع على مسافة ٢٥كلوميتر من كنّور

[٤] الأستاذ كى يم. بهاوالدّين - كيرلا مسلنكض جرتّ نلبنرّ جرترم- الناشر- إسلامك ببلشنغ هوس - صفحة ٤٠-٤١

خدمات جليلة في سبيل نشر الإسلام موقّرا مكرما لدى جميع أهل الملل والنحل على اختلاف طبقاتهم حتى لحظة فراقه الحياة الدنيوية.[1]

تأثير دعوة مالك بن حبيب وأثار عمله فى كيرلا

كان لمالك بن حبيب دور كبير لا يستهان في انتشار نور الإسلام في ربوع كيرلا. وقد أدّت الطريقة التي سلكها عند القيام بنشر التعاليم السماويّة هنا الى دخول الناس أفواجا الى الدين الحنيف تاركين اعتقاداتهم الخاطئة الى الوراء . إن هذا الداعي الكبير الذي خرج الى النّاس مستجيبا لقوله التعالى "ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن " دعى النّاس الى الدّين الحق بكلّ الحكمة البالغة والموعظة الحسنة . هذا كلّها بالإضافة الى ما لدى المسلمين من الأخلاق الكريمة والمعاملات الحسنة التي دائما تحضهم على العدل والمساواة بين النّاس بدون أيّ ما تفرقة دينية أو جنسية أو عرقيّة . وقد كان مالك بن حبيب في نفس الوقت مستغرقا في النّشاطات الأخرى التي تؤمّن السّعادة لكافّة النّاس بتطوير مرافق الحياة المختلفة وتحسينها . ومن أهمّ هذه الخدمات تلك الإجراءات العديدة التي أخذها لتوسيع الطرق والشوارع وتعبيدها وتأسيس العيادات الطّبية والمستشفيات وإقامة الأسواق التجاريّة..[2]وفي الجملة أدّت نشاطاته المختلفة لإيجاد الكثير والكثير من التغييرات الجذريّة في المجتمع الكيرلي في تلك الأيّام .

---

[1] البشرى--مجلّة علميّة أدبيّة ثقافيّة١ - ٢٥ كانون الثاني (يناير)١٩٦٣- صفحة : ١١

[2] المرجع السابق -- صفحة: ١

الرسول وأهل الهند

كان الرسول (صلعم) وأصحابه يعرفون الهنود والأشياء الهندية ، وقد جاء ذكر بعض من ذلك فى مناسبات متعدّدة على لسانه (صلعم) كما يروى الإمام ابن حاتم والإمام بن عبد الله الحاكم والإمام ابن جرير الطبرى والإمام السيوفي عن ابن عباس رواية صححها الحاكم :"إنّ أوّل ما أهبط آدم على الأرض الهند " وفى لفظ آخر فى "دجنى"أرض الهند . ويقول العلماء ان دجنى معرب من دكهن والمراد منه "سرنديب "فى جنوب شبه القارة الهندية . وفى رواية أخرى منقولة عن إبن عبّاس أن رسول الله (صلعم) قال : إنّ أوّل ما نزل آدم نزل بمكة مكان البيت الحرام ،ثمّ ذهب من هناك إلى الهند فتخطّى فإذا هو بأرض الهند فمكث هناك إنشاء الله [1].

وكذلك روي عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حكايات فى صفة هبوط آدم من الجنّة وما أهبط معه وما صنع عند وصوله إلى الأرض ، وعن على (رضى) أنّه قال: "أطيب ريح الأرض الهند هبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنّة"[2] .

وفى الصحيحين رواية عن أبى موسى أنّ النّبى الكريم قد أكل لحم الدجاج وجاء فى حديث آخر (دجاج سندي) وهذا يدلّ على أن لحم الدجاج السندى كان معروفا ومستعملا فى عهد النبى (صلعم) . وقد صرح الإمام أبو الوليد محمّد بن عبد الله الأزرقى المكى عند الكلام عن تاريخ مكة أنّ عبد المطلب قد وجد فى زمزم سيوفا

[1] محي الدين آلوائى - الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة – الناشر –دار القلم –دمشق – ١٩٨٦ -صفحة ١٣٣
[2] - علامة صديق حسن خان: فتح البيان فى مقاصد القرآن – القاهرة- صفحة ١١٥

هندية ، وأنه استعملها فى أبواب الكعبة وظلّت موجودة هناك إلى زمان النّبى (صلعم) وأن العرب كانوا يشترونها ويضعونها فى الكعبةمشيرا الى السّيوف الهنديّة التي تستعمل واسعا في الجزيرة العربية. يقول الشاعر "كعب بن زهير:

إنّ الرسول لسيف يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول

ومن أغلب الظّن أن كلمة مهنّد المذكورة هنا تشير الى السيوف المصنوعة في الأراضي الهندية وكان الهنود يسافرون ذهابا وإيابا في عهد الرسالة إلى البلاد العربية. عندما ظهرت دعوة النبي (صلعم) إلى الإسلام وذاع أمره في العالم الخارجي حرّض كسرى فارس حاكمه باذان في اليمن على محاربته (صلعم).وأما هرقل الروم فقد أجرى تحقيقات مع أبي سفيان عن الدعوة الجديدة ، وأما النجاشي فقد استوضح الأمر من المهاجرين العرب إلى الحبشة . وعلى هذا يمكننا القول بأنّه من المحتمل جدا أن الهند أيضا قد وصلها مثل ما وصل لغيرها من ظهور نبي بالعرب يدعو إلى دعوة جديدة ،فإنّنا نجد روايات تدل على أن رجال الدين والحكام والأمراء في الهند، قد سعوا لإيجاد وسيلة لكي ينشئوا علاقات مباشرة بينهم وبين نبي الإسلام ، كما رغبوا في التعرف عليه وفهمه .

هدية الحاكم الهندي للرسول

هناك روايات عديدة تدلّ على أنّ حكام الهند وملوكها كانوا يتعوّدون إرسال الهدايا والتحف الى جيرانهم من الملوك العظماء . وقد ذكر الدّكتور محي الدّين الآلوائي شيئا من هذا القبيل فى كتابه " الدّعوة الإسلاميةّ وتطوّرها فى شبه القارة الهنديّة

" حيث يذكر مقتبسا من بعض الأحاديث النبويّة الشريفة "أنّ ملكا من ملوك الهند أرسل الى رسول الله(صلعم)جرّة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه كل منهم قطعة ، وأطعمنى منها قطعة وقد تناول الرسول لنفسه منها ".[1] حسب رواية أخرى أن أحد حكام الهند قد أرسل بهدية من زنجبيل إلى رسول الله ، والظاهر أيضا أنه بعث بها رسولا خاصّا وكان يحمل معه رسالة تعبر عن الحبّ والصداقة ، وأن الرسول قد أثنى فى جوابه على هذا الحاكم وعلى رسوله ، ويغلب على الظن ان ذلك كان بعد الهجرة .

***

[1] محي الدين آلوائى - الدعوة الإسلاميّة وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة – الناشر –دار القلم –دمشق – ١٩٨٦ -صفحة ١٣٧

الباب الثانى

قدوم البرتغاليين إلى كيرلا والثورات الشعبية المترتّبة

- الفصل الأوّل : قدوم التجار البرتغاليين وعلاقاتهم بملوك مليبار
- الفصل الثاني : جرائم البرتغاليين وفضائحهم
- الفصل الثالث: الثورات الشعبيّة ضدّ البرتغاليين

الفصل الأوّل

قدوم البرتغاليين الى كيرلا

انتشرت حضارة الاسلام في شتّى أرجاء المعمورة . لمّا وصل نوره إلى سواحل أفريقا وأوربّا ازداد العرب فى هاتين القارّتين عزّا وشرفا. وكان أساس تقدّمهم الدّينيّ والتّجاري في شتّى أنحاء العالم متانتهم الاقتصاديّة التي أمّنتها لهم نشاطاتهم التجاريّة العريقة ولاسيّما الاتّجار بالموارد الطبيعية والمحصولات الزراعية بما فيها التوابل المختلفة والعطورات المتنوّعة من ديار مليبار . وقد سبّب احتكار العرب بمثل هذه البضائع التجاريّة التي نادرا ما تُرى خارج الديار المليبارية لتراكم ثروتهم وانتشار دينهم الإسلام في أنحاء العالم . إنّ هذا التطوّر المدهش في حياة العرب وتقدّمه الشامل في شتى مجالات الحياة أذهل الدول الأجنبية شرقا وغربا . وكان الدّول الأجنبيّة تضطرّ إلى الاعتماد على العرب لمتابعة نشاطاتهم التجارية ولاسيّما في هذه المواد. حاولت هذه الدول ولاسيّما البرتغاليّون منهم والإنجليزيون للغلبة على العرب والسّيطرة على عمليّاتهم التجاريّة . وكان البرتغاليّون هم الّذين تجرّؤوا أوّلا لهذه المغامرة الهائلة بخروجهم إلى شيه القارة الهنديّة قاصدين مدينة كاليكوت، مركز العرب التجاري الشهير في تلك الأيّام .

هناك الكثير والكثير من المصادر والوثائق التاريخية التي تسلط الضوء على قدوم البرتغاليين و تاريخهم في ربوع كيرلا. ولو توجد هناك آراء متنوّعة ،إن معظم

الباحثين والمؤرخين يتفقون على أن البرتغاليين وطئت أقدامهم تراب كيرلا في سنة ١٤٩٨م.

قدوم واسكودغاما الى كيرلا

خرج البرتغاليّون تحت قياد واسكودا غاما (Vasco-da Gama) الى الهند في سنة ١٤٩٦م [١]منتدبا ملكها إيمّانوول (Emmanual) الّذي أرسل أسطولا بحريّا تحت قيادته بكلّ التبريكات و التمنيّات [٢] على متن سفينة شراعيّة تدعى" ساموجبريل.[٣] " عند انتدابه إلى الهند كان الملك يريد من واسكودا غاما أن يمهّد طريقة بحرية جديدة إلى البلاد الهندية حتّى يتسنّى له توسيع نطاق العلاقات التّجاريّة مع الدّول الشّرقيّة . وقد خرج غاما وأصحابه الى الهند في ثلاث سفن شراعيّة كبيرة يحملون معهم المواد الغذائيّة الكافية لثلاث سنوات .عند الخروج من السواحل البرتغاليّة كانوا لا يعرفون شيئا عن الطرق البحرية المؤدّية إلى سواحل مليبار. بعد رحلة طويلة مملّة دامت شهورا في مياه البحر المتوسّط بدون أدنى معرفة عن الطريق البحري إلى الهند ، وصلوا في بقعة "ميلندة"[٤]على السواحل المغربية في قارّة إفريقية[٥]. وفي الحقيقة كان وصولهم في السواحل المغربية نقطة تحوّل في مجرى رحلتهم الى الهند . ولو تملّكهم يأس شديد لم يدم طويلا حتّى قدّم إليهم ملك مغربي المساعدات المطلوبة لمتابعة الرحلة الى الهند و عيّن لهم قائدا عربيّا

---

[١] سردار ك . ن .بنكّر -تاريخ كيرلا

[٢] برابيل ممّدكويا : تاريخ المسلمين في كيرلا – الناشر –فوكس بيلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤صفحة ٥٢

[٣] Savo Gabriel

[٤] Malinda

[٥] اى –شريدهر مينون – تاريخ كيرلا(مليالم) – صفحة ٢٦٩

باسم شهاب الدّين أحمد بن ماجد الذي أرشدهم الى شبه القارةالهنديّة.[1] ولو لا ابن ماجد هذا لما كان للبرتغاليين والإنجليزيين بعدهم الوصول في سواحل مليبار.

بناء على الإرشادات القيّمة من ابن ماجد بدأت السفن أن تجيئ في مياه البحار تمخر أمواجها . وقد مضت أيّام وشهور بدون أن يظهر أمامهم ولو أثر طفيف للبرّ. ما كانت الرّياح التى تهبّ بشدّة والأمواج المتلاطمة التي تكاد أن تغرق سفنهم في قاع البحر كافية لإطفاء همّتهم وعزيمتهم . واصلوا رحلتهم إلى الأمام يتحمّلون كافة المشقّات والصّعوبات شهورا عديدة حتّى وقعت أنظارهم على قطعة من البرّ ممتلئة بالكثير والكثير من الأشجار والنّباتات الملوّنة .وقد .تهلّلت أسارير وجه غاما وأصحابه وابتهجوا ورقصوا وتحدّثوا بأنّ هذه كالكوت ، أرض الطيب والفلفل والزّنجيل وما اليها من الثروات المجيدة والأمتعة الثمينة. أرست السفن فى مرفأ"بندلاينى " قريب من كالكوت بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٤٩٨م . وكان من مركز عظيم الاثر فى النشاطات التجارية وغيرها فى تلك الأيّام. حينما وجد صيّادو السمك من كاباد هذا الوفد العظيم مع أزيائهم وألسنتهم الغريبة وسفنهم الهائلة تحيّروا وأسرعوا الى المدينة بكلّ الارتباك الشديد وأخبروا النّاس عن وصول هؤلاء الغرباء.

يتحدّث الشيخ زين الدين المخدوم في كتابه الشهير "تحفة المجاهدين"عن مجيئ البرتغاليين إلى مليبار ويقول :" إنّ وصولهم إلى مليبار كان في سنة أربع وتسعمائة من الهجرة النبويّة فى ثلاثة مسماريات[2].وقد بقوا فيها حتى انقطاع موسم المطر ثمّ

[1] برابيل ممّدكويا – تاريخ المسلمين في كيرلا – الناشر –فوكس ببلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤صفحة ٥٢
[2] نوع من المراكب البحريّة التي تستعمل المسامير لربط ألواحها

خرجوا منها الى بندر كالكوت فى طريق البرّ وأقاموا فيها شهورا يتعرّفون على أخبار مليبار وأحوالها. ولم يشتغلوا بالتّجارة بل رجعوا الى بلادهم برتكال وكان وصولهم إلى مليبار- كما يقال -لفتح طريقة بحرية الى بلاد الفلفل ليستبدّوا بتجارته دون سواهم من التجّار..... ".[1]

دعنا الآن نتأمّل بعض الشيئ في مايحكى القاضى محمّد فى قصيدته الشهيرة "فتح المبين " عن قدوم البرتغاليين : قائلا [2]:

وذاك أنّ أخبث الخلائق المقتدي لأنجس الطرائ

أعدى عدوّ الله والرسول ودينه وأمّة الرّســـــول

وهو الفرنجي عابد الصلبان وساجد الصّورة والأوثان

كريمة الهيئة والأشـــــــكال أزارق العينين كا لأغوال

ذو المكر والطغيان والخديعة أبعد خلق الله عن طهارة

لما أتى في الهنـــــــد كالجراد متّجرا بنيّة الفســـــــاد

ليجعل الفلفل والزّناجـــــيل لنفسه وللورى كالنّارجيل

عام ثلاث بعـــــد تسعمائة من هجرة المختار بين النّسمة

وجاء عند السامرى بالتحفة ورام أن يكون كالرّعيّة

وقال انّي أعمر البلادا وأدفع الأعداء والفسادا

[1] زين الدّين بن محمد الغزالي الفنّاني المليباري - تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين – تحقيق – حمزة جيلاكودان –الناشر –مكتبة الهدى – كاليكوت -١٩٩٦ –صفحة -٣٦

[2] القاضي محمّد بن عبد العزيز – قصيدة الفتح المبين – بيت ٥٣-٦٥-

ويوضّح في هذه السطور أنّ البرتغاليين هم أخبث مخلوقات خلقة وأدلّهم خلقا وأكثرهم خطرا وأشدّهم عداوة للإنسانيّة عامّة ولله ولرسوله وللمؤمنين خاصّة . لا يبولون إلاّ قائمين كالكلاب .هم أبعد خلق الله عن الطهارة والقداسة . شعارهم الوحيد الغدر والمكارة وسيماهم البارز الخديعة والخيانة .وطئت أقدامهم السواحل الهندية متظاهرين بزيّ التّجار مضمرين ما في داخلهم من النوايا الخاطئة لنشر الفساد والاستيلاء على المسارح التجارية والسيطرة على المنتوجات الزراعيّة .[1]

ومن الواضح أن واسكودا غاما وأصحابه نزلوا على ساحل كاباد في اليوم السابع من شهر مايوا سنة ١٤٩٨م ومعه ثلاث سفن مفعمة بثمانين جنديّا مسلّحين وعشرين مدفع .

يبيّن المؤرّخ المليباري الشّهير "سردار كى م بنكّر" بالتّفصيل عن رحلة واسكودا غاما الى كالكوت فى كتابه "تاريخ كيرلا" حيث يقول:" وصل غاما وأصحابه الى "مليبار" من افريقا الشّمالية بعد مغادرة ديارهم في برتغاليا سنة ١٤٩٦م طائفين حول رأس الرّجاء الصّالح (Cape of Good Hope) حيث وكّل لهم ملكهم قائدا غجراتيا يقودهم إلى الهند" .

يحكى القبطان كى بى راجن عن قدوم البرتغاليّن فى كتاب ألّفه في اللّغة المليالميةبعنوان "عبر تواريخ موانئ كيرلا " حيث يقول :إنّ الجندي البرتغالي "برتلوما دياس" (Bartolmeu Dias) الذي عبر بحر جبل الطارق وصل في أقصى الشمال

[1] الأستاذ منكدا عبد العزيز مولوي – قصيدة فتح المبين - ترجمة وتفسير – الناشر: مكتبة الهدى– صفحة ٤١-٤٢

الغربي من سواحل القارة الإفريقيّة .[1] كان يتنقّل بين الشمال والجنوب للعثور على مسار بحري يؤدّي الى الهند . وفي الوقت نفسه تسنّى لجاسوس برتغالي باسم "كوفيل هو" أن يجمع معلومات عن مختلف الطرق البحريّة الى كاليكوت . أمّا "إمّانول" ملك برتغاليا فقد أراد أن يستفيد من تجربة الأوّل ومعلومات التي جمعها الثاني. وقام بتدميجها وسلّمها الى واسكودغاما معيّنا إيّاه لإكتشاف مسار بحري مناسب الى كاليكوت .

أمّا ما نراه في كتاب" تاريخ الهند" للمؤرّخ اي شريدهرا مينون عن قدوم البرتغاليين إلى الهند: " تكتّلت القوّات الأوروبيّة كتلة واحدة تحت راية برتغاليا وزعامتها للسيطرة على شبه القارّة الهنديّة منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر . وكانوا يستخدمون الطريقين المختلفين لإجراء معاملاتهم التّجاريّة مع الهند، أحدهما كان برّيّا من النّاحية الشّماليّة الغربيّة والآخر بحريّا ،الاّ انّهم فقدوا الطريق البحرى فى كرّ العصور حينما استولى عليه العرب . كما أنّهم عجزوا لمواصلة هذه العلاقات التّجاريّة مع الهند بعد إلقاء العثمانيّين السيطرة على القسطنطينيّة سنة ١٤٥٣ . حتّى انّهم اضطروّا الى بحث طريق جديد لتنفيد مصالحهم التجاريّة .[2]

ويحكى الدكتور م ج س ناراينن عن قدوم البرتغاليّن فى كتابه "صفحات من تاريخ كالكوت " ويقول : "وصل واسكودغاما مع أصحابه فى ثلاث سفن صغيرة وسفينة أخرى لسلعاتهم الى كاباد بكالكوت بتاريخ ٢٠ مايو ١٤٩٨م. أثناء سفرهم الطويل

[1] قبطان ك .ب. راجن - عبر تواريخ موانيئ كيرلا – الناشر – بيانو ببليكيشنس – صفحة ٢٧
[2] د اى شريدهر مينون – تاريخ الهند –(مليالم) – الناشر د س بكس – صفحة -١٢٢

رأوا سلسلة من الجبال المطلّة على البحر العربي. وفي الحقيقة كان هذا الجبل جبل "ايزمل"[١] (Ezhimala) الذي يعتبرها البحّارة والرّحالة من أهمّ الأعلام في البحر العرب . عندما رأوا هذا الجبل أخبرهم قائدهم لأنّهم اقتربوا من كاليكوت. واصلوا رحلتهم الى الأمام حتّى انتهوا الى ساحل "كاباد "(Kappad) فى ليلة مشحونة بالرّعود المدوّية والرّياح المخيفة. ظنّ القائد أنّ هذه البقعة هي كاليكوت نفسها فأمر بارساء السفن فيها .هكذا صارت بلدة كاباد مشهورة بوطأة أقدام واسكودا غاما كما وصفها المؤرّخ كاستند". خلال رحلتهم هذه الطويلة من السواحل البرتغاليّة الى سواحل مليبار كان لغاما وأصحابه أن يقيموا أيّاما معدودة فى ميناء "مليندا" بالساحل الشرقي للقارّة الأفريقيّة. أثناء إقامتهم هنا أضافهم ملكها المسلم خير اضافة وقدّم اليهم بالإضافة الى قائد مجرّب ذو دراية تامّة عن المسارات البحريّة الى سواحل الهند كافّة المساعدات المطلوبة لمواصلة رحلتهم الى الأمام .[٢]

ويمكن أن نرى بيان القبطان كى ب. راجن عن ارساء سفن البرتغاليين في سواحل كاباد فى كتابه "عبر تواريخ الموانئ كيرلا" حيث يقول : أرست سفن واسكودا غاما على ساحل بندلايني بتاريخ ١٩ مايو ١٤٩٨ مبشّرة بانفتاح فجر جديد في الهند لا فى المجالات التّجاريّة فحسب، بل في كافّة ميادين الحياة بإيجاد تغييرات جذريّة في الأحوال الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة وما إليها. سبّبت هذه التطوّرات

[١] هيلى ماراوى المعروفة الآن بايزمالا سلسلة جبال مرتفعة من الساحل ب٧٥٥ قدما وهى تقع على مسافة ٢٥كلوميتر من كنّور
[٢] ممّدكويا – تاريخ المسلمين في كيرلا (مليالم) –فوكس بيلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤-صفحة ٤٧

لتقدّم النشاطات التجاريّة مباشرة بين الدول المختلفة ولا سيّما الى دول القارة الأوروبية .

أمّا ساموترى ملك كاليكوت فقام بالترحيب بقدوم البرتغاليين ترحيبا حارّا. وقد أكرم وفادتهم في شكل مناسب وأكّد لهم كافة المساعدات الممكنة لإجراء النشاطات التجاريّة . ولكن التجّار العرب وأعيان طبقة النّاير في كاليكوت كانوا لا يرتاحون بقدوم البرتغاليين وإقامتهم في أراضي مليبار. أمّا غاما الذي شعر ببعض المعارضة البسيطة من المذكورين فلم يُرد الاقامة فيها بل انتقل الى بندلايني ومنه الى كنّور الذي يحكم فيها عدوّه كولوتري. وقد رحّب به هو أيضا ووعد له المساعدات المطلوبة لإجراء النشاطات التجاريّة عندما يجيئ الى أراضيه في المرّة التالية . فقد أمر كولوتري لتحميل سفن البرتغاليين بالقدر الممكن من الفلفل وغيرها من التوابل المليباريّة وودّعه بكلّ التمنّيات حتّى غادر السواحل المليبارية للرّجوع اليها مرّة أخرى بعد أكثر من ثلاث سنوات .

وقد انتشرت أخبار وصول البرتغاليين في كاليكوت . وبدأ النّاس أن يتحدّث عن السفن الشراعيّة الغريبة حتّى وصلت في آذان كافة النّاس الّذين أوفدوا طائفة من رعيّته في قارب صغير للتّأكّد من صحّة ذالك الخبر والاستفسار عن أصولهم وأهدافهم. ثمّ رجعوا الى الأرض حاملين معهم بعض المعلومات الأساسيّة عنهم وأهدافهم. عندما وصلوا في السفينة في اليوم التالي أرسل غاما ممثلا له معهم إلى كالكوت للإستفسار عن الأمور التي تختصّ بهم . رافقهم في القارب إلى المدينة حيث

عرّفوا له شخصين من تونس الّذين وصلا في كاليكوت للأغراض التجاريّة. وقد أدرك هذا الممثّل أنّ للعرب والفرس السّيطرة التامة على الأسواق المحلّيّة والمراكز التجاريّة . رجع إلى السفينة ومعه كافة المعلومات التي تتعلّق بالأسواق المحلّية والمستهلكين والتجّار والنّشاطات التجارية وكذلك السلع المختلفة التي يتّجرون بها .[١]

الملاقات مع الملك الساموتري

عندما يصل غاما في كاباد كان الملك الساموتري في "فنّاني" (Ponnani) . وقد أوفد إلى الملك معاونا له للإخبار عن قدوم رسول من ملك برتغال يحمل معه رسالة ملكيّة. أتى هذا المعاون في حضرة الملك الساموتري وأخبره بقدوم البرتغاليين تحت قيادة واسكود غاما معرّفا ايّاه قائلا :" إنّ سيّدنا غاما رجل جليل متّصف بحسن الطاعة لو سمحت لأخبره للمثول أمامك". فبكلّ فرح شديد أذن له الملك للإتيان برئيسهم غاما وودّعهم بالجوائز الكريمة مخبرا إيّاهم بأنّه قادم إلى كاليكوت لملاقات رسول ملك برتغال . فلم يلبث حتّى جهّز جيشا عظيما وخرج إلى كالكوت بكلّ هيبة وعدّة . ثمّ أرسل ربّانا مع البرتغاليّين كى يسوق جميع سفنهم إلى قطر "بندلاينى " . سرعان ما طلب غاما لتقريب سفنه من الساحل "بندلاينى " وأخبر أصحابه البرتغاليين ليأخذوا كلّ الحذر الشديد خوفا من أيّ نوع من الإعتداءات من قبل المواطنين[٢]

[١] ممّدكويا – تاريخ المسلمين في كيرلا (مليالم) –فوكس بيلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤- صفحة ٤٨
[٢] د م.ج.س نارينن- صفحات من تاريخ كاليكوت (مليالم) – الناسر برتيكشا بكس -٢٠١١م- صفحة٤٨–

و فى رواية أخرى في كتاب " تاريخ مسلمي كالكوت" لبربّل ممّد كويا " "أنّ ساموترى أخبر بوصول سفن شراعيّة للبرتغاليين قريبا من سواحل كاباد . عند سماع هذا الخبر جهّز لهم الملك بعض القوارب للوصول الى البرّ. هكذا وطئت أقدام البرتغاليين في بقعة قريبة من كاباد في اليوم الثامن والعشرين من مايو سنة ١٤٩٨م . وقد أعدّ الملك ٢٠٠٠م من جنوده بالإضافة إلى جمع غفير للترحيب بقدومهم إلى القصر بكلّ الزّينة والأفراح الملكيّة[١] .

وفى كتاب للدكتور م. ج. س. ناراين وعنوانه "صفحات من تاريخ كالكوت" رواية مفصّلة عن الحفلة الملكيّة التي أقيمت لترحيب البرتغاليين يقول:"إنّ الملك الساموتري أخذ فترة أسبوع كامل في وصول مقرّه بعد مغادرة فنّانى. خلال هذه الأيّام كلّها كان يتلقّى الاستقبالات طول الطريق من قبل رعيّته. فور الوصول في كالكوت أرسل طائفة من أعيانه الكبار برفقة ٢٠٠من جنوده المسلّحين بالأسلحة التامة إلى بندلايني للترحيب بالبرتغاليين ترحيبا حارا يليق بالمناسبات الملكيّة . وفي صباح اليوم التالي خرج غاما برفقة ثلاثة عشر من أعيانه الكبار إلى كاليكوت لملاقاة الملك في قصره. كانوا يرتدون أفخر الملابس لديهم ويحملون أحدّ أسلحتهم ويلوّحون ألويتهم عند ما يزحفون في موكب فخم إلى قصر الملك . قبل الخروج من السفينة لقد كلّف غاما اثنين من أقرب أقربائه مسؤوليّة السفن وما فيها من العتاد والأمتعة الأخرى . لقد طلب منهما أن يبقيا في السّفن بكلّ حذر شديد حتّى لا يتسلّل

[١] صفحة ٤٩ ممّدكويا – تاريخ المسلمي كاليكوت (مليالم) --فوكس بيلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤

اليها أحد من البرّ،وقد أذن لهما بالرجوع الى الوطن في حالة لم يتلق فيها أيّ خبر من البرّ أو يشعر بأيّ نوع من الأخطار. هكذا كلّما يخطو غاما خطوة الى الأمام كان يخطو بكلّ حذر شديد متوقّعا الأخطار من الجهات الأربعة .[1]

أمّا العامّة من النّاس فقد احتشدوا ذكورا وإناثا كبارا وصغارا لاستقبال الضّيوف الكرام وأهالوا عليهم بالأزهار والرياحين المعطّرة ممّا جعلتهم ينغمسون كلّ الانغماس في الغبطة والسّرور. ومع هذا كانوا لا يرتاحون بوجود طائفة من جنود ساموتري الذين كانوا يُرون في الطوابير متسلّحين بكلّ الأسلحة التامّة كأنّهم يستعدّون للإعتداءات حسب الأوامر الملكيّة . وقد أُعدّت لنقلهم من الميناء الى قصر الملك مطايا فخمة بالإضافة الى أسرة يستعدّ لحملها ستّة من أقوى جنود الملك .وفي طريقهم الى كاليكوت أقاموا فترة يسيرة في كاباد حيث استراحوا في بيت أغنى سكّانها. ولو أعدّت مأدبة فاخرة للضيوف الكرام في ذلك البيت لم يتناول غاما شيئا منها خوفا من المؤامرت الممكنة ..وبعد هذه المأدبة قضوا فترة يسيرة يتمتّعون بالمناظر الجميلة الخلّابة التى تتحلّى بها شواطئ نهر "إيلاتور" (Elathur)الذي يفصل بين كاباد وكاليكوت .

عندما نتصفح صفحات كتاب بربّل ممّدكويا بعنوان "تاريخ مسلمي كالكوت" عن التطوّرات المتتابعة بعد حفلة الاستقبال التي أقيمت ستقبال البرتغاليين نراه يذكر فيها أنّ غاما أخبره بالصعوبات العديدة التي كانوا يواجهونها عند شراء الفلفل

[1] م.ج.س نارينن- صفحات من تاريخ كاليكوت (مليالم) – الناسر برتيكشا بكس – ٢٠١١م- صفحة ٤٩

وغيره من التوابل والأمتعة الصينية بدفع أثمان باهظة من التجار العرب في مصر. وأنّ ملكهم أرسلهم بمثل تلك المغامرات البحريّة لعلّهم يجدون حلّا للمشاكل التجاريّة المذكورة . وقد قدّم أمام الملك الساموتري اقتراحا لتشييد بعض المبانى الضخمة على شاطئ البحر مستودعات لإختزان البضائع المشتراة من الفلّاحين في شتّى أنحاء مليبار"[1].

يتحدّث العالم الألماني الكبير الدكتور هيرمان كندارت (Hermann Gundert) فى كتاب له عن تاريخ كيرلا عن ذلك الحوار الذى جري بين واسكودا غاما والملك الساموتري ويقول: عند لقاء البرتغاليين عبّر الساموترى ما في داخله من الغبطة والسرور وأخبرهم بالتسهيلات المجهّزة لمبيتهم مع التجار المسلمين في منازلهم . فامتنع غاما قائلا بأنّهم لا يستطيعون الإقامة معهم في منازلهم لأنّهم أصحاب لغات مختلفة واعتقادات دينيّة تخالف المسيحيّة التى ينتمون اليها . ومع هذا قال لهم أن المسلمين عندما وجدوهم في الطرق أهالوا عليهم بالأقوال الفضيحة وحاولوا مرارا للاعتداءات عليهم قائلين أنّنا حاربناهم وقتلناهم في أراضي مختلفة . وقد طلب من الملك ان لا يثق بأقوال المسلمين الذين يوجّهون اليهم اتّهامات مختلفة . وسلّم الى الملك رسالة خطّيّة من قبل ملك برتغاليا في اللغة العربية . وقد أجاز لهم بالإقامة حيث ما يجدونها مريحة لهم . عند رجوعهم من قصر الملك كان لهم ان

[1] ممّدكويا – تاريخ المسلمي كاليكوت(مليالم) –فوكس ببلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤ صفحة ٥٣

يواجهوا عتابات شديدة من قبل المسلمين الّذين يحتشدون في الطرق منتظرين خروجهم من القصر.[١]

وفي رواية أخرى عن الحوار بين الملك الساموترى وواسكودا غاما نري المؤرّخ أي شريدهر مينون فى كتابه "تاريخ كيرلا" في اللغة المليالمية يقول : عندما قدم غاما وأصحابه إلى كاليكوت في شهر مايو سنة ١٤٩٨م رحّب بهم الملك الساموترى ورعيّته ترحيبا حارا بشكل تقليدي يليق بالعظماء. وقد زار غاما مع حاشيته قصر الملك (كوولكم)على مسيرة بضعة أميال من مدينة كالكوت .ولو جرت بينهما محاورات في الشؤون المختلفة ما كانت مثمرة .وقد رفض الملك بعض الاقتراحات التي قدّمها غاما أمامه ولا سيّما مطالبتهم الملحة لإبيقاء ثلة من الجنود البرتغاليين في كاليكوت للمحافظة على الأمتعة التى اشتروها مباشرا من الفلّاحين واختزنوها في المستودعات بها. ولكنّ الملك كان غير مستعدا لقبول هذا بل أوجب عليهم دفع ضريبة مرتفعة وفقا للقوانين المتبعة لديهم .[٢]

أمّا مؤرّخ آخر وهو الدّكتور ولّيكاو موهنداس فيتحدث عن هذه التطوّرات في "تاريخ كيرلا للطّلاّب" ويقول :أرسل الملك البرتغالى "إمّانوول " طائفة من قوّاته البحرية تحت قيادة واسكودا غاما لاكتشاف طرق بحرية الى الهند برغبة توسيع نطاق النشاطات التجارية مع الهند . عندما أرست سفنهم بتاريخ ٢٨ من شهر مايو سنة ١٤٩٨م قريبة من ساحل كاباد أضافهم الملك الساموترى ورعيّته بشكل

[١] د كندرت: كيرلا بزما –
[٢] إى –شريدهر مينون – تاريخ كيرلا(مليالم) –الناشر-دسي-بكس– صفحة ٢٧٠

ممتاز حسب التقاليد و الطقوس المتبعة لديهم . وكان غاما يتمنى أن يبقي طائفة من أصحابه في كاليكوت للمحافظة على الأمتعة والبضائع التى ادّخروها عن الطرق المختلفة . ولكنّ الملك كان غير مستعدا لتحقيق أمنيّاته بل طلب منهم أن يدفع ضريبة مرتفعة مقابل استقدام أراضيه لاختزان المواد التجارية . وما كان غاما راضيا لهذا. فقد اتّجه مع حاشيته الى الشمال قاصدا منطقة "كنّور" (Kannur) بدعوة من ملكها "كولاترى راجا " (Kolathiri Raja) الذي عرض أمامه كافة التسهيلات المطلوبة لمواصلة النشاطات التجارية .[١]

نلق أنظارنا مرّة أخرى إلى كتاب" اي شريدرمينون "حيث يقول: غادر غاما مع صحبه في شهر أغسطس نفس السنة قاصدا موطنه. ولكن عندما وصل في سواحل كنّور تلقّى رسالة من الملك "كولاتري" التي يعدهم فيها بتوفير كافة التسهيلات المطلوبة لإجراء العمليّات التجاريّة . فزاره واسكود غاما وعقد معه اتّفاقيّة تؤمّن لهم كافة الطرق للقيام بالنشاطات التجاريّة في شكل مرضيّ . غادر غاما سواحل كنّور في شهر نفمبر سنة ١٤٩٨ م متجها الى لسبن عاصمة برتغاليا حيث وصل مع الآخرين سنة ١٤٩٩م وتلقى استقبال الجماهير بشكل مرموق.[٢]

وقد أحدثت المحادثات التي جرت بين الملك الساموتري والبرتغاليين ضجّة كبرى في الأوساط التجارية ولاسيّما لدى المواطنين المسلمين و التجّار العرب الذين كانوا يسيطرون سيطرة تامّة على النشاطات التجارية مثلما أوقعتهم جميعا في ارتباك

[١] د ولّكّاو موهن داس – تاريخ كيرلا للطلّاب (مليالم) – الناشر كيرتي بكس –كلّم – صفحة ٦٤
[٢] اي شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – صفحة ٢٧٠

شديد . فقد خافوا أنّ تلك المحادثات سوف تنتهي باتّفاقيّة مع الطرفين تؤدّي الى تقليل نفودهم في المجالات التجاريّة .[1] وقد اتّصلوا بالتّجّار المسلمين من المواطنين وأفهموهم عن الأضرار والخسائرالمادية التي سوف تسبّبها تلك الإتّفاقيّة . وقد شاوروا في هذه القضيّة طويلا فعزموا لإخبار الملك عن الجوانب السيئة لو نفّدت الإتّفاقيّة ولإنذاره بالخسائر المادية التي سوف تتعرّض لها مملكته.[2] في بادي الأمر ما كان التجّار المسلمون المقيمون يستعدّون في الموافقة على دعاوى التجّار العرب . لأنّهم كانوا لا يعرفون شيئا عن موقف الملك الساموتري في هذا الخصوص . وقد اجتمعوا للمناقشة في هذا الأمر ،أمّا التّجار العرب فاتّصلوا بالملك فطلبوا منه لرفض مطالبات البرتغاليين بأكملها وتهجيرهم الى حيث أتوا . ولكن الملك لم يقبل هذا.بل عقد اتّفاقيّة مع البرتغاليين لمواصلة العلاقات التجارية .

قدوم بدروا ألوارس كبرال (Pedro Alvares Cabral) إلى مليبار

هو الملّاح البرتغالي الشهير بدرو ألوارس كبرال مكتشف برزيل (Brazil) الذي قاد حملة تجارية بحريّة الى الهند في سنة ١٥٠٠م . وقد غادر دياره البرتغالية فور ما وصل فيها واسكودا غاما بعد اتمام حملته الأولى . وقد وصلت سفنه قريبا من سواحل كاليكوت وأرست فيها اليوم ١٣ من شهر سبتمبر عام ١٥٠٠ م . وكانت الوظيفة الموكّلة به من قبل الملك البرتغالية اخلاء منطقة مليبار برمّتها من التجار العرب، وإغراء الملك الساموتري على اتّخاذ البرتغاليّين حلفاء له في المعاملات

[1] د .س ك كريم – تاريخ المسلمين في كيرلا: سنت وور كنك ديركتري – المجلّد الأوّل –الناشر –جرترم ببليكيشنس – ادبّلّي- ١٩٩٧-صفحة ١٦١
[2] صفحة ٥٣ ممّدكويا – تاريخ المسلمين في كاليكوت (مليالم) –فوكس ببلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤

التجارية. فور الوصول في كاليكوت اتّصل بالملك وأجرى مناقشات معه أيّاما طويلة حتى نجح في اقناع الملك بخططه المختلفة. وبالتالى مُنحت له التصريحات المطلوبة لإستأناف النشاطات التجارية التي تعطّلت برجوع واسكودا غاما ولتشييد المراكز الجديدة لهم في كاليكوت .وقد أمّن لهم الملك وفرة كافّة التسهيلات المطلوبة . بالإضافة الى تعيين واحد من أعيان التّجار المسلمين باسم "أوكويا بكّى " معاونا له لتنفيد عمليّات مختلفة . كان يعيش بكالكوت في أواخر القرن الخامس عشر تاجران مرموقان ذاع صيتهما فى الآفاق. كان واحد منهما "كويابكّى" والآخر كان "آوكويابكّي " . وكانا يتمتّعان بنفوذ واسع في المجالات الإجتماعية ولاسيّما التجارية منها وكان لهما السيطرة التامّة على ما تجدر في الأسواق والعمليات التجارية . عندما تجري العمليّات التجارية مطمئنّة وقعت بعض الخلافات بين أوكويا بكّي والتّجار العرب المقيمين بكاليكوت .وقد منع التجار المسلمين المقيمين من المعاملات التجارية مع التجار العرب . أحدثت هذه الخلافات بين الطرفين مشاكل كثيرة في الأوساط التجارية. مثلما أوقعت التجّار كلّهم في ارتباك شديد .ربّما كان هذا هو السبب لتدخل الملك في شؤون التجارة وتعيين هذا التاجر الكبير معاونا للبرتغاليين .

يذكر المؤرّخ اي شريدر مينون عن هذه التطوّرات فى كتابه "تاريخ كيرلا " ويقول :" أرسل الملك البرتغالي بعثة ثانية إلى الهند تحت زعامة "بدرو الواريس كبرال[1] ." غادر دياره الى الهند برفقة الف وخمس مائة من البرتغاليين في ثلاث وثلاثين سفينة .

[1] كان قائد الأسطول البرتغالي

كانت رحلتهم هذه الى الهند محاطة بعدد لا يحصى من العوائق والصعوبات حتى يُقال أنّه لم يبق عند وصوله في سواحل كيرلا الاّ ستّ سفن . كان كبرال مع كونه عاجزا عن اتّخاذ القرارات الحاسمة ناجحا في تنفيذ خططه المختلفة ولا سيّما في انجاح المشاريع التي خرج لأجلها .وقد أمكن لممثله "ايرس كوريا " لإيجاد علاقات ثنائيّة مع الملك الساموتري وبالتالى للحصول على التصريحات المطلوبة لتشييد المصانع وغيرها من المشاريع التجاريّة .[١]

يقول الشيخ زين الدّين المخدوم في كتابه "تحفة المجاهدين عن قدوم كبرال: "وبعد سنتين منها جاؤوا في ستة مسماريات ، ودخلوا في كاليكوت على هيئة التجار واشتغلوا بالتجارات ، وقالوا لعمّال السامري ينبعي منع المسلمين من تجاراتهم ، ومن السفر إلى برّ العرب ، والفوائد الحاصلة منهم يحصل منا أضعافها ، ثم انّهم تعدوا على المسلمين في أثناء المعاملات فأمر السامري بقتلهم ، فقتل منهم نحو سبعين أو ستين رجلا وهرب الباقون ، وركبوا في مراكبهم ورموا بالمدافع على أهل البرّ وأهل البرّ عليهم ، ثم ذهبوا إلى بندر "كشي"(Kochin) وصالحوا أهلها[٢] وبنوا فيها قلعة صغيرة وهي أوّل قلعة بنوها في الهند [٣] واتخذوها مسكنهم وهدموا مسجدا كان في ساحل البحر وبنوا بيعة وعاملوا أهلها ، ثم صالحوا أهل كنّور وبنوا فيها

[١] إي شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – صفحة ٢٧٢

[٢] وصل كبرال إلى كوشن سنة ١٥٠٠م . فاستقبلهم "أنّي راما ورما" (Unni Rama Varma) الذيكان في عداوة مع ساموتري وأذن لهم ببناء القلعة

[٣] The fort Manuel سمها قلعة "إيمّانوئيل"

قلعة وعاملوا أهلها ، وسافروا بالفلفل والزنجبيل إلى برتكال وهم مقصودهم الأعظم الذي لأجله قطعوا المسافة البعيدة" .[١]

وقد وصل بعده ملّاح برتغالي آخر بإسم جون دينيوا (Jhon Diniyuva)الذي لم يبق هنا الاّ فترة قصيرة . وكان وصوله بكلّ الإستعداد التام لشراء البضائع مباشرا من المزارعين والتجّار المحلّيين مقابل البضائع المختلفة التي جاء بها من برتغاليا . ولكن التجار المحلّيين الذين رفضوا هذا النّوع من الصّفقة أوقعوه في ارتباك شديد لأنّه كان غير مزوّدا بالنّقود الكافية لإقتناء البضائع المطلوبة . وفي هذه الظّروف الحرجة تلقّى دعوة من ملك كوشن الذي تؤمّنه كافة التسهيلات المطلوبة. بناءا على هذا وصل في كوشن واستأنف نشاطاته التجاريّة. عندما يستعدّ للمغادرة مع صحبه الى برتغاليا فاجأهم جنود الملك السّاموتري بهجوم شديد. أدّت التطوّرات المترتّبة الى انهزام جنود الملك الساموتري وومغادرة البرتغاليين بكلّ ما في سفنهم من البضائع المدّخرة .

القدوم الثاني لواسكودا غاما

بعث الملك البرتغالى "دوم مانول(Dom Manual) فريقا مجهزّا إلى الهند يتضمّن خمس عشرة سفينة وثمان مائة فرد بتاريخ ٢١ فبراير ١٥٠٢ تحت قيادة واسكود غاما بعد أن قرع مسامعه بسخط الملك الساموترى للبرتغاليّن و فشل كبرال فى مقاومة الإعتداءات من قبل أساطيله البحرية . وقد وصل قريبا من سواحل

[١] زين الدين المخدوم -تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين – تحقيق – حمزة جيلاكودان –الناشر –مكتبة الهدى –كاليكوت-صفحة ٣--١-٩٩٦

مليبار. قرّب سفنه كلّها ببقعة باسم "أنج دويب" (Angadip Island) ثم بدأ أن يلقي القبض على جميع السفن الشراعيّة للعرب المرساة فى المحيط الهندي. عندما قام بزيارة كنّور استقبله ملكها "كولاترى" بشكل مرضيّ .وأقرّ بأنّه سيبيع الفلفل وسائر البضاعات للبرتغاليّين دون سواهم من ميناء كنّور بنفس الأسعار السائدة فى كوتشى .بعدما استتبّت له الأمور في كنّور غادر مع أصحابه الى كاليكوت حيث زاروا الملك الساموترى وطلبوا منهم لإجلاء المسلمين برمّتهم من كاليكوت .ولكنّ الملك كان غير مستعدّا لإطاعة أوامرهم . وقد جرت بين الطرفين بعض المجادلات حتى غادروا القصر الى المدينة وبدأوا ، يشنّون غارات عنيفة عليها.

يقول الشيخ زين الدين المخدوم في كتابه "تحفة المجاهدين" عن المجيئ الثاني لغاما هكذا: "وبعد سنتين منها جاؤوا في عشرين مسماريا[1] أو إحدى وعشرين أو اثنين وعشرين أو ثمانية عشر وسافروا إلى بلدهم بالفلفل والزنجبيل وسائر البضائع وعظم أمرهم".[2]

يتحدث برّبل ممّد كويا عن قدوم الثّانى لغاما إلى كالكوت كما يأتى : "الوقائع التى واجهها كبرال من كالكوت أوقدت حقدا عميقا واتّخذت شكل جرحة لاتلتئم فى قلب الملك البرتغالى . وثارت سواحل البحر العربي نيرانا واشتعلت ظلما وجورا حين

[1] هذا الأسطول الذي خرج من البرتغال إلى كاليكوت في سنة ١٥٠٢ بقيادة واسكودا غاما بعد أن عيّن من قبل الملك البرتغالي أميرا للبحر إلى الهند والبلاد العربية والفارس

[2] تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين – تحقيق – حمزة جيلاكودان –الناشر –مكتبة الهدى –كاليكوت -١٩٩٦

قدم غاما مرّة ثانية إلى كالكوت بتاريخ مارس ١٥٠٢م .وشدّ غاما مئزره للإستيلاء على الملك الساموتري وإبادة المسلمين جماعيّا كى يقمع الغارّات من جانبهم .[١]

قدوم فرانسيس كو ألبكّرك (Francis co- Albuquerque)

بعد القيام بالعديد من الغارات والإعتداءات على المسلمين ومصالحهم المختلفة ، قفل غاما راجعا الى موطنه برتغاليا . ثم أرسل الملك البرتغالى ممثّلا جديدا له باسم فرانسس كو البكّرك (Francis co- Albuquerque) الى كاليكوت. وقد وصل في كاليكوت من شهر نوفمبرسنة ١٥٠٥م . كان البكّرك من أكثر قوّاد الملك قوّة وأكبرهم همّة . وكان يريد ابعاد التجّار المسلمين من الأسواق. ولو طالب الملك الساموتري لإخلاء المراكز التجارية من المسلمين كان غير مستعدا . بل أخبره بأنّه يتمنّي في أرضه الأمن والإستقرار والتعايش السلمي بين الطوائف المختلفة . ولو كان كبرال مصرّا على مطالباته ما كان الملك مستعدا لتهجير المسلمين الذين قدّموا خدمات جليلة منذ الأزمان الطويلة .[٢]

دعنا نقرأ الآن البيانات من قبل المؤرّخ اى شريدر مينون فى كتاب " تاريخ كيرلا " عن قدوم البكّرك الى كالكوت حيث يقول : انتهى الى كوشى أسطول برتغالى تحت زعامة فرانسس كو البكّرك في شهر سبتمبر سنة 1502م . وقد انضم هذا الى أصحاب "دوراتي بجكوو "(Duarte Pacheco) الذين يحتلّون شاطئ "ويبن"(Vipin) . أما بالنسبة الى ملك كوشن الذي كان يواجه اعتداءات شرسة من قبل جنود الملك

[١]- ممّدكويا – تاريخ المسلمين في كاليكوت - (مليالم) --فوكس بيلكيشنس –كالكوت –التاريخ -١٩٩٤ صفحة ٥٤
[٢] المرجع السابق - صفحة ٥٦

الساموتري فكان قدوم البرتغاليين من الأمور المفرحة. وبمساعده البرتغاليين العسكرية أمكن له الغلبة على أعدائه الألداء واسترجاع ملكه المفقود.

وقد وصل بعده القائد البرتغالي "أليدا" (Dom Francis co-de-Almeida)سنة ١٥٠٥م بقصد تشييد القلاع في بعض الأماكن الإستراتيجيّة وتكثيف العمليّات التّجاريّة . وقد كان له أن يواجه مقاومة شديدة من قبل الملك الساموتري الذي كان يحاربهم بكلّ التأييد من الأسطول المصري البحري . بعد رجوعه الى الوطن يصل البكّرك المذكور مرّة أخرى بقصد تدمير مدينة كاليكوت انتقاما من الملك الساموتري الذي كان يحارب البرتغاليين بلا هوادة . ولكنّ الظّروف الصّعبة أجبرته للدّخول في هدنة مع الساموتري التي مهّدت له الطرق كلّها الى الأمام . بعد ألبكّرك وصلت ثلاث دفعات من البرتغاليين تحت قيادة بعض القوّاد الضّعفاء . ولم يحدث شيئ يذكر لصالح البرتغاليين في أيّامهم بل ازداد نفود المسلمين والتجّار العرب وبلغت قوّة الملك الساموتري أوجها. كانت هذه التطوّرات الجديدة صدمة كبرى بالنّسبة لواسكودا غاما الذي وصل هنا بعدهم للمرّة الثالثة . وقد بذل جهودا جبّارة لإسترجاع نفود البرتغاليين المفقود. خلال محاولاته العديدة في هذا السبيل توفي في كوشن سنة ١٥٢٤م ونقلت بقايا جثّته الى موطنه بعد أكثر من عشر سنوات .

بعد خمس سنوات وصل القائد البرتغالي نونودا كونها (Nuno-da Cunha)في سنة ١٥٢٩م وشيّد قلعة شاليم المشهورة بكلّ التبريكات من الملك الساموتري. وقد جرت

نشاطاتهم التجاريّة تزدهر يوما فيوما حتى بدأ الملك يشعر بخطر هائل في حالة سّيطرة البرتغاليين التامّة على التّجارة .أدّت التطوّرات اللاحقة الى تشكيل جبهة من المقاتلين تحت قيادة المحارب المقدام كنجال مركّار وانتهت بفتح القلعة وتدميرها بعد حصار دام شهورا عديدة. وقد بدأت قوى البرتغاليين تضمحلّ بكلّ سرعة بعد هذه التطوّرات حتى احتلّ الإنجليزيّون مكانهم وبدأوا نشاطاتهم بكلّ التّأييدات من الجهات المختصّة .

يشير الشيخ زين الدّين المخدوم الصغير الى وصولهم في كالكوت ورجوعهم الى برتغاليا في كتابه الشهير "تحفة المجاهدين" حيث يقول :" وبعد سنة من مجيئ المراكب العشرين او ما قاربها جاؤوا في عشرة مسماريات سبعة منها جديدة وثلاثة كانت مع المسماريات التي وصلت قبل سنة منها ولكنّها تأخرت في الطريق ، ووصلت مع السبعة ، ثم سافرت السبعة الى بلادهم بالبضائع ، وبقيت ثلاثة في كشي فقصدهم السامري مع قريب من مائة ألف ناير ومعه جمع كبير من المسلمين ولم يمكن لهم دخول كشي لمحاربة الإفرنج بالرمي بالمدافع[1] ، ولكن جهز المسلمون من أهل فنّان ثلاثة سنابيق فحاربوهم واستشهد بعضهم ، وفي اليوم الآخر جهز أهل فنان وبلينكوت أربعة سنابيق ، وأهل فندرينة وكابكات ثلاثة سنابيق فحاربوهم محاربة شديدة ولم بصب المسلمين فيه شيئ ، ثم لم يتيسر الحرب لقرب عهد المطر فرجع السامري ومن معه إلى بلادهم سالمين بحمد الله ثم تتابع في كل سنة

[1] كان زمام الأسطول البرتغالي في هذه المعركة بيد "كولونيل دوارتو باشواDurate Pacheco

على هذا المنوال وصول مراكبهم العديدة من برتكال بالرجال وبالأموال ، وسفر مراكبهم الكثيرة من مليبار بالفلفل والزنجبيل وسائر البضائع إلى برتكال" [1].

***

[1] تحفة المجاهدين – زين الدّين المخدوم الصغير- تحقيق – حمزة جيلاكودان –الناشر –مكتبة الهدى –كاليكوت -١٩٩٦

الفصل الثاني

جرائم البرتغاليين وفضائحهم ضد المواطنين

كان هدف البرتغاليين الرئيسي عند الوصول في سواحل كيرلا مجرّد ايجاد العلاقات التجارية بين الهند والبرتغاليين وتوثيقها للمتابعة في الأزمان المقبلة . وما كانوا يريدون السيطرة السّياسية. عند الوصول هنا أدركوا أنّ المسلمين ،العرب منهم والمقيمين الأصليين ،هم الذين يسيطرون على كافة النشاطات التجاريّة . وبالنّسبة اليهم انّ هذا لمن الأمور المروّعة. فخرجوا للقضاء على سيطرة المسلمين ونفودهم في هذا المجال .اتّصلوا أوّلا بالملوك وطلبوا منهم للقيام بالإجراءات المطلوبة لتقليل نفود المسلمين وإجلائهم من أراضي مليبار تدريجيا . ولكنّ الملوك الذين دائما يذكرون خدماتهم وخدمات أسلافهم في المجالات المختلفة كانوا لا يستعدّون لتنفيذ أغراضهم. فقد بدأ البرتغاليّون بأنفسهم الإعتداءات على المسلمين ومصالحهم المختلفة . وقد حاولوا لإحداث خسارة في المعاملات التجارية التى يقوم بها المسلمون. مثل هذا هدّموا منازلهم ومتاجرهم ومعابدهم بل المزارع التي يزرعون فيها . وقد أطلقوا الإعتداءات على المسلمين في البرّ والبحر بل هاجموا هجوما عنيفا حتى على الحجّاج الذين يرجعون الى الهند بإحراق السفن التي تقلّهم من ميناء جدّة .

نرى صاحب كتاب تحفة المجاهدين يتحدّث عن الأفعال القبيحة التي اقترفها البرتغاليّون ويقول :"ظلموا المسلمين وأفسدوا فيهم وفعلوا فعائل قبيحة شنيعة لا

تحصى من ضربهم ، والإستهزاء بهم ، والضحك عليهم إذا مروا بهم استخفافا، وجعلهم مراكبهم فى مجال الماء والوحل ،والبصق على وجوههم وأبدانهم ، وتعطيل أسفارهم خصوصا سفر الحج ،ونهب أموالهم ،وإحراق بلادهم ومساجدهم ، وأخذ مراكبهم ، ووطئ المصاحف والكتب بأرجلهم، وإحراقها بالنار، وهتك حرمات المساجد ، وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليبهم، وعرض الأموال لهم على ذلك ، وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتين نسوان المسلمين ، وسبّ رسول الله (ص) جهارا ، وأسرهم وتقييد أساريهم بالقيود الثقيلة ، وترديهم فى السوق لبيعهم كما يباع العبيد ،وتعذيبهم حينئذ بأنواع العذاب لزيادة العوض ، وجمعهم فى بيت مظلم مئتين مخطر ، وضربهم بالنعل إذا ستنجوا بالماء ، وتعذيبهم بالنار ، وبيع بعضهم وتعبيد بعضهم وتعيين بعضهم فى الأعمال الشاقة بلا شفقة ، .....[1] ويضيف قائلا :

"والخروج إلى متاجر جزرات وكنكن[2] ومليبار وبر العرب مستعدّين والإقامة فيها لأخذ المراكب والإكتساب بذلك أموالا جزيلة وأسارى عديدة وكم من نساء أصيلات أسرّوا وتسرّوا بهنّ حتى حصل لهم منهن أولاد نصارى أعداء دين الله يؤذون المسلمين، وكم من سادات وعلماء وكبرا، أسروا وعذبوا حتّى قتلوا وكم من مسلمين ومسلمات نصروا ، وكم من أمثال ذلك من فضائح وقبائح تكلّ الألسنة عن ذكرها وتأنف عن أفصاحها - أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، ثم إن بغيتهم العظمى وهمتهم

[1] زين الدين المخدوم الصغير – تحفة المجاهدين – تحقيق –حمزة جيلاكودن -١٩٩٦ –مكتبة الهدى –كاليكوت – صفحة ٤١

[2] Konkan بقعة ساحليّة تمتدّ من دامون في الشمال إلى كووة في الجنوب

الكبرى قديما وحديثا تغيير دين المسلمين ، وإدخالهم فى النصرانية نعوذ بالله من ذلك . وإنّما صلحهم للمسلمين لضرورة العشرة معهم، فإن أكثر سكّان البنادر الّتى فى ساحل البحر المسلمون ، ولذا قال الإفرنج الواصلون من برتكال جديدا فى بعض المواسم لما رأوا المسلمين وصورهم فى كوشى :"إلى الآن لم يتغيّر صورهم" ولاموا كبيرهم حيث لم يغيّرهم عن دينهم" يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون"-(التوبة ٣٣) ولذا قال كبيرهم لراعى كوشى:"اخرج المسلمين عن كشي فإنّ الفائدة الحاصلة منهم قليلة ويحصل لك منا من الفوائد أضعاف ما يحصل منهم"، فأجاب أنّهم رعيّتنا من قديم الزمان وبهم عمارة بلدنا فلا يمكن لنا إخراجهم "وليست لهم عداوة إلاّ للمسلمين ولدينهم ، لا للناير ولا لغيرهم من الكفرة" [1]

أيضا نرى في كتاب "تحفة المجاهدين "عن مظالم البرتغاليين ضدّ المواطنين حيث يقول: هو مقصودهم الأعظم الّذى لأجله قطعوا المسافة البعيدة ، وبعد سنة منها جاؤوا فى مسماريات ونزلوا فى كوشى وكننور وسافروا إلى بلدهم بالفلفل والزنجبيل وبعد سنتين جاؤوا فى عشرين مسماريات أو إحدى وعشرين أو إثنين وعشرين أو ثمانية عشر وسافروا إلى بلدهم بالفلفل والزنجبيل وسائر البضائع وعظم أمرهم. ثم قصد السامرى كوشى وخرّبها على ما هو عادته من قديم الزمان وقتل إثنين أو ثلاثة من رعاتها ورجع إلى كاليكوت. وبسبب كونهم قتلوا لأجل الإفرنج صار أولاد

[1] جواهر الأشعار وغرائب الحكايات والأخبار- سى يم برس ترورنغادى- صفحة٢١٧-٢١٨ امولانا المولوى عبد القادر بن الشيخ يوسف الفضفرى

أخواتهم مختصين بمملكة كوشى وما حواليها دون سائر قرابتهم بقوّة الإفرنج خلافا لرسمهم القديم من تولية الأكبر سنا من قراباتهم وصار لهم عزّة وحرمة عندهم وأعانوهم كثيرا فى حروبهم وحوائجهم وأعطوهم أموالا وعيّنوا لهم العشور فى تجاراتهم حتّى عظم أمرهم.

وبعد سنة من مجيئ المراكب العشرين أو ما قاربها جاؤوا فى عشرة مسماريات سبعة منها جديدة وثلاثة كانت مع المسماريات التى وصلت قبل سنة منها ولكنّها تأخّرت فى الطريق ، ووصلت مع السبعة ، ثم سافرت السبعة إلى بلادهم بالبضائع، وبقيت ثلاثة فى كوشى فقصدهم الساموترى مع قريب من مائة ألف نايرومعه جمع كثيرون من المسلمين ولو يمكن لهم دخول كوشى لمحاربة الإفرنج بالرمى بالمدافع، ولكن جهّز المسلمون من أهل "فنّان " ثلاثة سنابق فحاربوهم واستشهد بعضهم ،وفى اليوم الآخر جهّز أهل "فنّان" وبلينكوت" أربعة سنابق، وأهل فندرينة وكابكات ثلاثة سنابيق فحاربوهم محاربة شديدة ولم يصب المسلمين فيه بشيئ ، ثم لم يتيسر الحرب لقرب عهد المطر فرجع سامرى ومن معه إلى بلادهم سالمين بحمد الله. ثم تتابع فى كلّ سنة على هذا المنوال وصول مراكبهم العديدة من بركال بالرجال وبالأموال وسفر مراكبهم الكثيرة من مليبار بالفلفل والزنجبيل وسائر البضائع إلى برتكال.

وبعد ما استقر الأفرنج فى كوشى وكنّور وتمكنوا اشتغل أهلها ومن تبعهم با السفر فى البحر مصالحين لهم آخذين أوراقهم لكلّ مركب علامة لأمانهم ولو صغيرا،

وعيّنوا لكلّ ورقة مالا معلوما لرعاتهم يعطيهم إيّاه أصحاب المراكب عند السفر ورأوا ذلك فائدة لهم ليوافقوهم على ذلك فإن وجد الإفرنج مركبا ليس فيه ورقتهم أخذوا المركب وما فيه ومن فيه ،والسامرى ورعاياه وأتباعهم كانوا محاربين لهم وصرف السامرى فى محاربتهم أموالا كثيرة حتى ضعف السامرى ورعاياه وكان يراسل سلاطين المسلمين طلبا لإعانتهم فلم ينفعوا ولكن سلطان جزرات السلطان محمود شاه وعادل شاه أمرا بتهيئة المراكب والغربان ، ولم يوفقا للإخراج فى البحر، وأما سلطان مصر قانصوه الغورى رحمه الله فقد أرسل من أمرآءه الأمير حسينا مع بعض العساكر فى ثلاثة عشر غرابا فوصل بها إلى "ديو" جزرات وخرج منها إلى بندر شيول ومعه ملك إياس نائب "ديو" بغربانه فلقي بعض مراكب الإفرنج ووقع الحرب فاخذ غرابا كبيرا لهم وحصل النصر ورجع بما معه من الغربان إلى "ديو" وأقام فيها شهورا فى أيّام المطر ثم وصل إليه بأمر السامرى نحو أربعين غرابا كلّها صغار من بلاد السامرى وغيرها. وأما الإفرنج -قاتلهم الله التعالى -فلمّا سمعوا باستقراره فى ديو إستعدوا وخرجوا فى نحو عشرين مركبا، ووصلوا إلى ديو فجأة فلما بلغ إلى ديو خبر وصولهم أخرج الأمير حسين الغربان التى كانت معهم من غير إستعداد والمليباريون غربانهم وملك إياس غربانه ،والإفرنج لما التقوا ما قصدوا إلاّ غربان الأمير حسين فاخذوا بعض غربانه وطاح البواقى ورجع الملاعين بتقدير -الله التعالى وحكمه الغالب -إلى كوشى غالبين ،ولكن سلم الأمير حسين نفسه وبعض من كانوا معه وغربان ملك إياس والمليباريين .

فى يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر رمضان سنة خمسة عشرة وتسعمائة نزل الإفرنج فى كاليكوت محاربين وأحرقوا المسجد الجامع الذى عمره الناخذا مثقال ودخلوا بيت السامرى زاعمين أنّهم تملكوها ، وكان السامرى حينئذ غائبا لبعض الحروب غيبة بعيدة فهجم عليهم من حضر من النيار فحاربوهم وأخرجوهم منه وقتلوا منهم خمسمائة إفرنجي، وقد غرق من غرق وهم أكثر ومن سلم منهم ركبوا فى مراكبهم خائبين .

وقبل ذا التاريخ أو بعده نزلوا فى فنان وأحرقوا نحو خمسين من المراكب التى كانت متروكة فى ساحلها واستشهد من المسلمين نحو سبعين رجلا ، وكذا نزلوا فى عدن وحاربوا أهلها فنصر الله المسلمين وخذل الإفرنج ، انهزموا بإذن الله وخاب قصدهم وكان ذلك فى أيام الأمير مرجان رحمه الله .

وبعد ما تمكّن الإفرنج فى كوشى وكننور صالحوا راعى كولم وبنوا فيها قلعة فإن الفلفل يجلب إليها وإلى كوشى أكثر مما يجلب إلى غيرهما وأيضا حاربوا أهل كووة واخذوها عنوة وتملكوها ، وكانت من بنادر عادل شاه جد على عادل شاه وجعلوها دار ملكهم فى الهند واحكموها. ثم إن عادل شاه رحمه الله حاربهم وفتحها وأخرجهم منها وجعلها دارا اسلام فاخذتهم لعنهم الله الغيرة فوصلوا إليها فى استعداد عظيم وحاربوا حتى أخذوها واستولوا عليها . ويقال وافقهم أميرها وكبرائها

حتى سهّل عليهم أخذها ثم بنوا فيها قلاعا عديدة منيعة فازدادوا قوّة على قوة ،فإنّ الله إذا أراد أمرا بلغه ، وصارت قوّتهم تزداد عاما فعاما وشهرا فشهرا" .[1]

***

[1]- جواهر الأشعار وغرائب الحكايات والأخبار- سى يم برس ترورنغادى- صفحة ٢١٤-٢١٦ - امولانا المولوى عبد القادر بن الشيخ يوسف الفضفرى

الفصل الثالث

الثورات الشعبية ضدّ البرتغاليين في مليبار

كان الجهاز السياسى للبرتغاليين موجَها فى البداية للمسلمين الذين شغلوا فى التجارة البحريّة فى سواحل كيرلا. كان السبب الرئيسى لهذا تفوّق المسلمين فى التجارة البحرية فى الهند ، وقد أراد البرتغال لتدميرهم ومصالحهم التجاريّة حتى أن يتطوّروا في مجال التجارة . والسبب الآخر كان الصّراع بين المسلمين والنّصرانيين القديم الذي كان يسود قرونا في الدول العربيّة الغربية منها الجنوبية .فقد خرج البرتغاليّون بالجور والظلم على تجار المسلمين طول سواحل كيرلا . ولكن لم يدركوا النجاح في مشاريعهم التجارية والسياسية. وقد فشلوا فى تدمير تجارة المسلمين . وفى القرن السادس عشر خرج الملك الساموترى على البرتغاليين مع المسلمين وحاربوهم حروبا عديدة لا هوادة فيها.

أرست سفن واسكودا غاما على ساحل بندلاينى في اليوم ١٩ من شهر مايو سنة ١٤٩٨م مبشّرة بانفتاح فجر جديد في الهند لا فى المجالات التّجاريّة فحسب ، بل في كافّة ميادين الحياة بإيجاد تغييرات جذريّة في الأحوال الإقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة وما إليها . سبّبت هذه التطوّرات لتقدّم النشاطات التجاريّة مباشرة بين الدول المختلفة ولا سيّما دول القارة الأوروبية .

وفى سنة ١٥٠٠م سافر فريق من التجار البرتغاليين إلى كيرلا تحت رئاسة "ألوارس كبرال "(Pedro Alvares Cabral) .وكانت فيه عشرة سفن وألف وخمس مائة من مشاة البحر بالإضافة الى عشرين من المجرمين بقصد توظيفهم في المجالات المختلفة بما فيها بناء المصانع والمراكز التجارية .

أرسل الملك البرتغالى قائده البحري كبرال الى كيرلا للدّخول في اتّفاقية مع الملك الساموترى وللقيام بكلّ ما هو المطلوب للقضاء على المسلمين ، أعدائهم الألدّاء ولاسيّما في المجالات التجارية .فغادر السواحل البرتغاليّة الى الهند فى اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٥٠٠م . بعد رحلة بضعة أيّام في البحر تعرّضوا للعواصف العنيفة التي أغرقت خمسة من السفن بكلّما فيها من لوازم السفر والبحّارة. وقد واصل الباقون رحلتهم الى الأمام حتى وصلوا سواحل كالكوت في اليوم ١٣ من شهر سبتمبر سنة ١٥٠٠م . بعد الوصول في كاليكوت اتّصل مع ثلاثين من الضباط بالملك الساموترى .وقد تمّ الإتّفاق بين الطرفين فاستطاع كبرال لبناء المصنع المنشود فى كالكوت . وتصدير سفينتين فقط ممتلأتين بالفلفل من خلال شهرين .

أمّا التّجّار العرب فكانوا غير مرتاحين بالتطوّرات الجديدة . وقد حاولوا لجمع القدر الممكن من الفلفل وغيرها مباشرا من المزارعين بدون اتاحة الفرصة للبرتغاليين. أبغضت هذه التّصرّفات من قبل المسلمين القائد البرتغالى حتى تدخّل شخصيا في الشؤون التجارية وطلب من الملك السّاموترى لإتّخاذ الإجراءات اللازمة لجمع

الفلفل بأكمله من المزارعين دون سواهم من التّجار. أمّا الملك فكان حزينا جدّا . وكان في مأزق شديد كأنّما وقع ما بين السماء والأرض . وكان لا يستطيع أن يترك المسلمين ويقبل البرتغاليين أو بالعكس . وقد انتهز كبرال ارتباك الملك وشنّ هجوما عنيفا على التجار المسلمين وسفينة لهم مرساة في ميناء كاليكوت . وقد اجتمع المسلمون من شتى أرجاء المدينة واعتدوا على البرتغاليين وهاجموا مصنعهم قريبا من شاطئ كاليكوت . وقد جرت اشتباكات شديدة بين الطرفين أسفرت عن مقتل خمسين من البرتغاليين داخل المصنع نفسه. أما البرتغاليون الذين نجوا من الهلاك فوثبوا الى البحر وركبوا القوارب المنتظرة ولاذوا بالفرار في السفن المرساة لهم بعيدة عن الساحل .[1]

أذهلت هذه التطوّرات البرتغاليين وأسرع قائدهم الى قصر الملك الساموتي للإستفسار عنها . ولكن البيانات من قبل الملك غير مرضيّة له . فقد أمر جنوده للخروج على المدينة مسلّحين في الشكل التّام . وقد شنّوا غارات عديدة على المدينة، قتل فيها ستّ مائة من سكان المدينة . وبالإضافة الى هذا اغتصبوا عشر من السفن التابعة للملك وأحرقوا نحو عشر سفن يمتلكها التجار العرب بكل من في متنها من العمّال بعد نهب كلّما فيها من البضائع ولوازم السفر.

سبّبت هذه التطوّرات لنشوب الكثير من الفتن والثورات. وقد خرج الناس جميعا بدون الفرق بين المسلمين والهندوكيين وغيرهم على البرتغاليين وبدأوا يهاجمونهم

[1] وليم لوكن – ملبار مانول –صفحة ٢٠٨-٢٠٩

أينما ثُقفوا ويسبّبون خسائر فادحة لمصالحهم التجاريّة . فقد أدرك كبرال أن بقائهم في مدينة كاليكوت في خطر شديد . وقد عزم للإنتقال الى مكان آخر يؤمّن لهم مصاليحهم التّجاريّة .

هكذا فرّ الى كوشي هاربا من عداوة سكان كاليكوت . اتّصل هنا بالملك الذي كان في عداوة شديدة مع الملك السّاموتري . وقد أكرم الملك وفادته ورحّب به مع صحبه ترحيبا حارّا الى مملكته وجهّز له كافّة التسهيلات لمواصلة النشاطات التجارية منها .

عند ما كان يخطّط للرجوع الى وطنه من شهر ينايرالمقبل أخبر بقدوم أسطول هائل للملك الساموتري يحمل ١٥٠٠جنديّ من فرقة ناير (Nair)الى ميناء كوتشي . وكان الملك هو الذي أخبره أوّلا بقدوم الخطر الهائل . وقد وعده بتزويد كافة المساعدات بما فيها الاسلحة والعتاد لمحاربة الأعداء . ولكنّ جنود الساموتري كانوا لا يريدون أيّما اعتداءات على الآخرين في ذلك الوقت . وفي صباح يوم التالى اعتدى الجنود البرتغاليّون على جنود الملك الساموتري المرساة في البحر . وللمفاجأة هبّت العواصف الشديدة التي أبعدت سفن البرتغاليين كثيراعن الشواطئ .فقد اضطرّ كبرال للرّجوع الى وطنه عبر سواحل كنّور[١]

وفي سنة ١٥٠١ م نفسها وصلت في ميناء كاليكوت فرقة بحرية برتغالية جديدة تحت رئاسة " جون دينيو" (Jhon Diniyuva) الذي أرسله الملك البرتغالى لمواصلة النشاطات التجارية . وفي طريقه إلى كاليكوت أرسى سفنه قريبا من مرفأ صغير

[١]وليم لوكن – ملبار مانول (مليالم) – ط-ماتربهومي بكس –صفحة ٢٠٩-٢١٠

باسم "سينر بلس" حيث رأى نعلة معلّقة على شجرة. وقد أذهلته تلك النّعلة التي حاول لإكتشاف ما ورائها من الأسرار فوجد فيها كتابة مفصّلة عن التطوّرات التي وقعت في منطقة كاليكوت أيّام كان كبرال فيها . خلافا للذّهاب الى كاليكوت اتّجه نحو كنّور حيث استقبلهم ملكها استقبالا جيّدا ووعدهم بتزويدهم ايّاهم فلفلا يكفي لشحن سفنهم الأربعة بأكملها . ولكنّ القائد أخبره بأنّه سوف يتّصل به بعد الإستشارة بالمسؤولين في المراكز التجاريّة للبرتغاليين في كوشي . فواصل رحلته اليها . وفي طريقهم البحري الى الأمام ، عند ما وصلوا قريبا من سواحل كاليكوت شنّوا هجوما عنيفة على بعض السفن الشراعيّة التابعة للتجار العرب التي كانت مرسات في ميائها .سبّبت هذه الإعتداءات الغير متوقّعة لنهوض التجار المسلمين الذين أسرعوا يتعقّبونهم . أمّا ملك كوشن الذي أخبر عن هذه التطوّرات البحرية فخرج فورا للدفاع عن البرتغاليين . فقد قدّم لهم تسهيلات السكن داخل ساحة قصره خوفا من المسلمين الذين خرجوا بكلّ حماسة للإنتقام منهم . ومع هذا عيّن لهم طائفة من جنوده لمرافقتهم حيث ما يسير ون في المدينة . وقد أمكن للقائد "جون دنيو"أن يعرف من المصادر الموثوقة أن التجار العرب قد طلبوا من التجار و المزارعين المحلّيين لأن لا يقبلوا شيئا من المواد الإستهلاكية مقابل الفلفل وغيره من التوابل التي يبيعونها لهم ، وأن يشترطوا قيمة البضائع في شكل النّقود .كان هذا الخبر مزعج جدا بالنسبة للقائد البرتغالى الذي لن يأخذ معه النقود إلاّ بقدر ضئيل. في هذه الحالة المخيّبة للآمال أقبل ملك كوشي الى الأمام ووعده بالمساعدات

المطلوبة . بعد الفراغ من هذه الحملة ركّز اهتمامه على جمع القدر الممكن من البضائع ولاسيّما الفلفل وتحميلها في السفن التابعة لهم. هكذا من خلال فترة يسيرة استطاع بمساعدة ملك كوشى تحميل السفن كلّها بالبضائع المطلوبة ومغادرة سواحلها إلى مواطنه في البرتغاليا[1]

لقد أبغضت تصرّفات الملك الساموتري الملك البرتغالي كثيرا وقد عزم لأن يأدّبهم تأديبا . وأرسل جنوده في خمسة عشر سفن تحت رئاسة واسكود غاما في اليوم الثالث من شهر مارس سنة ١٥٠٢م . وقد أتبعهم بفرقة أخرى من الجنود في خمسة من السفن الصّغار تحت قيادة واحد من أقرباء واسكود غاما باسم "ستيفن غاما". عندما وصل هذا الأسطول قريبا من سواحل "صلالة" هبّت رياح شديدة سبّبت أضرارا جسيمة لبعض السفن . وقد كان لهم أن يواصلوا الرحلة الى الأمام بعد القيام بالإصلاحات المطلوبة . هكذا عندما كانوا يستغرقون في ترميم السفن وصيانتها وقعت في أنظارهم سفينة قادمة من جهة الغربية الى الجهة كاليكوت . وكانت هذه السفينة تابعة لشقيق خوجا قاسم[2] ،أغنى التجار المسلمين في كاليكوت ومسؤول المصالح التجارية التي يمتلكها الملك الساموتري . وقد كان على متنها سبع مائة من الحجّاج القادمين بعد تأدية فريضة الحج بمن فيهم من النّساء والأطفال الصغار بالإضافة الى مالكها المذكور . وقد أمر غاما بإيقاف تلك السفينة وإحراقها بكلّ من فيها الاّ الأطفال الصّغار بعد نهب كلّ ما فيها من الأشياء الغالية. وقد ذكر

[1] وليم لوكن – ملبار مانول (مليالم) – ط-ماتربهومي بكس –صفحة-٢١١
[2] د. س ك كريم –تاريخ المسلمين في كيرلا -سنت وور كّنكّ ديركتري- ١٩٩٧-صفحة١٦٣

المؤرّخ المليباري الشهير ت.ك. كنغادهرن عن هذه الحادثة المبكية للجميع في كتابه "تاريخ كيرلا وثقافته" قائلا: "وقد شنّ البرتغاليّون غارات عنيفة على سفينة قادمة من مكّة تقلّ الحجّاج أسفرت عن مقتل الكثير من المسافرين ممّا يعجز الألسنة من وصف هذه الحادثة المروّعة التي وقعت من خلال فترة ثمانية أيّام".[1]

وصف الشيخ زين الدين الكبير هذا الظلم الشديد في قصيدته "تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان "حيث قال:

وصدّ عن الحجّ المعظّم قدره بتعطيل أسفار إلى خير بلدة

وقتل لحجّاج وسائر مؤمن بأنواع تعذيب وأصناف مُثلة[2]

هنا اتّصل به الملك كولوتري شخصيّا وقدّم أمامه بعض الإقتراحات التي تؤمّن له السهولة في العمليّات التّجاريّة. وقد أخبره بإستعداده التام لبيع السلع له لنفس الأسعار السائدة في كوشى . بعد اتمام الإجراءات اللازمة هنا واصل رحلته متّجها الى كاليكوت حيث وصل في شهر أكتوبر سنة ١٥٠٢م . فور الوصول في كاليكوت أقبل على الملك بدون اذنه المسبق وطلب منه بكلّ شدّة لإجلاء التجار المسلمين برمّتهم من كاليكوت . ولو اراد الملك لإجراء المحادثات بينهما في هذه القضيّة ما كان غاما مستعدّا . وقد أصرّ على طلبه ولكنّ الملك رفض هذا . فاغتاظ غاما فبدأ أن يهاجم ميناء كاليكوت . وقد سبّب هذا لمقتل الكثير من النّاس معظمهم كانوا أبرياء . وبالإضافة الى هذا قاموا بتدمير كافة السفن الشراعيّة لتّجّار العرب وتعذيب كلّ

[1] ت.ك. كنغادهرن – تاريخ كيرلا وثقافته – صفحة ٢٧٨

[2] زين الدين المخدوم الكبير – تحريض أهل الإيمان – تحقيق –حمزة جيلاكودن -١٩٩٦ –مكتبة الهدى –كاليكوت – صفحة ٩٣

من يقاومونهم ويسدون طريقهم الى الأمام . وبهذه الإعتداءات الشديدة أمكن للبرتغاليين احداث بيئة مروّعة في المدينة وافهام الملك وغيره عن مدى كفاءة أسلحتهم المتطوّرة .[١]

اتّجه غاما الى كوشي من كاليكوت حيث هدّد ملكها للدخول معه في اتّفاقيّة تؤمّن لهم العمليّات التجارية كما يريدون . بناءا على هذه الإتّفاقيّة اضطرّ الملك لمنحهم التصريحات المطلوبة لفتح المؤسّسات التجاريّة والمراكز العسكريّة . ثمّ غادر غاما مع الآخرين في سفينتين مملوؤتين من الفلفل الذى اشتراه من كولّم بمساعدة ملك كوشى . وقد كان لهم أن يصلوا أوّلا في كنّور لأخذ ما ادّخروا فيها من البضائع . وفي طريقهم البحري الى الأمام،عندما اقتربوا من سواحل بندلايني تعرّضوا لإعتداءات شنيعة من قبل جنود الملك الساموترى . ولو جرت بعض الإشتباكات البسيطة بين الطرفين أمكن للبرتغاليين أن يواصلوا رحلتهم باحداث أضرار بالغة للأعداء.[٢] ولم يغادر البرتغاليون سواحل كنّور حتّى وصل الملك الساموتري إلى ملك كوشي وطالب منه تسليم كلّ من فيها من الجنود البرتغاليين واستئناف الجزية التي توقّفت بوصول البرتغاليين[٣]، لكن رفض ملك كوشي هذه المطالبات، فأرسل جنوده إلى كوشي حتى التقى الجمعان في "جيتوا" (Chettuva) قريب من كوشن في شهر أبريل سنة ١٥٠٣م . وقد انتهت الاشتباكات هنا بانهزام ملك كوشى الذي لاذ بالفرار

[١] ملين كيز كوبال كرشنن – كيرلم لوك جرترتّلودى (مليالم)– صفحة ٣٦
[٢] ت.ك. كنغادهرن – تاريخ كيرلا وثقافته – صفحة ٢٧٨
[٣] ملين كيز كوبال كرشنن – كيرلم لوك جرترتّلودى (مليالم)– صفحة ٣٦

مع جيوشه الى جزيرة "ويبن" تاركا وراءه الطرق كلّها مفتوحة أمام جنود الساموتري الى أراضيه الخصبة [١].

و فى سنة ١٥٠٣م أرسل الملك البرتغالي أسطولا تحت رئاسة "فرانسس كو ألبكرك " إلى كوشن. عند سماع هذا الخبر انسحب جيش الملك الساموترى الذي كان يلاحق ملك كوشن في عقر داره . فأجلسه البرتغاليون على العرش، ففرح الملك به وأعطى له الإذن لبناء القلعة فيه . فبدأ البرتغاليّون بناء قلعتهم الأولى في الهند والمعروفة باسم "قلعة مانول "(Fort Manuel) إكراما للملك البرتغالي سنة ١٥٠٣م. وفى سنة ١٥٠٤ م هاجم الملك الساموترى على كوشن مرّة أخرى . ولكنّه اضطرّ إلى الانسحاب بسبب مقاومة جنود كوشن، خلال نفس الوقت هاجم البرتغاليّون على "كدنغلّور" وهدموا سفن السّاموترى المرساة في البحر، أدّت هذه التطوّرات الى ازدياد نفود البرتغاليين فيها .[٢]

وفي هذه الظروف المضطربة ما كان للساموتري الاّ القيام ببعض الإجراءات لمنع البرتغاليين من الحصول على الفلفل والتوابل مباشرا من المزارعين المحليين، فأرسل "البكّرك قائده "بجكّوو" إلى القرى للتحدّث مع المزارعين، ولكن بائت محاولاته بالفشل لأنّه لم ينجح في ادّخار البضائع المطلوبة . فحزن ألبكّرك وعزم على الرجوع إلى "كويلون".[٣]

---

[١] ت.ك. كنغادهرن – تاريخ كيرلا وثقافته – صفحة ٢٧٩
[٢] ت.ك. كنغادهرن – كيرلم :جرتروم سمسكاروم- (مليالم)-صفحة٢٧٩
[٣] وليم لوكن – ملبار مانول (مليالم) – ط-ماتربهومي بكس –صفحة -٢١٣

ثم أرسل الملك البرتغالي جندا كثيفا إلى كوشن تحت رئاسة" د. فرانسسكو ألميدا"(Francisco de Almeida) سنة ١٥٠٥ م، وصل ألميدا بكوشن مع ثمانية سفن فى شهر نومبر نفس السنة . وكان غرضه الرئيسي بناء القلعات والمصانع التجاريّة فى كوشن وكنّور وأنج ديب . فحاربهم الملك السّاموترى بكلّ ما لديه من الجنود والأسلحة .

وفى سنة ١٥٠٨ م وصلت الجنود البحريّة المصرية فى بحر العرب تلبية لدعوة من التجار العرب والملك السّاموترى. وفي الحرب التي دارت فيما بعد في "جول"، ولو انهزم البرتغاليّون في أوّل الوهلة ، انتصروا أخيرا واستولوا على المصالح التجاريّة . ثم عاد "ألميدا" من الهند إلى بلده فى سنة ١٥٠٩م [١]

وصل ألبكّرك مرة ثانية إلى كالكوت بقصد تدمير تلك المدينة . زحف الى قصر الملك الساموتري قائدا جيشا كثيفا وحاربه حربا شديدة انتهت بانهزام البرتغاليين فاضطر إلى المعاهدة مع السّاموترى . بناءا على هذه المعاهدة أمكن البرتغاليين بناء قلعة فى كالكوت واستئناف تجارة الفلفل بالأثمان السائدة في كوشن . وكانت هذه المعاهدة نجاحا كبيرا بالنسبة للبرتغاليين أيّام استعمارهم فى كيرلا . وفى طريق عودته الى برتغاليّا مات ألبكّرك" فى "كووى" سنة ١٥١٥م .

وكان من القوّاد البرتغاليين الذين وصلواسواحل كيرلا "لوبو سورس"(Lopo Soares) ، و د. سكّيرا (De-Sequeera)(١٥١٨ - ١٥٢٢) و دمنسس (Demense)(١٥٢٢ -

[١] ملين كيز كوبال كرشنن – كيرلم لوك جرترتّلودى (مليالم)– صفحة ٤٠

١٥٢٤) وغيرهم كثير. معظمهم كانوا ضعفاء في الأمور السّياسية والإدارة التجاريّة. أدّت هذه الظّاهرة الى ازدياد نفود التجار العرب وبالتالي ظهور العداوة الشديدة من جديد بينهم وبين البرتغاليين .[١]

وفى شهر سبتمبر سنة ١٥٢٤ م وصل واسكودغاما فى "كووى" مرّة ثالثة مع أسطول بحري كبير. وقد أدهشته الأخبار عن اعتداءات المسلمين المكررة على المصالح البرتغالية تحت قيادة كوتي على مركّار والخسائر الفادحة التي تعرّضت لها سفنهم ومراكزهم التجارية ". وقد كان عليه أن يسترجع عظمتهم المفقودة . خلال محاولاته الجادة في هذا السبيل مات فى كوشن سنة ١٥٢٤م.[٢]

وكان السبب الرّئيسي وراء سّقوط البرتغاليين فى كيرلا القائد البحري الشهير " كنجال مركّار" الذي كان يقود الأسطول البحري للملك السّاموتري. هو و إخوته وأعضاء أسرته كلّهم كانوا ينتسبون الى القوات البحرية التابعة للملك السّاموترى . كانوا أصحاب المهارات البحريّة والشجاعة الباهرة المنقطعة النظير.[٣] وفى سنة ١٥٢٩م وصل إلى كالكوت قائد برتغاليّ آخر باسم "نونوداكنها"(Nuno- da Cunha) وبنى بإذن من الملك السّاموترى قلعة على شواطئ شاليم الإستيراتيجية.

[١] د.ت.ك. كنغادهرن – كيرلم :جرتروم سمسكاروم- (مليالم)-صفحة٢٨١
[٢] نقل البرتغاليّون بقايا جثّة غاما الى برتغال سنة ١٥٣٨م
[٣] د.ت.ك. كنغادهرن – كيرلم :جرتروم سمسكاروم- (مليالم)-صفحة٢٨١

فتح قلعة شاليات :

أمّا بالنسبة لشاليم الذي يبعد عشرة كلومتر من مدينة كالكوت حيث بنى البرتغاليّون قلعتهم فكان مكانا استيراتيجيا يشابه الى حدّ ما جزيرة أو شبه جزيرة . يمكن للواقفين في سواحله مراقبة جميع التطوّرات التي تحدث داخل البحار وخارجها . كان هذا هو السبب الوحيد لاختيار البرتغاليين نفس هذا المكان لتشييد القلعة . عند ما وصل القائد البرتغالي نونودا كونها (Nuno-da Cunha) شيّد قلعة هنا بإذن من الملك الساموتري. وجرت نشاطاتهم التجاريّة تزدهر يوما فيوما حتى بدأ الملك يشعر بخطر هائل في حالة سيطرة البرتغاليين التامّة على التّجارة .أدّت التطوّرات اللاحقة الى تشكيل جبهة من المقاتلين تحت قيادة المحارب المقدام كنجال مركّار وانتهت بفتح القلعة وتدميرها بعد حصار دام شهورا عديدة . وقد بدأت قوى البرتغاليين تضمحلّ بكلّ سرعة بعد هذه التطوّرات حتى احتلّ الإنجليزيّون مكانهم وبدأوا نشاطاتهم بكلّ التّأييدات من الجهات المختصّة.

وقد ورد في كتاب " تاريخ كيرلا" للمؤرّخ شريدهرا مينون أنّه جاء فى شهر أكتوبر سنة ١٥٢٩م قائد جديد باسم " نونودا كنها" وبنى قلعة شاليم بسماحة الملك سنة ١٥٣١م .[١] بعد تسع سنوات تمّ الاتّفاق بين الملك البرتغالي والملك الساموترى ، فاستطاع للبرتغاليين شراء الفلفل من كاليكوت بنفس الثمن الذي كان سائدا في

[١] د.ت.ك. كنغادهرن – كيرلم :جرتروم سمسكاروم- (مليالم)-صفحة٢٨٣

كوشن . وبالإضافة الى هذا اشترطت الإتّفاقيّة موافقة البرتغاليين للتجارة مع التجار العرب و موقف البرتغاليين الحيادي عند ما تجري الحروب بين السّاموتري والملوك الآخرين. فصارت التجارة في ميناء كالكوت فى إحتكار البرتغاليين .ولكن لم تدم هذه الإتّفاقيّة الا عشر سنوات حتى اندلعت الحرب من جديد في سنة ١٥٥٠م نتيجة تدخل البرتغاليين فى خلاف بين ملك كوشن وملك "ودكّم كور"[١].

وقد بدأت العلاقات بين الطرفين تتدهور شيئا فشيئا حتّى ظهرت سنة ١٥٧١م حيث سُنحت للملك الساموتري فرصة ذهبية للإنتقام من البرتغاليين . تلبية لنداء عادل شاه سلطان بيجابور ونظام شاه سلطان حيدراباد الذان يحاصران مصالح البرتغاليين في" كووى (Goa)" وقلعة "جول" ، حاصر الملك الساموتري قلعة شاليم وشنّ هجوما عنيفة عليها .

أدّت التطوّرات المترتّبة الى اندلاع حرب شديدة بين البرتغاليين والملك الساموتري الذي كان معظم جنودهم من المسلمين . حارب الجنود من كلتي الفرقتين بكلّ شدّة حتّى حميت الوطيس وأمكن لجنود السّاموتري السّيطرة على القلعة وتدميرها بأكملها . أسفرت هذه الحروب عن مقتل كثير من المقاتلين من كلتي الطّائفتين . وقد استخدمت أحجار القلعة المدمّرة فيما بعد لإعادة تعمير بعض المساجد التي هدّمها البرتغاليون من قبل .

[١] اى . شريدهر مينون – تاريخ كيرلا – صفحة ٢١٩

أمّا ما ورد في كتاب "تحفة المجاهدين" للعالم الشهير زين الدين المخدوم في هذا الخصوص : "ولمّا قويّ عزم السّامري على حرب قلعة شاليات لصدور بعض التعدي منهم وبتحريض المسلمين له على ذلك وتوكيدهم خصوصا في أيّام حرب كووة انتهازا للفرصة فإنّهم لا يقدرون على إرسال المراكب والغربان في ذلك الوقت للمدد أرسل إليها بعض وزرائه ومعهم أهل فنّان وجمع من أهل شاليات ، ووافقهم في الطريق أهل برونور وتانور وبوبورنكادي فدخل هؤلاء المسلمون في شاليات ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر سنة تسع وسبعين (١٥٧١م) ووقع الحرب بينهم وبين الإفرنج في صبيحته فأحرقوا بيوتهم الخارجة من القلعة وبيعهم وهدموا القلعة البرانية ، واستشهد من المسلمين ثلاثة وقتل من الإفرنج جماعة فالتجأوا إلى القلعة الأصلية الحجرية واستقروا فيها فحاصرهم المسلمون ونيار السامري وصل إليها المسلمون من سائر البلدان للجهاد وحفروا خنادق حول القلعة ، واحتاطوا في المحاصرة فلم يصل إليهم القوّات إلاّ نادرا خفيّة ، وصرف السامرى لذلك أموالا جزيلة ، وبعد نحو شهرين من ابتداء الحرب وصل السامري بنفسه من فنان إلى شاليات وحصل الإحتياط التام في المحاصرة حتى نفذ ما عندهم من القوت وأكلوا الكلاب وأمثالهم من المستقذرات ، وكان يخرج برضاهم من القلعة في أكثر أيّام من معهم من العبيد وممن تنصر ذكورا وإناثا لقلعة القوت وأرسل الإفرنج القوت إلى شاليات من كشي وكننور فلم يصل إليهم مع إجتهادهم ومقاتلتهم على ذلك إلاّ قليلا لا يسد مسدا .

في أيّام المحاصرة أرسلوا إلى السامري يطلبون الصلح على تسليم بعض المدافع الكبار التي في القلعة والمال المصروف في الحرب مع زيادة فلم يرض به السامري مع أن وزرائه كانوا راضين به فلما اضطرّوا بعدم القوت ولم يجدوا طريقا للصلح أرسلوا إلى السامري في أن يتسلم القلعة وما فيها من الحوائج والمدافع ويخرجهم سالمين من القتل ولا يتعرّض لما معهم ويوصلهم إلى مأمنهم فقبل ذلك السامري وأخرجهم منها ليلة الإثنين السادس عشر من جمادي الأخرى (١٥٧١م) ووفى لهم بذلك وأرسلهم أذلا ، مع راعي تانور وهو الّذي قبلهم وأعانهم ، وكان باطنا معهم وظاهرا مع السامري وصرف عليهم ما يحتاجون إليه وجاء بهم إلى بلدة تانور ثم وصلت إليها غربانهم من كشي فطلعهم فيها وأحسن إليهم وجعل ذلك يدا له عندهم فوصلوا إلى كشي مقهورين مخزيين . ثمّ إنّ السامري أخذ ما في القلعة من المدافع وغيرها وهدم القلعة حجرا حجرا وجعل موضعها كا الصحراء، ونقل أكثر الأحجار والأخشاب إلى كالكوت وسلم بعضها لعمارة المسجد القديم الذي هدموه عند بناء القلعة وسلم الأرض التي بنوها فيها وما حولها إلى راعي شاليات على ما وقع القرار عند ابتداء الحرب وبعد ما حصل القلعة وما فيها بقبضة السامري وصل لهم المدد من كووة في غربان ومراكب فرجعوا خائبين مخزيين بإذن الله تعالى وحسن توفيقه وذلك من فضل الله علينا وعلى المسلمين ورحمته "[١]. يعدّ فتح قلعة شاليم وسقوطها فى عام ٩٧٩ هـ نقطة تحول فى تاريخ البرتغاليين في الأراضي الهنديّة .

[١١] حمزة جيلاكودن – تحفة المجاهدين وتحريض أهل مليبار – تحقيق وتعليق –الناشر-مكتبة الهدى صفحة ٦١-٦٣ – ١٩٩٦

الباب الثالث

الإنجليزيون في مليبار والثورات الشعبية ضدّهم

- الفصل الأوّل : قدوم الإنجليزيين إلى مليبار
- الفصل الثانى :الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين في القرن الثامن عشر
- الفصل الثالث :الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين في القرن التاسع عشر
- الفصل الرابع : الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين في القرن العشرين

الفصل الأوّل

قدوم الإنجليزيين إلى كيرلا

هناك الكثير والكثير من المصادر والوثائق التاريخية التي تسلط الضوء على قدوم الإنجليزيين و تاريخهم في ربوع كيرلا. ولو توجد هناك اختلافات بسيطة بين هذه المصادر وما فيها من الآراء المتنوعة إن معظم الباحثين والمؤرخين يتفقون على أن الإنجليزيين وطئت أقدامهم تراب كيرلا في أواخر سنوات القرن السادس عشر الميلادي .

يقال إنّ أوّل إنجليزيّ جاء إلى كيرلا "رالف فج" (Ralph Fitch) الّذى وصل كوشن فى شهر مايو سنة ١٥٨٨م . وقد بقي هنا قرابة عشرة أشهر بدون نشاطات ملحوظة . ولكن أوّل من جاء في كيرلا لإجراء النّشاطات التجاريّة ولو بشكل بسيط هو القبطان كيلنغ (Captain William Keeling) الّذى وصل في كالكوت سنة ١٦١٥م.[١] وقد إتّصل بالملك الساموتري ووعده كافّة المساعدات من قبل الإنجليزيين للقضاء على البرتغاليين فى منطقة مليبار. مقابل هذا وقد منحت للإنجليزيين فرصة لإجراء النّشاطات التجاريّة فى كافة أوجهها . ولكن هذه الصداقة لم تدم طويلا. وقد أدّى بعض التطوّرات بين الطرفين إلى مغادرة الإنجليزيّن تاركين ورائهم أمنيّاتهم تلك الطويلة . ثمّ، بعد إيجاد العلاقات الودّية بينهم وبين البرتغاليين ، أمكن لهم للوصول إلى موانئ كيرلا مرّة أخرى فى سنة ١٦٣٥م .

[١] د. ت.ك. كنغادهرن – كيرلا :تاريخه وثقافته (مليالم)- الناشر –مكتب جامعة كاليكوت –تيزبالم – صفحة ٣٠٢

وقد استأنفوا نشاطاتهم وبدأوا تصدير الموارد الطبيعيّة مثل الفلفل وغيره من التوابل مباشرا من ميناء كوشن إلى موانئ إنجلترا لأوّل مرّة سنة ١٦٣٦م. وبالتالى تمّ تأسيس الكثير من المستودعات بإسم "باندكشالا "(Godown) في سواحل كيرلا. ومن أكبرها ذلك الّذى أقيم فى "ويزينجام"(Vizhinjam) سنة ١٦٤٤م والّذى أقيم فى " تلشيرى "(Thalassery) سنة ١٦٨٢م . فقد أحرزوا تطوّرا ملحوظا فى نشاطاتهم تلك التجاريّة حتّى نراهم فى أواخر القرن السابع عشر القوّة التجارية العظمى الّتى لا تستهان فى منطقة كيرلا .

أمّا ما ورد في كتاب "تاريخ كيرلا" للدكتور شريدهرمينون عن مجيئ الإنجليزيين ففيه بعض الإختلافات الطفيفة حيث يقول إنّ الإنجليزيين قدموا إلى منطقة كيرلا للأغراض التّجارية مثل البرتغاليين والهولنديين .يقول أنّ الإنجليزي رالف فج الّذى غادر دياره مع بعض التجّار قاصدين بعض الدول الشرقية وصلوا فى ميناء كوشن سنة ١٥٨٣م . مثل هذا ، فى سنة ١٦١٥م وصل القبطان " كيلنغ" برفقة تجّار آخرين فى ثلاثة سفن شراعيّة فى ميناء كالكوت وكان فيهم "سر توماس رو(Sir Thomas Roe) "الذى كان يريد زيارة الإمراطور المغولى جهانكير (Jahangir)منتدبا من قبل الملكة البريطانية [١]. وقد تسنى لقبطان كيلنغ لإقناع الملك ساموترى وإيجاد العلاقات الودّية بينه وبين الإنجليزيين على أساس بعض الإتّفاقات. وقد طلب منه الملك ساموترى لتقديمه المساعدات المطلوبة لمقاطعة

[١] د. اي. شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – الناشر د.ي.سي.بكس- صفحة ٣٠٣

البرتغاليين وإجلائهم من مدينتي كوشن وكدنغلّور مقابل هذا أعطى لهم الحرّية التامّة لإجراء النشاطات التجاريّة فى بلده . ولكن مااستطاع للإنجليزيين أن يوفوا بوعودهم المذكورة ، وقد أهملوها كلّ الإهمال وغادروا إلى ديارهم تاركين ورائهم بعض الإنجليزيين لفتح المستودعات المطلوبة للأيّام المقبلة . قبيل خروج قبطان كيلنغ من كيرلا إتّصلوا بالبرتغاليين وتعاقدوا فى إجراء اتّفاقيّة تمكّنهم الدّخول فى موانئهم عند الحاجة . ومن الملحوظ هنا أنّ هذه التطوّرات كانت تجرى فى أواخر أيّام البرتغاليين فى ديار كيرلا. ولكن ، ولسوء حظ الإنجليزيين، استولى الهولنديون على مصالح البرتغاليين فى كوشن وغيرها من المستوطنات ، ممّا أجبرت الإنجليزيين للفرار إلى منطقة فنّان ليبدأوا نشاطاتهم من جديد . سبّبت سيطرة الهولنديين إلى اضمحلال قوّى الإنجليزيين ولو لفترة وجيزة. وفى سنة ١٦٦٤م ، بسبب المطالبات المكرّرة من جهة الإنجليزيين، وافق الملك الساموتري مع ما فى داخله من الظنون السيّئة عن الإنجليزيين على تقديمهم التسهيلات المطلوبة لإنشاء مراكز تجاريّة فى كالكوت دون سواها من الأماكن الأخرى .

أمّا المؤرّخ الإنجليزي الشهير "وليم لوغن " (William Logan)، صاحب كتاب "ملبار مانول " فيصدّق أقوال معظم المؤرّخين الآخرين فى هذا الخصوص حيث يدّعى أنّ قدوم الإنجليزيين بشكل جدي يرتبط بتأسيس"الشركة الهنديّة الشرقيّة " (East India Company)في لندن فى شهر دسمبر٣١ سنة ١٦٠٠م. بعد سبع أو ثماني سنوات وصلت السفينة الإنجليزية الأولى فى رئاسة "وليم هوكنغ " (Sir William

(Hawkinsفى ميناء "سورت" الغجراتية . و أُسّس فيها مصنعا إنجليزيا سنة ١٦١٢م. وقد تبعتها ثلاثة سفن إنجليزية وصلت فى ميناء كالكوت سنة ١٦١٥م تحت رئاسة "قبطان كيلنغ " الّذى باشر عملّياته التجارية بعد إيجاد عقد تجاري مع الملك الساموتري.[١] أمّا القبطان الإنجليزي "كيلنغ " فقد أخلف وعوده للملك فغادر موانئ كيرلا في سفنه بابقاء عشرة من الإنجليزيين هنا لإنشاء المراكز والمستودعات التجاريّة .إنّ هذه المعاملة من جهة القبطان أوغرت صدر الملك وجعلته يبغض الإنجليزيين بغضا شديدا. بعد ما استقلّت الشركة الهنديّةالشرقيّة بالسيادة الحكومية دخلوا فى هدنة مع البرتغليين وظفروا بحرّية تامّة للدّخول فى الموانئ التى يسيطرون عليها فى سواحل كيرلا . سبّبت هذه لإستيطان بعض الإنجليزيين فى منطقة كوشن وما جاورتها من المدن الصّغيرة الأخرى . وبالتالى تطوّرت النشاطات التجاريّة تطوّرا ملحوظا حتى استطاع للإنجليزيين تصدير الموارد الطبيعية من هنا مباشرا إلى إنجلترا. بعد هذا فى سنة ١٦٣٩م هاجر الإنجليزيّون إلى "مدراس "واستوطنوها .وقاموا بتوسيع نطاق نشاطاطهم المختلفة . وفى سنة ١٦٤٧م فتحت الشركة الهندية الشرقيّة أبوابها أمام المستثمرين وبدأت إصدار العضويّة فيها لأعضاء البرلمان الّذين يرغبون فى الإستثمار. عندما نشبت الحرب البحريّة بين الإنجليزيين والهولنديين سنة ١٦٥٢م تعرّضت الشركات الإنجليزية لأضرار فادحة وخسائر ماليّة ضخمة . عند ما أصدرت الأوامر الملكية البريطانيّة سنة ١٦٦١م

[١] وليم لوكن – ملبار مانول – الناشر –ماتربهومي بكس- صفحة ٢٣٠

بتوسيع نطاق سلطة الشركة المذكورة أعطيت لها الحرّية المطلقة للتّصرّف بكافة الهنود الغير مسيحيين بدون الفرق بين الملوك منهم ورعايا والكبار منهم والصّغار وللسيطرة على ما يمتلكون من الأموال والأعراض. وفى الحقيقة كانت هذه الأوامر الملكيّة عبارة عن تصريح مفتوح للإنجليزيين للقيام بكلّ ما هم يريدونه من مصادرة الأموال وهتك أعراض النّساء وما شابههما من التعذيبات والإضطهادات الّتى لا تعدّ ولا تحصى.

وفى سنة ١٨٠٠م قامت الشركة الهنديّة الشرقيّة بإحداث الكثير من التغييرات الجدرية فى الأحكام المدنية . وقد فصلت منطقة مليبار من مقاطعة بومباي وضمّتها بمقاطعة "مدراس " وعيّن "كولونين آرتر ولّسلى (Arthur Wellesley) ،شقيق الحاكم العام "ولّسلى برابهو (Wellesley Brabhu)،واليا عليها وعلى مقاطعة "كرنادكا" معا.[١]

وقد كانت للشركة أن تواجه عوائق مختلفة فى طريقها إلى الأمام . إنّ سياستها الجديدة النّاتجة عن الأوامر الملكيّة المذكورة سبّبت لظهور عدد غير قليل من الإضطرابات الدّاخليّة . مع هذا أحرزت تقدّما ملحوظا فى شتّى مجالات الحياة بما فيها النشاطات التجارية .[٢]

شهدت الهند لسلسلة من الحروب الشديدة بين السيخيين والأفغانيين من خلال فترة ما بين سنة ١٨٣٨م – ١٨٤٩م . أدّت هذه الحروب إلى إستيلاء الإنجليزيين على

[١] د.ملين كيز كوبال كرشنن – كيلم لوك جرترتّلودى(ملیالم) –الناشر –كيرلا بهاشا انستتيوت- صفحة ١٩٨
[٢] وليم لوكن – تاريخ ملیبار– الناشر –ماتربهومي بكس- صفحة ١٨٣

الأماكن الاستراتيجية مثل السند والبنجاب وإحاطة قوّتهم بالدّويلات الهنديّة وكذلك لإخضاع هذه الدّويلات تحت سيطرتها التامة. إنّ هذه الظروف المختلفة أدّت إلى سيطرة الإنجليزيين التامّة على جميع أرجاء الهند وحكمهم الطويل حتّى نشوب ثورة سنة ١٨٥٧م الّتى تعتبر الثورة الأولى لإستقلال الهند.

***

الفصل الثاني

الثورات الشعبية ضدّ الإنجايزيين في القرن الثامن عشر

لمّا اشتدّت الإضطرابات من قبل السكّان المحلّيين اضطرّ الإنجليزيّون للإنتقال إلى سائر مناطق كيرلا . فجاءوا إلى المناطق الجنوبية حيث اتّصلوا "آتّنغّل رانى " (Attingal Rani) يطلبون منها الإذن لبناء القلعة فى بقعة "أنجتنغ"(Anjidip) ذات أهمّية إستيراتيجيّة بالغة . وا فقت على طلبهم هذا . وتمّ بناء القلعة سنة ١٦٩٥م . سبّبت هذه القلعة الّتى تقع فى بقعة يمكن المواصلات منها إلى المناطق الشّمالية بحريّا بكلّ سهولة لتطوّر هائل في نشاطاتهم التّجاريّة . وبالإضافة إلى هذا قاموا بفتح مستودع فيها لتخزين الأدوات الغربية . وبالنسبة للإنجليزيين كانت هذه البقعة من أهمّ المراكز الإستراتيجيّة بعد بومباي فى السواحل الغربية[١] . وقد سبّبت موقعها الإستراتيجى لإزدياد نفودهم فى جميع مناطق كيرلا فى تلك الآيّام . أما سكّان هذه المناطق فما كانوا يرتاحون بما للإنجليزيين من السيطرة والنفود . وقد أدركوا خطرا هائلا فى ازدياد نفودهم ولا سيّما فى المجالات العسكريّة . وقد حاولوا للإعتداء على القلعة محاولة فاشلة . مثل هذا قاموا بهجوم شديد على قافلة للإنجليزيين تحمل الهدايا والتحف الثمينة لآتنغّل رانى." ولكن هذه المحاولات كلّها فاشلة .[٢]

[١] د. اي. شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – الناشر د.ي.سي.بكس- صفحة ٣٠٤
[٢] د. ت.ك. كنغادهرن – كيرلا :تاريخه وثقافته (مليالم)- الناشر –مكتب جامعة كاليكوت –تيزبالم – صفحة ٣٠٣

ثورة آتنغّل (Attingal Outbreak)

في سنة ١٧٢١م ظهرت مرحلة جديدة فى شأن مصنع "أنج تنغ"(Anjengo) المذكور. بالنسبة للإنجليزيين إنّ هذه المرحلة مرحلة أزمّة شديدة ناتجة عن معاملاتهم القبيحة تجاه السّكان المحلّيين اللّذين كانو لا يرضون بهم ولا بتصرّفاتهم السيّئة. ولو كانوا يتظاهرون بتمجيد الملكة "آتنغّل رانى"ويقدّمون إليها هبات ثمينة مختلفة كانوا يهملون الرّعيّة كلّ الإهمال ويوغرون صدورهم بشتّى أنواع المعاملات .وقد اتّصل أعيان تلك الطبقة من السّكّان المحلّيين المعروفين بإسم "بلاّ"(Pillai) بالسيّد "كيفورد"(Gyfford)[1] ،رئيس الشركة الشرقيّة الهنديّة وقتذاك واشترطوا تقديم الهبات لملكة "آتنغّل رانى "بواسطتهم وبمعرفتهم التامّة . ولكنّ "كيفورد" ما كان مستعدّا للإستجابة لهم . وقد أراد للذّهاب إلى قصر الملكة بالهبات والهدايا الثمينة بدون إخبار السّكان المحلّيين وخرج يرّئس فرقة تتكوّن من١٤٠من الإنجليزيين يحملون معهم قدرا غير قليل من الهدايا الفاخرة للملكة .قبيل وصولهم فى قصر الملكة ، عندما وصلوا فى بقعة "آتنغل" أوقفوهم الثّوّار من السّكان المحلّيين واعتدوا عليهم بكلّ شدّة . إنّ هذه الإعتداءات التى وقعت فى اليوم ١٥من شهر إبريل سنة ١٧٢١م أدّت إلى مقتل جميع من فى فرقة الإنجليزيين .بعد هذه المجزرة أقبل الثّوّار إلى "أنجتنغ" ،مقرّ الإنجليزيين ،حيث حاصروا قلعتهم فترة ستّة أشهر .إنّ هذه الثّورة التى تُعتبر الأولى من نوعها فى تاريخ إستقلال الهند إنتهت برفع الحصار

[1] . وليم كيفورد هو المنتصب الى شركة الهنديّة الشرقيّة والمشارك في نشاطات مصنع تابع لها في مدراس منذ التأسيس

بعد وصول جنود إضافيين من "تلشّيرى"، مقرّالإنجليزيين الأكبر فى شمال كيرلا . وقد أدّت هذه التّطوّرات إلى خسائر روحيّة للإنجليزيين ومادّية للثّوّار . وقد أجبر الإنجليزيّون الملكة "آتنغّل رانى " للتّعاقد معهم لمواصلة النشاطات التجاريّة فى الأيّام المقبلة. فاضطرّت لقبول جميع ما قدّموا أمامها من البنود والشّروط فى الإتّفاقيّة . حسب هذه الإتّفاقيّة كانت عليها أن تقدّم للإنجليزيين التعويضات الماليّة لكافّة الخسارات الماديّة منها والرّوحيّة[1].وبالإضافة إلى هذا مُنحت لهم حرّية تامّة لفتح المراكز التجاريّة حيث ما رغبوا فى الأماكن تحت سيطرتها . هذه كلّها كانت بالإضافة إلى ما أعطي لهم من الإحتكار للإتّجار بالفلفل الّذى يُعتبر من أهمّ التّوابل المصدّرة إلى الدّول الأوروبيّة .

أوجدت هذه المعاهدة بيئة مناسبة وصالحة للإنجليزيين للمواصلة بنشاطاتهم التجاريّة ولتوسيع نفودهم فى شتّى أرجاء مناطق كيرلا جنوبا وشمالا . بناء على هذه المعاهدة وقد أمكن لهم تشييد مصنع فى بقعة "إدوائى" داخل حدود "آتّنغل رانى". وكذلك بناءا على معاهدة أخرى فى عام ١٧٢٣م تمّ تشييد قلعة من قبل ملك "تروتانكور" للشركة الهنديّة الشّرقيّة الإنجليزيّة التى جهّزتها بكافّة الأسلحة والعتاد المطلوبة .

هكذا عندما يواصلون توسيع نفودهم فى المناطق الجنوبية كانوا لا يهملون المناطق الشمالية، بل كانوا يولون إهتماما مماثلا لتلك المناطق أيضا .وقد رغبوا فى إيجاد

[1] د. اي. شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – الناشر د.ي.سي.بكس- صفحة ٣٠٤

علاقات ثنائيّة بينهم وبين "ودكوكلم كور"(Vadakkumkoor) ملك "كولت ناد (Kolathu Nadu) . فساعدهم الملك لبناء قلعة في "تلشيرى" . هنا أيضا كان لهم أن يواجهوا المكافحات الشّديدة والمهاجمات المتواصلة من قبل السّكان المحلّيّين مثل ما كانوا يواجهونها في "أنجتنغ" . ولو كان لهم أن يواجهوا الاعتراضات والاعتداءات فى أوائل أيّامهم كانوا يركّزون جُلّ اهتمامهم على قمعها واستأصال بذور الثورة والشّقاق الّتى نُشرت طول أراضيها . عند ما استتبّت لهم الأمور واستقرّت لهم المقام تطوّرت نشاطاتهم التجاريّة فى الأراضي الشّماليّة ولا سيّما فى مدينة "تلشّيرى فى شكل ملحوظ.

الإضطرابات فى ميسور وازدياد نفود الإنجليزيين

سبّبت الإضطرابات المختلفة التى نشبت فى ميسور لظهور قدر غير قليل من المشاكل والصعوبات للشركة الهنديّة الشرقيّة فى أراضى كيرلا طولا وعرضا . وقد تعرّضت المراكز التجارية فى تلشّيرى للكثير والكثير من الأضرار نتيجة التطوّرات السّياسية فى ميسور التى كانت تحت سيطرة الملك "حيدر على" (Hyder Ali) . وقد حاول "حيدر على مرّتين للمهاجمة على الإنجليزيين فى مناطق كيرلا الشمالية. الأولى كانت سنة ١٧٦٦م والثانية كانت سنة ١٧٧٣م .ولكن فى كلتي المرّتين غُلبت جنود ميسور أمام الإنجليزين المؤيّدن من قبل الساموتري ملك مليبار.

بعد موت حيدر على خلّفه إبنه "دبّو سلطان"(Tippu Sulthan) .كان من أمهر ملوك ميسور وأشهرهم.لقد اشتدّت العداوة بين ملوك ميسور والإنجليزيين وبلغت أوجها .

قاد دبّو سلطان حملة عسكريّة إلى المناطق الشمالية فى كيرلا للسيطرة على الممالك الصغيرة فيها ولمحاربة الإنجليزيين الّذين يؤيّدونهم لإستغلال موارد البلاد المختلفة بإسم الشركة الشرقيّة الهنديّة .فور الوصول هنا قام بتشييد القلاع وما شابهها فى بعض الأماكن الشماليّة . عند ما قاد دبّو سلطان حملة عسكريّة فى سنة ١٧٨٩م على "تروتامكور" أقبل الإنجليزيون لمناصرة الملك بكلّ ما لديهم من الإمكانيّات . وقد عزم دبّو سلطان للرجوع فى هذه المرّة و للوصول هنا مرّة ثانية بجمع جيش كثيف وادّخار القدر الممكن من العتاد والأسلحة المتطوّرة . وقد غادر إلى ميسور بإبقاء عدد غير يسير من جنوده للدّفاع عمّا يتركه هنا من الجنود والمصالح الأخرى .

وفى سنة ١٧٩٠م أقبل الإنجليزيّون إلى ميسور للإعتداء على "شريرنك بتّنم" مقرّ دبّو سلطان . فاضطرّ جنود دبّوسلطان للرّجوع فورا إلى ديارهم للدفاع عنها و ملكهم دبّوسلطان. فتحت هذه التطوّرات الأبواب أمام الإنجليزيين اللّذين يحلمون الدّخول إلى منطقة مليبار فى شكل تامّ .وقد استغلّت "العقيد ستوورت" (Stewart)هذه الفرصة وقاد حملة إلى قلعة بالاكّاد(Palakkad) واستولى عليها بدون أدنى منازع ومدافع فى سنة ٢٢سبتمبر ١٧٩٠م . وكذلك إستولوا على قلاع أخرى ، آخرها كانت قلعة "كنّور" لـ أركّل بيوى" التى إعتدى عليها القائد الإنجليزي "آمبر كرامبى" .

أمّا الإنجليزيّون الّذين دخلوا مدينة "شريرنك بتّنم"(Srerangapatna فقد ضربوها ضربا شديدا من الجهات الأربعة وحاولوا للسيطرة عليها والقضاء على الملك دبّو

سلطان . عند ما اشتدّت الحرب وكاد النصر قاب قوسين للملك دبّو سلطان إحتال الإنجليزيّون لإيجاد السلم بين الطرفين . وقد قدّموا أمام الملك خطّة لانهاء العداوة وإيجاد السلم على أساس معاهدة بينهما . أمّا الملك الذى كان يتطلّع إلى آفاق واسعة فقد وافق علىا قتراحاتهم للدّخول فى المعاهدة . هكذا ، فى سنة ١٧٩٢م تمّ التوقيع بين كلي الطرفين فى معاهدة تؤهّل الإنجليزيين للإستيلاء على جميع مناطق مليبار تحت سيطرة دبّو سلطان ما عدا منطقة "ويناد"(Wayanad) بالإضافة إلى منطقتي "كوشن (Kochi)،وكُودك"(Kudak) .

ما كانت هذه المعاهدة كافية لجعل العلاقة بين الطرفين خالية خلوّا تامّا من المشاجرات والمجادلات وفى عام ١٧٩٩م خلافا لما تنصّه المعاهدة المذكورة ، خرج الإنجليزيّون للإستيلاء على باقي المناطق تحت سيطرة دبّو سلطان . وقد أدّت التطوّرات المترتّبة إلى تفاقم الأوضاع السّياسية وبالتّالى نشبت حروب شديدة بين الإنجليزيين و بين دبّوسلطان. ومن أشهر هذه الحروب تلك التى أدّت إلى سقوط مقرّ الملك فى " شريرنكبتّنم ". مع هذا أمكن للإنجليزيين الإستيلاء على بعض المناطق مثل "هوس دورغ(Hosedurg)"وكاسركود (Kasarcode)فى جنوب إقليم "كانرا" وكذالك منطقة "ويناد " . أمّا المناطق التى تسيطر عليها الملوك الصغار فى منطقة جنوب كانرا ومليبار فما كانت مستعدّة للإنضمام إلى "كتلة الإنجليزيّين الّذين يرغبون فى الإستيلاء عليهم برمّتهم . وقد وقفوا بكلّ قواهم على الإنجليزيين . ولكن كانوا لا يستطيعون الدّفاع عن ممالكهم الصغيرة ولا أعراضهم الثمينة . وقد

إضطرّوا للمساومة معهم فى أمر ممالكهم وممتلكاتهم فيها . وقد نجح الإنجليزيّون فى إقناع هؤلاء الملوك الصّغار ببعض الوعود المغرية .

وبالتالى ضُمّت تلك الممالك الصغيرة أيضا إلى الأراضى الإنجليزيّة . أمّا ملوك الممالك الصغيرة فى كوشن وتروتانكورفقد إتّصل بهما الإنجليزيون وعرضوا أمامهما بعض المناصب العالية لو كانا يستعدّان ليتمشّيا معهم بدون أيّما تدخّل فى الشّؤون السّياسية والتجارية . وفى عام ١٨٠٠م صارت منطقة كوشن تحت سيطرة حكومة" مدراس" وبالتالى تحت سيطرة الإنجليزيين السّياسية التامّة . هكذا ، بعد أكثر من عقدين اثنين من مقتل الملك دبّوسلطان صارت منطقة كيرلا برمّتها تحت سيطرة الشركة الهنديّة الشرقيّة الإنجليزيّة .

ماكانت سيطرت الإنجليزيين على المجالات المختلفة إلاّ ببدل جهود مضنية ومواجهة العديد والعديد من المعارضات الشديدة من قبل السكّان المحلّيين . وقد كان لهم أن يتعرّضوا للإعتداءات العنيفة والإضرابات الشديدة التى تهدّد كيانهم فى أراضى هذه المنطقة . كانت هذه الثورات والمظاهرات كلّها تحت قيادة طائفة من الرّؤساء اللّذين كانوا يتّسمون بحبّهم للوطن وبنى الوطن. لقد شهدت العقود الأخيرة من قرن الثامن عشر و الأولى من القرن التالى لعدد لا يحصى من المحاولات الجادة بما فيها الإشتبكات والمشاجرات والمخاصمات وغيرها بالإضافة إلى ما تعقد فى جميع أرجاء المنطقة من المظاهرات المختلفة. وقد شارك فى هذه الثورات لإستقلال الهند

جميع من كانوا يعيشون فى مناطق مليبار ، وكوشن وتروتانكور بدون إستثناء ولو بقعة واحدة فيها.

ثورة الملك بازاشى

كان الملك "كيرلاورم بزشى راجا"(Kerala Varma Pazhassi Raga) أشدّ أعداء الإنجليزيين فى المناطق الشمالية . وقد قاد عددا غير يسير من الثورات ضدّهم فى الفترات المختلفة . ومن أهمّ هذه الثورات تلك الّتى وقعت فى فترة ما بين ١٧٩٣م - ١٧٩٧م . بسبب رفضه ضريبة غير معقولة للإنجليزيين . وقد تحدّى السلطات الإنجليزيّة بتجميد الضرائب بكلّ أنواعها . وقد حاول الإنجليزيّون تحت قيادة "القائد كوردن" للقبض على الملك وللإتيان به إلى مقرّهم . ولكن لاذ الملك فرارا إلى منطقة "ويناد" حيث واصل نشاطاته فى المكمن طيلة فترة طويلة .من خلال هذه الفترة قام بتعطيل جميع المواصلات عبر طريق " كوتّيادى" (Kuttiadi)الرئيسى الّتى لها أهمية استيراتجيّة كبرى فى تلك الظروف . وقد أوغرت هذه العمليّة صدور الإنجليزيين فخرجوا للقضاء على الملك .ولكن لم يقدروا العثور على الملك فى مكمنه .وقد اضطرّوا لإعلان رغبتهم فى المعاهدة مع الملك . عند ما علم الملك عن حسن إستعدادهم للمصالحة بينهما ، خرج بناء على طلب رسميّ من الإنجليزيين إلى مقرّهم. تمّ التوقيع بينهما فى معاهدة تنصّ التعايش السلميّ بينهما .

ولكنّ هذه الأجواء السّلمية لم تستمر طويلا . لقد ظهر بعض الخلافات بين الملك والإنجليزيين بسبب منطقة "ويناد" الّتى كان الإنجليزيّون يمتلكونها بعد معاهدة

"شريرنك بتّنم ". فقد حاول الملك لاسترداد هذه المنطقة من الإنجليزيين . جمع جيشا كثيفا يتكوّن من شبّان مدرّبين على طرق الحرب المختلفة الّذين يمثّلون طبقات مختلفة فى المجتمع . وقد قدم المحارب الشّهير منجيري أتّنموين كركّض وأصحابه أيضا الى الأمام لنجدة الملك وقدّموا له كافة التّأييدات لمحاربة الإنجليزيين .[١]

وقد بدأت الثورة فى شهر يونيو سنة ١٨٠٠م . أراد الإنجليزيّون لمواجهة الثّوّار ولقمع الثورة إلى الأبد . وقد أحرز الإنجليزيّون انتصارا واضحا على جنود الملك فى الاشتباكات المتتالية . وقد حاصروا الملك وجنوده بمساعدة من السّكان الأصليّين فى غابات "ويناد". وبدأو القضاء على أعوانه من الجنود والمساعدين. وقد دام الحصار سنوات حتّى أمكن القضاء على الملك باطلاق النّار عليه فى المكمن فى شهر نفمبر سنة ١٨٠٥م .[٢]

ثورة طائفة" كوريشيا "(Kurichiar Revolt)

وقدسبّبت سياسة الإنجليزيين الجديدة فى جباية الضرائب وجمعها فى شكل النّقود مقابل المحصولات الزراعيّة لظهور مشاكل كثيرة فى المجتمع . كانوا يتعوّدون دفع الضرائب إلى السّلطات فى شكل المنتوجات الزراعيّة كالحبوب والخضروات والفواكه وغيرها . عندما أُمروا لدفع الضرائب نقودا وجدوا فيها صعوبات عديدة . فخرجوا ضدّ هذه السّياسة وحاصروا جيوش الإنجليزيين المعسكرين فى مدينتي

[١] وليم لوكن – ملبار مانول – الناشر –ماتربهومي بكس- صفحة ٣٤١
[٢] د. اي. شريدهر مينون – تاريخ كيرلا (مليالم) – الناشر د.ي.سي.بكس- صفحة ٣١٦-٣١٧

"سلطان بتّيرى(Sulthan Bathery) ،و"مانندوادي" (Mananthavady). أرسل الإنجليزيّون المزيد من الجيوش للدّفاع عن المعسكرات وقمع الثورة . وقد تسنّى لهم فكّ الحصار وإنهاء الثورة بدون أيّما جهد مبذول. تُعتبر هذه الثورة الأخيرة من نوعها من قبل العامّة من النّاس ضمن ثورات الفترة الأولى.[1]

***

[1] د. ت.ك. كنغادهرن – كيرلم جرتروم سمسكاروم (مليالم)- الناشر –مكتب جامعة كاليكوت –تيزبالم – صفحة ٣٤٥

الفصل الثالث

الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين في القرن التاسع عشر

ثورات المسلمين(مابلا) فى كيرلا (Mappila Revolt)

إنّ الأنظمة الجديدة الّتى قام الإنجليزيّون بتطبيقها فى جباية ضريبة الخراج سبّبت لظهور العديد من الثورات فى منطقة مليبار طولا وعرضا . كانت مناطق مليبار الجنوبية من أهمّ مراكز هذه الثورات التى دامت خلال القرن التآسع عشر. معظم الثوّار كانوا مسلمين لذين ينتمون إلى طبقة الفلّاحين. وكانوا يعرفون رسميا بإسم "مابلا"(Mappila). حيث أنّ معظم الثّوّار كانوا مسلمين يحاربون الإنجليزيين سرّا وجهرا بكلّ شدّة ، إنّ المسؤوليين الإنجليزيين والمؤرّخين الّذين يؤيّدونهم كانوا يصفون ثورتهم ثورة مابلا المستمدّة من العصبيّة الدّينية الشّديدة . وفى الحقيقة كان للتّعاليم السّماويّة دور بالغ فى إخراج هؤلاء المستضعفين المضطهدين من الفلّاحين ضدّ المستعمرين الّذين دائما كانوا يقومون بإستغلال الموارد البشريّة والطّبيعيّة . معظم هؤلاء الثوّار كانوا من طبقة الفلاّحين الضّعفاء والتّجار الصّغار والعمّال العاديين . وقد نشبت حوالى إثنين وعشرين ثورة فى فترة ثماني عشرة سنة ما بين ١٨٣٦م ١٨٥٣م .[١]

عند المقارنة بين الأديان المختلفة نرى المسلمين فى القرن التاسع عشرة كانوا يتخلّفون عن الآخرين فى شتّى مجالات الحياة ولاسيّما فى المجالات الإجتماعيّة

[١] د. ت.ك. كنغادهرن – كيرلا :تاريخه وثقافته (مليالم)- الناشر –مكتب جامعة كاليكوت –تيزبالم – صفحة٣٤٥-٣٤٦

الاقتصادية . لما أنّ المسلمين كانوا من مؤيّدي الملك دبّو سلطان كان الإنجليزيّون يعاملون معهم معاملة خشنة بكل العداوة الشّديدة . وقد أبعدوا المسلمين عن المناصب الحكوميّة وأغلقوا أمامهم الأبواب إلى المستقبل . إنّ هذه التّصرّفات الغليظة من قبل المسؤوليين دفعتهم إلى هوّة التخلّف وأوقعت فى أعماق قلوبهم بذور الثّأر الّتى نبتت ونمت حتّى إشتعلت ثورات هائلة فى السنوات القادمة .

إن هذه الثّورات الّتى نشبت فى شتّى أنحاء فى منطقة مليبار كانت تزعج الإنجليزيين تهدّد كيانهم . معظم هذه الثورات كانت يقودها علماء أجلّاء من المسلمين أمثال السيد علوى المنفرمى والسيّد فضل بوكويا والقاضى عمر . وقد لعب هؤلاء العلماء والأمراء دورا هامّا فى إضرام نار الثورة . وقد إعتبروا هذه الثورات للدّفاع عن الأعراض والممتلكات مقدّسة وشجّعوا النّاس كلّهم للوقوف أمام الأعداء بكلّ قواهم كأنّهم بنيان مرصوص .

وقعت هذه الثورات كلّها فى الأماكن الجنوبية من منطقة مليبار ما عدا تلك الّتى وقعت فى قرية "مدّنّور"(Mattanur) ١٨٥٢م . ومن الواضح من الدّراسات الّتى أجريت من قبل باحث عُيّن لإجراء الدراسات حول الثورات فى مليبار ، أن الثّورة الّتى نشبت فى قرية "فنتلّور" (Pandallur)سنة ١٨٣٦م هي الأولى من هذه الثّورات .

ثورة "فنتّلّور"(Pandallur)

هذه الثورة عبارة عن سلسلة من الإشتباكات الصّغيرة منها والكبيرة التي وقعت بين المزارعين المسلمين وبين الإنجليزيين تارة وبينهم وبين ملّاك الأرض الهندوكيين تارة أخرى في قرية "فنتلّور ".

ومن أولى هذه الإشتباكات تلك التي جرت بين ألدّ أعداء الإنجليزيين من أسرة "مداري الشهيرة في قرية "مودكّود" قريبا من فنتلّور باسم "أونّي موسى موبن"[١](Unnimosa Mopan) الذي حارب الإنجليزيين مع الملك بازاشي في منطقة وينادو . كان هذا القائد المقدام قذى في عيون الإنجليزيين الّذين لا يستطيعون إهماله ولا السّيطرة عليه في شكل تامّ . ولو حاولوا مرارا لإبعاده من هذه المنطقة ظلّ مختبئا في غابات الجبال موجّها إليهم إعتداءات شرسة . وقد اتّخذ الإنجليزيون وسائل مختلفة للحدّ من شّر هذا المناضل الكبير الذي كان غير مستعدا لقبول الوعود الخلّابة والعروض الجزيلة التي قدّمها أمامه الإنجليزيون . خرج الإنجليزيون للقبض عليه حيث ما وجد . وحطموا القلعة التي كانت له فوق جبل وسط الغابة. عندما شعر بدنوّ الخطر قاومهم مقاومة لا مثيل لها . وقد انتهت هذه المقاومة بمقتله إثر الجروح البالغة التى تلقّاها عندما يطلق عليه الإنجليزيون النّار.

[١] رحمان كيدنغّيم – تاريخ المناطق في هيئة "آنكّيم"المحلّة –الناسر –الهيئة المحلّية آنكّيم – ٢٠١٤م صفحة ٢٤٢

ومن أهمّ الثورات من هذه السلسلة تلك التي جرت بين المزارعين المسلمين تحت قيادة "كالّنغال كونجالن"(Kallingal Kunjalan) وبين ملّاك الأرض المؤيّدين من قبل الإنجليزيين سنة ١٨٣٦م . أسفرت هذه الثورة التي سبّبتها معاملات ملّاك الأرض الغليظة عن مقتل العديد من كلتي الفئتين .وبعد هذه الثورة شاهدت هذه القرية العديد من الثورات في العصور المختلفة . كان من أهمّها تلك التي جرت سنة ١٨٤١م بين سكّان فنتلّور والإنجليزيين التي انتهت بمقتل الكثير من المناضلين بالإضافة الى اجلاء معظم المأسورين الى جزر أندمان (Andaman Island).

ثورة موتيجيرا :- (Muttichira)

تُعتبر هذه الثورة التي وقعت بين المسلمين والإنجليزيين في قرية "موتيجيرا" قريبا من تيرورنغادي(Thirurangadi) سنة ١٨٤١م من أهمّ الثورات التي قام المسلمون بها تحت قيادة السيّد علوي المنفرمي . وقد نُشبت هذه الثورة نتيجة لبعض الإشتباكات البسيطة بين المسلمين وأسرة هندوكيّة . إشترى منها المسلمون قطعة من الأرض لتشييد مسجد لهم . حاول هندوكي باسم "تاجوبنكّر" للإستيلاء قهرا على تلك القطعة التي بنى المسلمون مسجدا فيها . أدّت التطوّرات المترتّبة الى اغتيال الهندوكي مع معاونه ونُشوب معركة دامية بين المسلمين والإنجليزيين اللّذين تدخّلوا في القضيّة . وبالنسبة للإنجليزيين المتسلّحين بأحدث الأسلحة المتطوّرة، كانت هذه المعركة صدمة كبرى . لأنّهم تعرّضوا مع أُهبتهم التامّة لخسائر ضخمة مادية

وروحية . وذلك أيضا عند مواجهة طائفة قليلة من المسلمين الّذين لا يتسلّحون الاّ ببعض الأسلحة البسيطة .

ثورة "جيرور"(Cherur)

تُعتبر هذه الثورة من أهمّ الثورات الّتى وقعت فى منطقة مليبار . وقد مهّدت الطريق إلى انتشار الثورة إلى المناطق الأخرى . وقد نظّمت منظومات تشجيعيّة عديدة فى خلفيّة هذه الثورة الّتى أملأت قلوب الشبّان بحماسة لا مثيل لها . إنّ هذه الحماسة المستمدّة من مثل هذه المنظومات والأخصوصات هي اللّتى سهّلت طرق الثوّار إلى الأمام وانتشارها كأنّما تشتعل النّيران فى الأعشاب اليابسة . إنّ هذه الثّورة هي الوحيدة الّتى شارك فيها العالم الكبير "السيّد علوى المنفرمى مباشرا . يُقال إنّ هذا العالم الكبير تلقّى حتفه إثر جروح بالغة أصابت بفخذه فى تلك الإشتباكات .[1]كانت هذه الثورة لمن الأدلّة القويّة على ظهور العديد من الحركات الثوريّة بالإضافة إلى حماسة الشبّان الثّائرين الّذين استمدّوها من مواعظ وخطبات العالم المذكور الّذي كان دائما يركّز جُلّ إهتمامه لتوعية النّاس بدون الفرق بين المسلمين وغيرهم وتشجيعهم ضدّ القوى الاستعماريّة .

ومن الجدير بالذكر فى هذا الصدد أنّ المأمور الإنجليزي فى مقاطعة مليبار ، "ات.وى.كونالى"[2](Henry Valentine Conolly) كتب رسالة إلى السّيّد "ج. ف. تومس" (JFThomas)الأمين العام فى حكومة مليبار محذّرا إيّاه بظهور طائفة جديدة

[1] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمييتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي – جمّاد-٢٠٠٠صفحة ٣٥٧

[2] Henry Valentine Conolly هنري والنتين كولوني هو مدير مقاطعة مليبار

متطرّفة من سكّان المسلمين الأصليّين الّذين يبتعدون عن المظاهر الدنيويّة ويميلون كلّ الميل إلى الحياة التقشّفيّة مهملين الحياة الدنيويّة بكلّ مرافقها . وكذلك أخبره بأنّ أعضاء هذه الطائفة يتركون الوظائف الحكوميّة ويرفضون جميع التسهيلات من قبل الحكومة مثل ما يقومون بتشكيل طوائف مماثلة جديدة فى شتّى أنحاء المنطقة ضدّ الحكومة . أخبره أيضا أنّ لتعاليم العلماء الأجلّاء مثل السّيّد علوى المنفرمي ومواعظهم دور كبير فى ظهور هذه الطّوائف المتطرّفة .

لمّا تلقّت الحكومة هذه الأخبار أوفدت وفدا إلى مليبار للإتّصال برئيس العلماء "السيد علوي المنفرمي و لردعه عن إيقاظ النّاس وإخراجهم على الحكومة . ولكن ما كان هذا العالم الكبير مستعدّا لأن يطيع أوامر المسؤولين ولا لمنع أتبّاعه عن النّشاطات الّتى يقومون بها بستيحاء الإرشادات والمواعظ من قبلهم. فقد سبّبت هذه البيئة لنشوب فتن وثورات عديدة . ومن الثورات الأولى من هذا القبيل تلك اللّتى ظهرت فى قرية "جيرور" سنة ١٨٤٣م.

هذه الثورة المشهورة عبارة عن إشتباكات عديدة وقعت فى حين وآخر فى شتّى القرى المتجاورة مثل "ترورنغّادى، وونّيور(Venniyur) وغيرهما . يُقال انّ إعتناق إمرأة هندوكيّة للإسلام مع بعض الآخرين من العمّال لدى العالم الكبير المذكور هو من أهمّ أسباب هذه الثورة .[١] ولو أنّ معظم المؤرّخين المحلّيين يعدّون هذه الحادثة من أهمّ أسباب هذه الثورة ، كانت هناك أسباب أخرى أهم وأكبر مثل الإضطهادات

[١] ك م بهاوالدين – كيرلا مسلنكض بورادتتر جرترم (مليالم)- الناشر – اسلامك بيلشنغ هوس -١٩٩٥-صفحة ١٤٦ الأستاذ.

المختلفة فى شكل الأنظمة والسّياسات الغريبة الّتى تعرّض لها الشّعب ولا سيّما الفلّاحين.

إنّ هؤلاء المسلمين الجدد كانوا من عمّال كبير الأملاكين فى تلك المنطقة ، باسم "كاباد كرشن بنكّر " (Kappad Krishna Panikker) . فقد أبغضته هذه الحادثة وجعلته ينتقم منهم فى صورة بشعة. ولكن بعد قليل تبيّن له أنّ هذه المعاملات من قبله أزعجت السّيّد علوى المنفرمى الّذي هو أيضا يحترمه ويوقّره مثل سائر النّاس بدون الفرق بين المسلمين وغير المسلمين . فقد إتّصل بهذا العالم فى مقرّه فى منفرم يطلب منه العفو والتسامح لما إقترفه من السّيّئات . ولكن أرجعه مخبرا إيّاه بأنّه سوف يتلقّى عاقبة ما ارتكبه من السيّئات ولاسيّما نحو المسلمين الجدد . فرجع خائبا بعد هذه الحادثة. فقد بدأت قوّته تضمحلّ شيئا فشيئا حتّى تعرّض لبعض الأمراض الخطيرة وبالتّالى تم عزله من المناصب الفخريّة الّتى أكرمته بها الحكومة الإنجليزيّة .

إنّ أخبار هذه التطوّرات التى إنتشرت فى جميع مناطق مليبار أوغرت صدور المسلمين هيجتهم للإنتقام من كرشن بنكر . وقد كان فى طليعة هؤلاء المنتقمين سبعة شبّان من قرية "بنمولا" (Ponmala) قريبا من ملابرم . وقد ذهبوا إلى منفرم فى رئاسة واحد منهم ، هو العالم والغني الكبير "محي الدّين "(Muhuyudheen) ، حيث اتّصلوا بالسيّد علوى المنفرمى وأخبروه برغبتهم الشديدة فى الإنتقام من كرشنا بنيكر . وما كان له إلاّ أن يذعن أمام إلحائحهم الشّديد على الإنتقام . وقد

ودّعهم متمنّيا لهم كلّ التوفيق والنّجاح فى كافّة خطواتهم إلى الأمام . وقد أخذوا أُهبة تامّة لتنفيد أمنيّتهم تلك المقدّسة وتسلّحوا بكافّة الأسلحة الممكنة وخرجوا بجمع غفير من الشّبّان إلى "ونّيور" حيث كانوا يريدون القضاء على كرشنن بنكّر المذكور . وقد اختبؤا قريبا من طريقه إلى بركة يتعوّد الإستحمام فيها . وقد كان لهم أن يختبؤا هناك أسبوعا واحدا بأكمله حتّى رأوه فى اليوم الثامن يتوجّه وحيدا إلى البركة . فانتهزوا الفرصة ووثبوا عليه وثوب النمر على الفريسة وقضوا عليه بدون أي ما إعتراض .

أحدثت هذه الحادثة ضجّة كبرى فى الأوساط الهندوكيّة . وقد أراد أقرب أقرباء المقتول للإنتقام من الثّوار . وقد خطّطوا بعض الخطوط السرّيّة لمواجهة الثّوّار . عند ما علم الثّوّار عن خطوطهم هذه ، خرجوا مع بعض المناضلين لمواجهة الأعداء فى "جيرور" . لمّا علموا عن قدوم الثّوّار رجعوا إلى الوراء واختبؤوا فى ديارهم. اتّصلوا بالإنجليزيين فى كاليكوت يطلبون منهم المساعدات العسكريّة للإنتقام من الثّوّار . بناءا على هذا وقد وصل جيش كثيف من الإنجليزيين وقد أعجبهم قلّة عدد الثّوّار . كانوا ينتظرون عددا هائلا من الثّوّار . وقد جرت إشتباكات عنيفة بين الطرفين حتّى انتهت بإستشهاد جميع المناضلين وقتل أربعة من الجيوش الإنجليزيين بالإضافة إلى ما أصابت بخمسة منهم من الجروح البالغة . يُذكر فى بعض الكتب التاريخيّة أنّ العالم الجليل السيّد علوى المنفرمى قد شارك

فى هذه الاشتباكات مباشرا. بعد استشهاد الثّوّار المسلمين رجع إلى بيته متلقّيا بعض الجروح البالغة فى فخذه اليمنى الّتى أودت بحياته فى وقت لاحق .[١]

أجبرت هذه الثورة المسؤولين الإنجليزيين إلى اتّخاذ بعض القرارات صارمة لقمع مثل هذه الثورات. وقد حاولوا لنفى زعيم المسلمين السيّد علوى المنفرمى إلى منطقة "كنّور" ولكنّ المسلمين، بدون الفرق بين الكبار منهم والصغار ، لمّا علموا عن خطّطهم هذه ،خرجوا متظاهرين إلى مقرّ السُلطات ، مهدّدين بإسقاط الحكومة الإنجليزيّة ومعلنين بحسن إستعدادهم للقيام بالتضحية فى سبيل الدّفاع عن الوطن وحرّيّته المسلوبة . وقد اضطرّ الإنجليزيّون ليتركوا المسلمين وزعيمهم الرّوحي السّيد علوى المنفرمى فى سبيلهم بدون أن يأخذوا شيأ من الإجراءات المقصودة .[٢]

ثورة منجيرى (Manjeri)

فى سنة ١٨٤٥م فارق العالم الكبير السّيّد علوى المنفرمى تاركا وراءه إبنه "السيّد فضل بوكويا " فى زعامة المسلمين[٣] . بعد وفاة والده بقليل غادر إلى الجزيرة العربية لمتابعة الدراسات العليا فى العلوم الدّينية . بعد قضاء بضع سنوات فى المدن المقدّسة رجع إلى موطنه فى سنة ١٨٤٨م بعدد غير قليل من الخطط الحديثة لإحياء الأمّة المسلمة وإيقاظهم من حالتهم الجامدة . وقد قام بتوعية كثيفة لإثارة

---

[١] د ك ك محمّد عبد الكريم – منفرم السيّد علوي تنغل – صفحة ٦٨

[٢] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي – جمّاد-٢٠٠٠صفحة ٣٦٥

[٣] ك ن بنكّر – ملبار كلابم بربتوتنم راجوازجكّمتر الناشر د.س.بكس كوتيم-٢٠٠٧– صفحة ١٥١

همم المسلمين وحماستهم . وقد جاء بالكثير والكثير من الإجراءات اللازمة لترقية مستوى معيشة المسلمين . ولم يترك ولو فرصة واحدة إلاّ انتهزها لتوعية المسلمين ولاسيّما الشّبّان منهم بإرشاداته القيّمة ومواعظه الغالية . وكذالك كثيرا ما كان يستخدم الخطبات فى أيّام الجمعة لتوعيّتهم . و بالإضاقة إلى هذا ألّف مؤلّفات كثيرة يشجّعهم على الوقوف أمام الأعداء ويحثّهم على بذل ما لديهم من الأموال والأرواح فى سبيل الحرّيّة وكرامة الإنسان .

وفى سنة ١٨٤٩م نشبت سلسلة من الإشتباكات فى "منجيرى ،وما تجاوره من الأماكن الأخرى مثل "فنتّلّور ،(Pandallur) وباندكّاد (Pandikkad)، وأنغادبرم" (Angadippuram). كانت هذه من أهمّ الثورات بعد وصول السيّد فضل بوكويا من الجزيرة العربيّة [١] . هذه سلسلة من الثورات فى قيادة القائد الكبير "أتّن موين كركّض" ومعاونه" كنج كويا تنغّل ابن السيّد حُسين تنغّل ". كانت هذه الثورة هى الأولى من نوعها الّتى شارك فيها عدد كثير من الثّوار المسلمين واستشهدوا أكثرهم . وقد حارب الجنود الإنجليزيون الشبّان الثائرين ولاحقوهم حيثما فرّوا حتّى أدركوهم فى الأماكن المختلفة مثل "باندكّاد(Pandikkad)،و توّور(Thuvoor)، وكاليكاو(Kalikavu)،و كروارکّندّو (Karuvarakundu)[٢]. تمتاز هذه الثورة بالكثير من الميزات الّتى تخلّد ذكرياتها وارفة فى الكتب التاريخيّة . ومن بين هذه الميزات ان هذه الثورة هي الّتى غلب فيها الإنجليزيّون أكثر مرّات . وكذلك هي الثورة الّتى قادها

[١] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي – جمّاد-٢٠٠٩صفحة ٣٧٨

[٢] ك.مادهون ناير – ثورة مليبار (مليالم) – صفحة ١٨٨

العلماء والأمراء معا واستشهد بعضهم فيها . إنّ الأسباب الّتى أدّت إلى هذه الثورات كانت مدوّنة ومنظّمة من قبل هؤلاء الزعماء الّذين يأمرون أتبّاعهم الثوار للإبتعاد عن النّساء والصّغار والأبرياء من الهندوكيين . ومن أهمّ نتائج هذه الثورات أنّها أبلغت قضيّة المسلمين والفلّاحين المضطهدين فى إنتباه المسؤوليين الكبار من الإنجليزيين .[١]

ثورة كلتّور(Kolathur)

هذه الثورة الّتى وقعت فى سنة ١٨٥١م هى الثورة الثانية التى نشبت بتشجيع تامّ من السّيّد فضل بوكويا تنغّل . خلافا للثورات السابقة التى تقصد الإنجليزيين كان الثّوار هنا يهدفون الأغنياء اللّذين يمتلكون الأراضى الزّراعيّة بأكملها ويقومون بإ ستغلال الفلّاحين الفقراء معظمهم كانوا مسلمين . حاربهم الثّوّار وشنّوا عليهم غارات عنيفة من الجهات الأربعة حتّى اضطرّوا للفرار أمامهم تاركين وراءهم كلّ ما يمتلكون من الأراضى الواسعة الخصبة . لاحق بهم الثّوّار فاغتيل منهم من قبضوا عليهم .بناءا على طلب من المسؤولين الإنجليزيين أرسلت أوّلا فرقة تتكوّن من جيوش محلّيين لقمع هذه الثورة . ولكن أمكن لثّوّار المسلمين أن يغلبوهم وينتصروا عليهم . بعد قليل أرسلت فرقة أخرى من الجيوش الإنجليزيين المسلّحين بأحدث الأسلحة برفقة بعض الجنود المحلّيين . وقد إلتقى الفريقان فى قرية "كلتّور" . عند ما حمي الوطيس وبدأ الإنجليزيّون إطلاق النّار بكلّ شدّة ، خلافا للفرار من

[١] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمييتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي – جمّاد-٢٠٠٠صفحة ٣٧٨

ساحة القتال تجلّدوا أمام رصاص الأعداء . وحاربوهم بلا هوادة حتّى أوقعوا الارتباك فى صفوفهم . وقد كانوا على وشك الفرار لولا أن انضمّت اليهم قوّات إضافيّة من معسكرات الإنجليزيين . وبفضل هذه القوّات الإضافيّة أمكن للإنجليزيين إستأصال جذور الثورة بإغتيال الثّوّار بأكملهم .

ثورة متّنّور (Mattannur)

هذه الثّورة هى الأولى الّتى وقعت فى شمال منطقة مليبار. وكذلك هى الأخيرة وفقا لأوامر السيّد فضل بوكويا تنغّل.[1] إنّ الخلافات الّتى نشبت بين طائفة من ملّاك الأراضى الزّراعيّة والمزارعين المسلمين هى الّتى سبّبت هذه الثّورة الّتى شهدتها منطقة شمال مليبار فى سنة ١٨٥٢م . هذه عبارة عن إشتباكات عنيفة بين الثّوّار المسلمين الّذين يعملون فى حقول الأغنياء من الهندوكيّين . إنّ هؤلاء الأغنياء من الهندوكيين الّذين يستبدّون بالأراضي الزّراعيّة كانوا يستغلّون هؤلاء المزارعين أيّما استغلال[2]. إنّ معاملاتهم السّيّئة أوغرت صدور هؤلاء المزارعين الفقراء الّذين خرجوا معا أمام المضطهدين بعد ما يتلقّون التشجيعات من السيّد فضل بوكويا تنغل . إنّ هذه الإشتباكات أدّت إلى مقتل الكثير من كلتي الطّائفتين .

وقد أدرك السّلطات الإنجليزيّة أنّ السّيّد فضل بوكويا هو الّذى وراء إشعال نيران هذه الثّورة. وقد اتّخذوا قرارا لإجلائه مع كافّة أعضاء الأسرة إلى الجزيرة العربيّة

[1] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي – جمّاد-٢٠٠٩صفحة ٤

[2] ك.ن.بنكّر –ثورة مليبار- صفحة ٩٨

. هكذا تمّ إجلاؤه مع أسرته فى سنة ١٨٥٢م الىالجزيرة العربيّة [١] حيث قضى قرابة عقدين متنقّلا بين بعض الدّول العربية ومتولّيا بعض المناسب الهامّة ولاسيّما فى منطقة "ظفار" من أقصى جنوب الجزيرة العربيّة وفى عاصمة الدولة العثمانيّة فى "كونستانطنوبل" . وقد فارق الدّنيا سنة ١٩٠١م تاركا وراءه الكثير من الصفحات النّيّرة فى كتب التّاريخ.

***

[١] وليم لوكن – ملبار مانول – الناشر ماتربهومي يكس – صفحة ٣٥٩

الفصل الرابع

الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين في القرن العشرين

حادثة جاليان والاباغ(Jallianwala Bagh)

حاول الإنجليزيون لتطبيق القوانين على المواطنيين ،وثار الفلّاح فى بنغال ، وتلّته حركات مماثلة وقويّت ثورات المواطنين فى كلّ القرى والمدن ، وقد حبس الإنجليز عام ١٩١٩م عددا من زعماء حزب المؤتمر مثل "د:ستيابال والسيّد سيف الدّين بهدف قمع الثورات ، فأعلن الزعماء إضرابا عاما إحتجاجا على حبسهم. وفى المظاهرات المنعقدة بهذا الصدد ، أطلق الإنجليز الرصاص على المتظاهرين وقتل عشرات من المواطنين مما صار موقف الحكام الإنجليز أشد حرجا وخطرا . واشتدت موجات الإحتجاج فى كلّ مكان ، وفى ١٣ أبريل عام ١٩١٩م عقد الزعماء إجتماعا حضره حشد كبير من الناس للإحتجاج على سياسة الإنجليز الماكرة ، وكان ذلك فى ميدان جاليان والاباغ بمدينة أمرتسر فى بنجاب . وهذا الموقع محاط بالأبنية وليس له إلا مدخل واحد ، جاء إليه القائد الإنجليزي "جنرال داير" وأغلق البوابة وأطلق عليهم الرصاص ، وقتل المئات وأصيب أضعافهم بجروح بالغة وأعلن الإنجليز الحكم العرفي فى ولاية بنجاب.[١]

[١] د. جمال الدّين الفاروقي – الثقلفة والحضارة – مكتبة الهدى – ٢٠١٠صفحة

معركة "فوكوتور"(Pukkottur)

انتشرت الإشتباكات والثورات فى شتّى أرجاء منطقة مليبار ولاسيّما فى المناطق الجنوبيّة المكتظّة بالمسلمين وقد كان للإنجليزيين أن يبذلوا جهودا جبّارة لقمع هذه الثورات . وما كان لهم أن يستقرّوا بما لديهم من النفود . وقد اضطرّوا لمواجهة هؤلاء الثّوّار والدّفاع عن مصالحهم التّجارية . وقد أرسلت القوّات الى الجهات الأربعة لقمع هذه الثورات . ومنها طائفة من الجنود الّتى أرسلت إلى منطقة ملابرم حيث كان الثّوّار يتأهبون بكلّ الأسلحة المتوفّرة لديهم . عندما علموا عن قدوم الإنجليزيين من كالكوت إلى مقرّهم خرجوا لصدّهم فى الطّريق .هكذا خرج الثّوّار من القرى المتجاورة أيضا لمواجهة الأعداء. وقد احتشد حوالى ثلاثة آلاف من الثّوّار فى قرية "فوكوتور(Pukkottur)" حيث التقى الفريقان فى اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٢١م .[١] عند الوصول فى "فوكوتور" ما كان الإنجليزيون يرتقبون هجوما من قبل الثّوار. وقد اضطرّوا لمواجهتهم بدون أيّ ما استعداد مسبق. وقد اشتدّت المعركة الدّامية حتّى استشهد فيها أكثر من ثلاث مائة من الثّوّار ولاذ من بقي منهم باالفرار. أمّا الإنجليزيون المنتصرون فقد واصلوا خطواتهم إلى الأمام حتّى وصلوا فى منطقة ملابرم .

[١] صفحة ١٦٨ ك.مادهون ناير – ثورة مليبا-رماتربهومي-١٩٨٧م. -

كارثة العربة (Wagon Tragedy)

كارثة العربة المشهورة عالميّا باسم مأساة العربة حادثة سوداء فى صفحات تاريخ الهند. وقد أبكت جميع العالمين بدون الفرق بين الهنديين والإنجليزيين [١]. عندما اشتدّت عداوة الثوّار من المسلمين أرادت السلطات الإنجليزيّة لإعتقالهم بأكملهم وتسفيرهم إلى الأماكن البعيدة خارج حدود منطقة كيرلا .ومن هذه التعذيبات قرارهم لتسفير بعض الثّوّار إلى السّجون في"كيمبتّور" (Coimbatore) فى عربات مقفلة من الخارج . هكذا أرسل الإنجليزيّون فى اليوم التاسع عشر من شهر نفمبر سنة ١٩٢١م أوّل دفعة من الثّوّار من محطّة القطار فى "ترور"(Tirur) . وكان فى هذه الدفعة تسعون من الثّوّار وقد دفعهم الإنجليزيون إلى داخل العربة وأقفلوها من الخارج. كانت هذه العربة خالية خلوّا تامّا من الخلل حتّى يدخل الهواء إليها . وكانت غير كافية حتّى لتسع نصف تلك الدّفعة . وقد بدأ القطار الرّحلة إلى الأمام والثّوار كلّهم داخل العربة يواجهون صعوبة كبيرة للتنفّس . وما كان لهم إلاّ أن يصرخوا داخل العربة للنّجدة، عندما اشتدّت ظروفهم داخل العربة إضطرّوا حتى للتّحارب بينهم للبقاء فى قيد الحياة .

في الصباح التّالى وصل القطار فى محطّة" بوتنّور "(Pothannur). عندما فُتحت أبواب العربة وجد المسؤولون منظرا مخيفا جدّا[٢] . وقد وجدوا جثثا هامدة فى أشكال مروّعة للناظرين. وقد إضطرّوا لإرجاع هذه العربة بكلّ ما فيها من الجثث

[١] ك مادهون ناير – ثورة مليبار –ماتربهومي بكس -١٩٨٧- –صفحة ٢٦٧
[٢] اى . شريدهر مينون – تاريخ كيرلا – د-س بكس -١٩٨٧م - صفحة ٣٤٥

الهامدة إلى مصدرها .وصلت العربة فى اليوم التالى فى محطّة "ترور" واستخرجت الجثث كلّها ودُفنت فى مقبرة مسجد بجوار المحطّة . هذه الكارثة الّتى أسفرت عن مقتل أكثر من ستّين من الثّوّار فى صورة بشعة منقطعة النظير لا يستطيع الإنسانيّة أن يذكرها إلاّبكلّ الخجل الشديد. لم ينج منها إلاّ عدد قليل ، تحدّثوا فى ما بعد عمّا تلقّوا من صنوف التعذيبات و المشقّات داخل العربة .

حركة ارحلوا عن الهند (Quit India Movement)

وفى عام ١٩٢٩ م تم إعلان العصيان المدنى ، وذلك لإرهاق الإنجليز وكبتهم أمام القوّة الجماعية الهندية . وقد عمت الإضرابات والفتن ومقاطعة المنتوجات الخارجية طول البلاد ، ولم يتخلف العلماء المسلمون عن حركة العصيان المدني ، وقد انتقم منهم الحكام الإنجليز بحبس زعمائهم أمثال مولانا أحمد سعيد الدهلوي ومولانا حبيب الرحمن الدهيانوي . وفي عام ١٩٤٢م صدر قرار حزب المؤتمر الوطني باطلاق حركة "ارحلوا عن الهند" وأيّدها مولانا أحمد سعيد الدهلوي. وبعد ثورة ١٨٥٧م كان زعماء الهند في فئتين ، فئة رأوا اللجوء إلى القوّة والأسلحة لمطاردة الإنجليز وعلى رأسهم سوبهاش جندرا بوش ، وفئة اعتمدوا على طرق السلم واللاعنف ، وفى طليعتهم مهاتماغاندي وأبو الكلام آزاد وجوهرلال نهرو. وهؤلاء الزعماء الثلاثة لهم حضور فعلى فى بناء الهند المستقلّة وغرس ثقافتها .[١]

[١] ماتربهومي بكي – ١٩٨٧ صفحة ٢٦٨ ك.مادهون ناير – ثورة مليبار -

حركة الخلافة في مليبار

يُعتبر "تقرير رولت "(Rowlatt Act)الذى هوجم المسلمون فيه بصفة خاصّة مهاجمة عنيفة ، واتّهموا بالثورة وقد أدّى هذا التّقرير إلى ظهور النزعة الوطنيّة و اتّحاد المسلمين والهندوكيّين فى سبيلها [1] وكان رد الفعل عنيفا ضدّ هذا التقرير في طول الهند وعرضها .[2] إنّ الزعماء المسلمين أمثال محمّد على جوهر وأخوه مولانا شوكت علي ومولانا أبو الكلام آزاد الّذين كانوا يؤيّدون حركة الخلافة العثمانيّة كانوا معجبين بتعاليم مهاتماغاندى وأمثاله المستمدّة من النّزعة الوطنيّة . عندما أنعقد مؤتمر حركة الخلافة فى إله آباد عام ١٩٢٠م وأعلن قرار عدم المشاركة في خدمات الجيش الإنجليزي ، بلغ صداه حتّى فى أقصى جنوب الهند ورحّب به جميع الزّعماء بدون التفرقة الدّينيّة والعرقيّة .

وفى عام ١٩٢٠م حضر مهاتماغاندى برفقة مولانا شوكت على فى مؤتمر أنعقد فى سواحل "كاليكوت " ، فى الحقيقة إنّ الخطبة الّتى ألقاها فيه مهاتماغاندى هي الّتى وضعت أساس حركة الخلافة فى ديار مليبار. سبّبت خطبته لإنتشار النّزعة الوطنيّة ومبادئ حركة الخلافة فى جميع الهند ولاسيّما فى ربوع كيرلا . وبالتالى تمّ تشكيل لجان عديدة لحركة الخلافة فى شتّى أنحاء المنطقة .

---

[1] اى . شريدهر مينون – تاريخ كيرلا – د.س.بكس -١٩٦٧ صفحة ٣٤٤

[2] ١٦٣ المسلمون في الهند-أبو الحسن عل الندوي

وقد كان المسلمون يضمرون عداوة شديدة تُجاه الإنجليزيين لأنّهم هم الّذين سبّبوا لسقوط حكم المسلمين وممالكهم فى شمال الهند وجنوبه وكذلك فى الخارج.[١] عندما عُقد اجتماع المؤتمر الهندي الوطنى فى منجيرى سنة ١٩٢٠م حضر فيه جمع غفير من المسلمين المزارعين الّذين تأثّروا بتعاليم الزّعماء الوطنيين ومبادئ الحركة الوطنيّة[٢]. كانت حادثة جالين والا باغ وتأييد حركة الخلافة والإصلاحات المطلوبة فى الحكومة من أهمّ الموضوعات الّتى نوقشت فى هذا المؤتمر. وقد عقدت مؤتمرات مماثلة فى جميع القرى والمدن فى هذه المنطقة . ومن أهمّ تلك المؤتمرات ذلك الّذى عقد فى "اوتّبالم"(Ottappalam) سنة ١٩٢١م . هذا كلّها فى بالإضافة إلى تلك اللجان العديدة الّتى تمّ تشكيلها فى الأيّام اللاحقة . ومن أبرز نتائج هذه الحركة وإنتشار مبادئها ظهور النّزعة الوطنيّة داخل صدور المواطنين بدون استثناء ولو واحد منهم . وقد أمكنت لهذه الحركة ونشاطاتها المتنوّعة لتخيّيب آمال الإنجليزيين المستعمرين وتقليل رغبتهم فى الموارد الهنديّة الطبيعيّة .

وفى الجملة إنّ المظاهرات والاشتباكات البسيطة التّى حدثت حينا وآخر فى مختلف أصقاع هذه الدّيار كلّها كانت مركّزة على بعض المشاكل المحلّيّة التى ليس لها أهمّية فى المستوى الوطني ولو فى شكال طفيف . كان لأماكن اجتماع النّاس مثل الأسواق الشعبيّة والمساجد التى يحتشد فيها المسلمون للجمعة و الإحتفالات المختلفة التى تُعقد فى شكل غير منظم دور بالغ فى تشكيل جبهات عديدة ذات مزايا

[١] كارادن محمّد بوكوتور – مقالة من كتاب ثورة مليبار ١٩٢١ –ط أريكو كوتّكّل -٢٠١٥ صفحة ١٨٥
[٢] ت.ك. كنغادهرن- كيرلا :تاريخه وثقافته – صفحة ٤١٧

مختلفة ضدّ الأعداء المستعمرين وكذلك لتوحيد آراء النّاس من شتّى المجالات . وبالإضافة الى هذا لم يذكر شيئ من الإضرابات والمظاهرات وماثلهما من النّشاطات الأخرى ضدّ الاستعمار والمستعمرين . ولكنّ التطوّرات السّياسيّة المختلفة التى شاهدها القرن العشرين أدّت إلى تغيير جدري فى الظّروف الإجتماعيّة السائدة .إنّ هذه التطوّرات الجديدة أوجدت حماسة جديدة فى قلوب المواطنين ولاسيّما المسلمين الّذين يكرهون الإنجليزيين بكلّ شدّة . إنّ المظاهرات والإشتباكات العنيفة التى وقعت تحت راية حركة الخلافة سنة ١٩٢١م ما كانت صادرة من مجرّد حركة الخلافة وحركة عدم التعاون . ولكن كان لهما دور ملحوظ فى توعية النّاس وإخراجهم للدّفاع عن حرّيّة الوطن وكرامة المواطنين . وممّا لا شكّ فيه أنّ كافّة التطوّرات منذ بداية الثورة ونهايتها صادرة من غيظ المواطنين الشّديد على الإنجليزيين ورغبتهم الشّديدة فى تحرير الوطن من براثنهم بعد إجلائهم إلى الأبد.

أسباب استقلال الهند

ترى عناصر عديدة ساهمت في تحقيق أمنيّات الثّوّار حتى تحرّرت الأراضي الهنديّة بأكملها من قيود المستعمرين الإنجليزيين . ومن أهمّ هذه العناصر عموم النضال الشعبي فى جميع أنحاء البلاد فى أزمنة مختلفة . ولو كانت هذه الثورات الشعبية في صورة غير منتظمة كانت تساهم كثيرا في اثارة ما في قلوب النّاس من شعور حبّ الوطن وبالتالي في اقبال النّاس بشكل كبير على نقض القوانين المدنيّة التي سنّها الإنجليزيون وقطع التعاون معهم . وقد كانت للحوادث المأساويّة مثل كارثة العربة

وحادثة جالين والاباغ دوّى كبيرا في جميع أطراف الهند. وقد سبّبت هذه الحوادث وغيرها لنشوب ثورات عديدة واندلاع حروب شديدة ولاسيّما في الشمال والجنوب .وكذلك لظهور عدد لايحصى من الإضطرابات والاحتجاجات والمظاهرات في باقي أطراف الهند . سبّبت هذه الظّروف المضطربة لانتشار حالة الفوضي فى جميع ميادين الحياة . هذا كلّها بالإضافة الى سقوط الدول العظمى في الحروب العالميّة الثانية التي سبّبت لتدهور قواها وتقليص نفودها على الدّول الأخرى.

بعد الحروب العالميّة الثانية قامت حكومة جديدة في انجلترا . إنّ أوّل شيئ قامت به هو تشكيل هيئة لمتابعة التطوّات في الهند ومعايّنة النّشاطات التجاريّة التي يقومون بها فيها . عندما أدركت أنّ نشاطاتها في الهند تجري في صورة غير مرضيّة . عزمت مبدئيا للإنسحاب من الأراضي الهنديّة وأرسلت اليها "ماوند باطن برهابو " (Mountbatten prabhu)لإجراء الدراسات المطلوبة . أمّا ماوند باطن برهابو فقد قام بدراسات مستفيضة حول القضايا المختلفة في هذا الخصوص وقدّم تقريره النّهائي الى الجهات المختصّة منبّها ايّاهم بضرورة الاستقلال للهنديين . ولم يمض الاّ فترة قصيرة حتى أعلنت الحكومة الإنجليزيّة باستقلال الهند في اليوم ١٥ من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧م.[١]

***

[١] عبد الغفور عبدالله القاسم - المسلمون فى كيرلا- ط- مكتبة أكمل ملابرم- ٢٠٠٠م –ص- ١٠٦-١٠٧

الباب الرابع : دور علماء المسلمين المليباريين فى الثورات الشعبية ضد البرتغاليين

- الفصل الأوّل : زين الدين المخدوم الأوّل والمكافحات الشعبيّة
- الفصل الثانى : زين الدين المخدوم الثانى والمكافحات الشعبيّة
- الفصل الثالث : القاضى محمّد بن عبد العزيز الكالكوتى والمكافحات الشعبيّة

لقد أدركنا ممّا تقدّم أنّ الهند كانت تحت سيطرة البرتغاليين والهولنديين والإنجليزيين من المستعمرين منذ أكثر من أربعة قرون حتّى إستقلالها فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٧م . شهدت هذه الفترة الطويلة تطوّرات سياسيّة لا تعدّ ولا تحصى ،وقد كان للعلماء الدّينيين ولا سيّما المسلمين منهم أدوار ملحوظة لا تستهان فى جميع هذه التطوّرات ، إنّ هذه التطوّرات التى ظهرت فى شكل المظاهرات والإحتجاجات والاشتباكات كانت فى أغلب الأحيان يُرأسها العلماء الدينيون من المسلمين والهندوكيين الذين أدركوا أوّلا الأخطار المختبئة فى الاستعمار الإفرنجي. وقد بذلوا جلّ جهودهم لتوعية النّاس حتى صارت الأوضاع الراهنة الصادرة من السيطرة الاستعمارية شغلهم الشّاغل . يُقال أنّه كان لا يخلو ولو معبد واحد ، ولا سيّما من معابد المسلمين إلاّ وفيه مناضل دائما ينغمس فى شؤون الوطن وحرّيّته المفقودة . عندما اشتدّت التعذيبات من قبل المستعمرين اضطرّوا للخروج على أعدائهم حاملين ألويّة الوطن مهملين حتى مسؤوليّاتهم داخل المعابد . وقد أمكن لهم لأن يوحّدوا بين المسلمين والهندوكيين الّذين كانوا يقفون ورائهم متعاضدين ومتكاتفين لمواجهة أعدائهم الألدّاء من المستعمرين . ولو لا جهود هؤلاء العلماء لما كانت للهند أن تستقلّ من حكم الاستعمار فى تلك السرعة الفائقة .

أمّا بنسبة إلى العلماء المسلمين من أقصى شمال الهند إلى أقصى جنوبها فكانوا يستغرقون كل الإستغراق فى العمليّات التى تتطلّبها حرّيّة الوطن . إنّ هؤلاء الذين يتمسّكون بالشعائر الدينية أشدّ تمسّك كانوا يتأثّرون بالتعاليم السماويّة

والأحاديث النّبوية الشريفة التى دائما تشجّعهم على رفض العبودية بأشكالها المختلفة. دفعتهم هذه التعاليم لإتّخاذ ألسنتهم وأقلامهم كأحدّ الأسلحة لمواجهة الاستعمار .فأنجبت منهم عددا لا يحصى من الخطباء المصاقع والأدباء الماهرين الذين أثروا رفوف المكتبات بتأليفاتهم القيّمة .

ومن بين هؤلاء العلماء المسلمين الّذين ظهروا فى طليعة المكافحة والجهاد و تألّقوا فى سماء كيرلا بإنتاجاتهم العربيّة شعرا ونثرا الشيخ زين الدين بن على المعبّرى الكبير والقاضى محمّد الكاليكوتى والشيخ زين الدين الصغيرالّذين عاصروا فترة احتلال البرتغاليين والسيدعلوي المنفرمى والسيد فضل بوكويا تنغل و القاضى عمر الوليمكوتى والشيخ فريكودّى مسليار من ألدّ أعداء الإنجليزيين .

***

الفصل الأوّل

زين الدين المخدوم الأوّل والمكافحة الشعبيّة

الشيخ زين الدين المخدوم الكبير (١٤٦٦ – ١٥٢١م)

عاش الشيخ زين الدين المخدوم الأوّل فى أيّام إحتلّ فيها البرتغاليون بلاد مليبار.لمّا اشتدّت مظالم البرتغاليين وجرائمهم فى ديار كيرلا وبدأوا اضطهاد الرعيّة ولا سيّما المسلمين منهم بكلّ شدّة وأذاقهم أشدّ أنواع التعذيبات تصدى الشيخ زين الدين المخدوم الكبير وقاد الجهاد الّذى يعتبره المقدس ضدّ أعداء الوطن . وقد أيقظ الحماسة الوطنيّة فى أذهان المسلمين وأضرم ثأرهم ضدّ المستعمرين وارسل الخطوط والرسائل إلى سلاطين المسلمين فى الممالك الأخرى داخل البلد و خارجه يطلب منهم المساعدات العسكرية والماليّة لمواجهة أعداء الدولة . وبالإضافة إلى هذا ألّف قصيدة مشهورة باسم " تحريض أهل الإمان على جهاد عبدة الصلبان " يكشف عن مخطوطات البرتغاليين السرّية ومؤامراتهم المحبوكة بالمسلمين ومصالحهم التجاريّة بالإضافة إلى الكثير والكثير من المظالم والجرائم التى ارتكبوها . وقد إتّخذ أبيات هذه القصيدة بأكملها وسيلة لتحريض الأمّة برمّتها على الجهاد ضدّ المستعمرين البرتغاليين . وقد كانت لهذه القصيدة أصداء كبرى فى أرجاء

الوطن حتى أحدثت ضجّة كبرى وأخرجت الآلاف والآلاف من المناضلين الجدد الّذين كانوا يستعدّون حتّى لتضحية أرواحهم في سبيل الحرّية .

ولد الشّيخ زين الدّين بن محمّد الغزالي بن زين الدّين بن علي بن أحمد الشّافعي في ١٢ شعبان ١٤٦٦م في بلدة كوشن . أبوه على بن أحمد المعبّرى كان من أسرة تعرف بأسرة المخدوم الّتى وصلت في جنوب الهند من بلاد المعبر يذكر الرحالة الشّهير إبن بطوطة أنّه رأى في مانكلور أثناء سفره في جنوب الهند قاضيا يسمّى بدر الدّين المعبرى . كان عمّه إبراهيم بن أحمد المعبّرى عالما قديرا عيّن قاضيا ومدرّسا في مسجد كوشن وقرأ عليه زين الدين المبادئ الدّينية والفقه والنّحو والصرف وغيرها . ثمّ لمّا تولى عمّه قضاء فنان والتدريس في مسجدها إنتقل معه إلى فنان واستوطنها في كفالته. وبعد أن قضى بضع سنين تحت عمّه في فنّان إلتحق بالقاضي أبي بكر بن رمضان الشالياتى في درسه الشهير بكالكوت . ثم ارتحل طالبا إلى مكة المكرمة والتحق بالمعهد الديني لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى [١]، ثم ارتحل إلى مصر وقرأ على الإمام محمّد بن علي اليمنى وعبد الرحمن العدمى المصرى الّذى حصل منه الإجازة على رواية الحديث . وبعد أن قضى بمصرخمس سنين ارتحل إلى جزيرة العرب ثانيا وحج البيت واعتمر وتشرف بزيارة الروضة المشرفة والأماكن الأخرى المقدسة في التاريخ الإسلامى ورجع إلى الهند والتحق بفنان قاضيا بها .

[١] حمزة جيلاكودن – تحفة المجاهدين وتحريض أهل ملييار – تحقيق وتعليق –مكتبة الهدى – ١٩٩٦

وقد بنى الجامع الكبير بفنان تجديدا لمسجدها القديم بجمع أموال طائلة من أغنياء البلد ومن البلاد المجاورة لها . بدأ في هذا المسجد الكبير درسه المشهور الذى التحق به الطلاب من مختلف الأماكن داخل أراضى كيرلا وخارجها . وكان العلماء يطلبون منه الفتاوى الدّينيّة في المسائل المختلفة. عاش المخدوم زين الدّين بفنان مصباحا لامعا يرتفع منها أشعة نور الإسلام إلى جميع آفاق البلد إلى أن وافته المنيّة سنة ٩٢٨هـ/١٥٢١م .

وللمخدوم زين الدين بن على تأليفات كثيرة نظما ونثرا . ومن أشهرمؤلّفاته :تحريض أهل الإمان على جهاد عبدة الصلبان، منظومة تتحدّث عن الّظروف التى عاشها المسلمون فى المليبار، و كتاب مرشد الطلاب في الأخلاق ، و كتاب سراج القلوب فى التصوف ، وكفاية الفرائض فى الفقه ونحو ذلك مما يبلغ عددها إلى عشرين تأليفات شعرا ونثرا . ومن أهمّ هذه المؤلّفات :

تحريض أهل الإمان على جهاد عبدة الصلبان

الشيخ زين الدين بن على المخدوم المعروف بزين الدين مخدوم الأوّل أو المخدوم الكبير من كبار علماء كيرلا فى القرون الوسطى ، والمجاهد الكبير الذى نادى بالجهاد ضدّ البرتغاليين واستعمارهم . وقد قاومهم بتحريض المسلمين وغيرهم من أهالى مليبار على الجهاد ضدهم . نظّم فى مقاومة البرتغال واستعمارها ، قصيدة " تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان " لتحريض المسلمين على الجهاد ضد العدوّ الأجنبي البرتغالى ، واستعماره ، إذ أنهم دخلوا فى بلادهم (بلاد المسلمين)

وظلموهم ، وطعنوهم فى الدين ، واستهدفوا على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ودينهم . كان الشيخ زين الدّين المخدوم الكبير في السنة الثانية والثلاثين من عمره عند قدوم الملّاح البرتغالى واسكودا غاما في سواحل كاليكوت عاصر كافّة التطوّرات التي وقعت أيّام القوّاد البرتغاليين البحريين في كيرلا كانت قصيدته "تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان" وراء معظم الثورات الشعبيّة ضدّهم.

اما هذه القصيدة فهي عبارة عن منظومة تائية فى ١٣٥ بيتا ، من بحر الطويل . نظّمها تلبية تلقائية للّظروف التى عاشتها الأمة المسلمة فى المليبار إبان الإحتلال البرتغالى البغيض فى أراضى المليبار والإضطهادات الفظيعة التى تعرضوا لها أطفالا وشيوخا، رجالا ونساء وكذلك الهوان والذلّ الذى إستشعره المسلمون تحت وطأة الاحتلال. تصوّر أبيات هذه المنظومة أناة القلوب المعذّبة والمقهورة أحسن التصوير. هى استجداء مكروب يبسط آلامه وآماله أمام السلاطين والحكام المسلمين فى أنحاء العالم . تعتبر أوّل وثيقة تاريخيّة تتناول تاريخ المسلمين فى مليبار.[١]

يقدّم الشاعر فى هذه القصيدة صورة واضحة للشدائد المؤلمة التى أصابت بالأمّة المسلمة والشعب الكيرلى من أيدى البرتغاليين الّذين دخلوا فى البلد للأغراض اللتّجارة ثم استولوا عليها وخرّبوا بيوت المسلمين . ومساجدهم ودكوا أمصارها وتغلبوا على أسواقها .إنّ هذه الصّورة لمن الصور المُبكية والمؤلمة با النسبة إلى

[١] مقاومة الإستعمارالبرتغالى فى مليبار- ط-مكتبة الهدى - كاليكوت صفحة ٢٩ -٢٠٠٧ د. أبوبكر محمّد -

واحد بقلب سليم . وكان من أهداف الشاعر تحريض المسلمين على الجهاد ضد البرتغاليين الظالمين الذين تسلّلوا إلى ديارهم . ومن أجل هذا ظلّت القصيدة ممنوعة من النشر والحفظ والطباعة إلى عدّة قرون .

موضوعات القصيدة

تنقسم موضوعات هذه المنظومة إلى خمسة أجزاء :

الجزء الأوّل: عبارة عن مقدّمة للمنظومة تحتوى على إبتهال إلى الله العلى القدير ، بالحمد والثناء يتبعه الصلاة والسلام على خير البريّة محمّد (صلّى) ، ويليه تضرّعاته إلى الله لمناصرة الغزاة الّذين يغزون لانقاذ أمّة الإسلام من الكرب والضرر والذلة والكفر . والجزء الثانى يبسط آلام الأمّة ويتحدّث عمّا يعانى المسلمون من ألوان العذاب وأنواع الهوان ،راجيا تدخّل الحكّام والسلاطين المسلمون فى الهند والبلدان العربيّة لتخفيف آلامهم وإزالة ما حلّت بهم من الكوارث المختلفة .

أمّا الجزء الثالث فيتحدّث عن فضل الجهاد وما سيناله الشهيد من النعيم المقيم فى جنّات الخلد ، مثل ما يشير الشيئ الكثير إلى الظّلم الذى يقترفه واحد يهمل النداء إلى الجهاد ويتركه . فى الجزء الرابع يعدّد مناقب الجهاد وفضله ويذكر ثواب من سلكه وعذاب من تركه عمدا و يحرّضهم بكلّ شدّة على الجهاد . وبالجزء

الخامس يختتم القصيدة بتصوير دقيق للجزاء الأوفى الذى سيناله المدافعون عن الأوطان والأعراض والاعتقادات فى الدّنيا والآخرة .[1]

يبدأ الشّاعر بالبسملة والحمدلة ويقول في مطلعها :

لك الحمد يا الله في كلّ حالة وأنت عليم بالكروب وحاجة

صلاة وتسليم على خير خلقك محمّد الداعى إلى خير ملّة

يخاطب الشاعر الملك الساموتري بكالكوت ويطلب منه نصر المسلمين مثلما يتوجّه بهذه الأبيات إلى الحكام والسلاطين المسلمين قائلا أنّهم مآل لآمال ومعاذ لمضطر وملاذ الأمّة :

سلاما عليـــــكم يا مآلا لآمـــل معاذا لمضطر ملاذا لأمــة

مددنا إليكم كف ضعف وحاجة وذل وإقتار لدفع ملمـــة

وبعد ذلك يشرع فى شرح ما يعانيه المسلمون ويكابدونه من أنواع الهوان وألوان العذاب على أيدى الطغاة الإفرنج، عبدة الصلبان :

فإنّا كربنا بارتكاب شدائد بإفرنج عباد الصليب وصورة

ثمّ يتحدّث الشاعر الشدائد المؤلمة التى أصابت بالأمّة المسلمة والشعب الكيرلى بأيدى البرتغاليين الّذين دخلوا فى البلد للتّجارة ثم تغلّبوا وخرّبوا بيوت المسلمين ومساجدهم ودكوا أمصارها وتغلبوا على أسواقها .

طغوا فى بلاد الله من كلّ ممكن وقد أكثروا فيها الفساد بشهرة

[1] د. أبوبكر محمّد- مقاومة الإستعمارالبرتغالى فى مليبار- ط-مكتبة الهدى - كاليكوت صفحة ٣١-٣٠ -٢٠٠٧

بغوا فى مليبار بأصناف بغيهم وأنواع شدّات وأجناس فتنة

من الأسر والنهى وإحراق مسجد وخرق كتاب ثمّ هتك لحرمة

وتحريق أموال وتخنيق مسلم وتعويق أسفار وتعطيل عيشة

وتخريب بلدان وتعبيد مؤمن وتزيين نسوان لتفتين نسوة[1]

ثم يشير الشاعر إلى الأعمال الفظيعة التى ارتكبها البرتغاليّون . وقد قاموا بأنواع الاضطهادات والانتهاكات وأصناف الشدائد والفتن ، نهبوا أموال المسلمين وحرقوا مساجدهم وممتلكاتهم . أسّروا المسلمين وهتكوا حرمات نسائهم مزّقوا كتاب الله ، وعطلوا الأسفار برا وبحرا ، ومنعوا المسلمين عن الحج بتعطيل الأسفار إلى خير بقعة هي مكة المكرمة ،و قتلوا الحجّاج بإحراق السفينة على البحروقُتلوا حوالى ٤٠٠حاج من النّساء والأطفال ،يتحدّث الشاعر عن هذه التطوّرات المختلفة قائلا :

وصدّ عن الحج المعظّم قدره بتعطيل أسفار إلى خير بلدة

وقتل لحجّاج وسائر مؤمن بأنواع تعذيب وأصناف مُثلة

وجلد وقطع من يقول محمّد وسبّ رسول الله من غير خُفية

وتقييد أسرى بالقيود الثّقيلة وتعذبهم يهم بالنّار من غير رأفة

وجلد بنعل للأسارى بفيهم خصوصا لواستنجوا لآذوا بجلدة

وقود وسوق للأسارى وجمعهم بضيّق بيت مثل شاء حقيرة

[1] حمزة جيلاكودن – تحفة المجاهدين وتحريض أهل مليبار – تحقيق وتعليق –مكتبة الهدى صفحة ٩٣ – ١٩٩٦

وترديدهم فى السّوق للبيع قيّدوا وتعـــــذيبهم فيها لتزييد قيمة

وسخر من الإسلام والمسلم الّذي يمرّ طريقا ثمّ ضحك بجهرة

وقد أثار الشّاعر بهذه الكلمات همم المسلمين المناضلين بتذكيرهم إيّاهم بالحروب الصليبية الّتى دامت قرابة ثلاثة قرون ، وخرجوا منها منتصرين ملقّنين الأعداء دروسا لن يسنوها أبدا ،وقد تحدّث من خلال أبياته كثيرا عن النضال وأهمّيته فى الدّفاع عن الأمّة والوطن موجّها شكاياته كلّها إلى الحكّام والسلاطين المسلمين يحرّضهم على تقديم كافّة المساعدات المطلوبة لمواجهة البرتغاليين وإجلائهم من الوطن .ومخبرا إيّاهم بما سيتلقّون من الثواب والأجر من الله التعالى . وقد حثهم على النضال فى مثل هذه الظروف الحاسمة بإستدلال ما ورد من القرآن الكريم حيث صدق الله قال : "وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الّذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لّنا من لّدنك وليّا واجعل لّنا من لدنك نصيرا[1] "

وتحريضهم أن يسجدوا لصليبهم وتحضيضهم أن يقبلوا قول ردّة

جهادهم فرض على كلّ مسلم قويّ بنفس ثمّ زاد وعُدّة

حتّى على عبد بلا إذن سيّد ووُلد بلا إذن وزوج قويّة

هنا يطلب الشاعر من الحكّام والسلاطين ، المساعدات قائلا :أنتم رجاؤنا الوحيد ، ولا نرى سواكم ركنا نلجأ إليه ، ولا سندا نحتمى به ، ويقول:

[1] سورة النساء -٧٥

فيا أيّها السادات أنتم رجاؤنا بفضل إله العرش فى كل شدة

ونحن عطاش وأنتم السُحب تُمطر فيا ليت شعرى هل نفوز بريَّة

ويحثّ الحكّام للنهوض والهبوب لنصرة المسلمين المليباريين ، ولفت نظرهم إلى عظيم جزاء الّذين يحاربون من أجل تنفيس كروب المسلمين ، ويقول :

فإن أنتم أنقذتمونا من الكرب وجدتم ثوابا ليس يحصى لكثرة

فقد حرّض المولى على الغزو للعد خصوصا على غزو لتفريج كربة

لمن نفّس الكرب الّذى جاء مسلما ينفّس عنه كربُ يوم القيامة

رباط بيوم فى سبـــيل إلهنـــا لأفضلُ من دنيا ومال بجملة

وعينان لا تغشاهما النار من لظى فعين بكت من خشية الله عّزت

وعين تبيت اليل تحرس للعدى رجاء ثواب الله من خير يقظة

وإنّ جميع البرّ فى جنب غزوة كنقطة ماء فى البحار الزخيرة

ثمّ يقول الشاعر عن ثواب الّذين أنفقوا أموالهم فى سبيل الله :

ومن أنفق الأموال فى البرّ يحصل بواحدة عشر أديمت وجلّت

ومن فى سبيل الله أنفق ماله فسبعمآت نال عن كلّ حبّة

هنا نستطيع أن نذكر من حديث رواه أبو يحيى خريم بن فاتك (رضى) قال ،قال رسول الله (صلعم) " من أنفق نفقة فى سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف" (رواه الترمذى)

ثم يقول الشاعر:

ومن لم يجاهد أو يجهّز مجاهدا ولم يخلف الغازى بأهل لخدمة

يصبه إله العرش والخلق كلّهم بقارعة قبل القيامة جاءت

ومن جهّز الغازى فقد صار غازيا كذا خالف فى أهله بإعانة

هنا نرى هذا البيت مأخوذ من حديث الشريف الذى رواه زين بن خالد (رضى) قال رسول الله (صلعم) " من جهّز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ،ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا " (متّفق عليه) .

وبعد أن وصف الجنة التى وعد الله للمجاهدين بأجمل أوصافها يقول :

ومن مات فى غزو فيُجعل روحه حواصل طير كان فى لون خُضرة

فيشرب من ماء بأنهار جنّة ويأكل من ثمر الجنان اللذيذة

يُرى مقعدا يأوى إليه بجنّة إذا زهق الرّوح الزكيّ بضربة

يزوّج من حور حسان كواعب بثنتين والسّبعين من خير زوجة

يُشفّع فى سبعين من أقربائه فيا لك من عزّ وفخر ورُتبة

جزى الله من يغزوا جزاء موفّرا وأنقذهم من كلّ شرّ ومحنة

نرى فى كتاب للدكتور أبوبكر محمّد "مقاومة الإستعمار البرتغالى فى مليبار" عن هذه الأبيات هكذا، والأبيات مستمدّة من الحديث الشريف الآتي: " حدّثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدّثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله (صلعم) : للشّهيد عندالله ستّ خصال :

يغفر له فى أوّل دفعة ، ويرى مقعده من الجنّة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، .....الخ – (رواه إبن ماجة -)

يخبر النّاظم النّاس بثواب الله للمجاهدين ثمّ يطلب منهم لأن يستعدّوا للثّورة ضدّ البرتغاليين :

فيا أهل إسلام وأمّة أحـــمـــــــد هلمّوا إلى هذا الجهاد بهمّة

ففيه رضى الخلّاق والخلق إنسهم وجنّ ووحش والطّيور ودابّة

ثمّ يطلب الشاعر لأن لا يجعلوا الإفرنج أوليائهم :

ولا تجعلوا إفرنج يا قوم أوليا وإن خفتم هلكا وفوت تجارة

ثمّ يتحدّث الشّاعر عن عاقبة الذين يتركون القتال متعمّدين :

فإن تهملوا هذا الجهاد خسرتم غنا دار دنيا ثمّ أخرى بحسرتم

وخيف بلاء والغلاء بداركم وعار ونار والبوار بحوبة

ثمّ مشيرا إلى الأغنياء الذين يبخلون عن الإنفاق فى سبيل النضال يقول :

فقد أوعد البارى على تركنا الغزا بترك لإنفاق لمال بورطة

فقال ولا تلقوا بأيديكم إلى هلاك إذ الأعدا تصير بقوّة

ولا تبخلوا من كان يبخل فإنّما مضرّته تأتى عليه بضنّة

ويختم القصيدة منبّها إيّاهم بما سيتلقّون من الثّواب فى الحياة الأخرويّة مقابل ما قدّموا من الخدمات الجليلة فى سبيل الدّفاع عن الوطن وعن الأعراض والمعتقدات ويقول :

ونلتم به دار السّلام وحورها بملك عظيم دائم وغنيمة

وليس بها خوف وحزن بنائها لمن لبن عقيان ولبنة فضّة

ملاط لها مسك ذفير ترابها عبير وحصبا لؤلؤ بيواقت

وداخلها ينعم ويخلد بلا بلى ثياب ولا يفنى شباب بشيبة

بها بحر ماء ثمّ بحرٌ لشهدنا وبحر لألبان وبحرٌ لخمرة

ومن هذه الأنهار تجرى إلى فينا منازل كلّ الداخلين لنزهة

وهذه القصيدة الطويلة ، بكلّ ما فيها من الإرشادات القيّمة وتنبيهات الهامّة والوعود الخلّابة والوعيد المخيفة ، قد استوفت كل مقومات قصائد الحماسة النّضاليّة التى ازدهرت فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى إبان النكبات والمحن ، من صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر.[١]

***

[١] د. أبوبكر محمّد- مقاومة الإستعمارالبرتغالى فى مليبار- ط-مكتبة الهدى – كاليكوت ٢٠٠٧ صفحة٥٢

الفصل الثانى

زين الدين المخدوم الثانى والمكافحات الشعبيّة

الشّيخ زين الدّين بن محمد الغزالى الفناني المليباري (١٥٣٢ -١٥٨٤م)

هو العالم الكبير الشيخ زين الدّين المخدوم من مواليد قرية شومبال . ولد في أسرة شهيرة دينيّة سنة ١٥٣٢م/٩٣٨هـ . وقيل إنّه ولد بفنّان.[١] تلقّى مبادئ الإسلام الدّين والدروس الإبتدائيّة من أبويه المعروفين بالعلم والثّقافة . ثمّ التحق بالدرس في المسجد الجامع بفنّان حيث حفظ القرآن بأكمله ثم سافر إلى مكّة المكرمة وحج بيت الله الحرام وزار مدينة الرسول (صلعم) وروضته المشرفة وشاهد الآثار الإسلاميّة وصحب العلماء والفضلاء وقضى عشر سنوات في تلك الأراضي المقدسة وتبحر في العلوم والفنون المختلفة من العلماء الأعلام والمشايخ الكرام ، وكان من مشايخه هنا شيخ الإسلام و مفتي الحرمين الشريفين شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي ، وشيخ الإسلام زين الدين بن عبد العزيز الزمزي وغيرهم . وكان للشّيخ زين الدين صلة روحية وثيقة بمسالك المتصوّفين الأتقياء والأولياء الأصفياء . تلقى علم التصوف من الشيخ أبي الحسن البكري الصديقي وأخذ الإجازة عنه إذ ألبسه إحدى عشرة خرقة فارتقى إلى مرتبة شيخ الطريقة القادرية .

[١] حمزة جيلاكودن – تحفة المجاهدين وتحريض أهل مليبار – تحقيق وتعليق –الناشر-مكتبة الهدى صفحة ٩ – ١٩٩٦

بعد الرجوع الى الوطن قضى الشيخ زين الدين المخدوم الثّانى حياته مدرسا في المسجد الجامع الكبير بفنّان لمدّة ٣٦ سنة . خلال هذه الفترة الطّويلة ما كان منزويا في زاوية المسجد ومعتزلا عن المجتمع بل كان منغمسا كلّ الانغماس في جميع الأمور التي تتعلّق بالعامّة من النّاس . كان بالإضافة الى كونه عالما زاهدا معتكفا في المسجد للتدريس والعبادة ، قائدا سياسيا مجاهدا في الميدان حسب مقتضى الأحوال التي يعيشون فيها . ومن أبرز الأدلّة على تدخّله في القضايا الإجتماعيّة بما فيها الكفاحات والثّورات ضدّ الحكّام المستعمرين ما ورد في كتابه " تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين " من الأخبار عن التطوّرات في تلك الأيّام . ألّف هذا الكتاب موضّحا فيه جميع التطوّرات السّياسية والاجتماعيّة بما فيها قدوم البرتغاليين للأغراض التجاريّة ومحاولاتهم العديدة للسيطرة على التجارة تارة وعلى الدّولة تارّة أخرى والثورات والاشتباكات المترتّبة التي انتهت بانهزامهم التام في السنوات اللاحقة . في هذا الكتاب يوجّه دعوة عامّة الى الأمة المسلمة بمختلف قومياتهم وأقاليمهم ومذاهبهم لأن يقوموا أمام الأعداء متعاضدين ومتكاتفين كأنّهم بنيان مرصوص . كما يطلب في هذا الكتاب من الملوك و السلاطين المسلمين داخل الهند وخارجها لتقديم كافّة التأييدات والمساعدات العسكريّة للملك السّاموتري الذي يحبّ المسلمين .

هذا الكتاب الذي اعتمد عليه المؤرّخون كثيرا كمرجعهم الرّئيسي عند تدوين تاريخ هذه المنطقة ، مع قصر حجمه ، هو أعظم شهرة من مصنّفاته الأخرى . وقد إهتم

به الكثيرون وترجمه الأوروبيون وقرأه المستشرقون وطلبه الباحثون واقتبس منه الكتّاب في مختلف أنحاء العالم ،

حاز هذا الكتاب شهرة واسعة حتى انتشرت نسخه الخطية في جميع أرجاء العالم . طبع أوّلا في اللّغة العربية في لشبونة عاصمة البرتغال عام ١٨٩٨م ونسخته لا تزال موجودة حتى الآن في مكتبة جامعة الأزهر بمصر ، ثمّ ظهرت له ترجمات عديدة في اللّغات الإنجليزية واللاتينية والإفرنسية والألمانية والإسبانية والتشيكية والفارسية ، وترجم كذلك إلى عدد من اللّغات الهندية مثل الكجراتية و الأردية والكنادية والتاملية والهندية والمليالميّة . أمّا في الأخيرة فله أربع ترجمات، الأولى من قبل المولوي موسان كوتي الترورنغادي عام ١٩٣٥م ، والثانية من السّيد ويلايودهن بنكر ، والثالثة من قبل طائفة من الباحثين تحت قيادة الدكتور ن.ا.م عبد القادر رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت سابقا والرّابعة بقلم السيّد حمزة جيلاكودن. أما الترجمة الأخيرة فهي التي يعتمد عليها معظم الباحثين اليوم لكونها تحتوي على عدّة تعليقات تزوّدهم بالمعلومات الإضافيّة في هذا الخصوص.

وبالإضافة الى هذا كان للشيخ زين الدّين المخدوم الصّغير عدّة مؤلّفات في اللّغة العربيّة . ومن أهمّها : "الأجوبة العجيبة عن الأسئلة الغربيّة" و"إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد " وقرّة العين بمهمّات الدين" و" فتح المعين بشرح قرّة العين" و"أحكام إحكام النكاح "والجواهر في عقوبة أهل الكبائر" ومختصر كتاب شرح

الصدور في أحوال الموتى والقبور للإمام السيوطي و"المنهج الواضح بشرح أحكام النكاح" و"الفتاوى الهنديّة ".

لا يُعرف تاريخ وفاة الشيخ زين الدين الثاني بالضبط ، إلا أنّ العالم المعروف والمؤرّخ المصري الشهير الشيخ محمد عبد المنعم النمر قد كتب في كتابه "تاريخ الإسلام في الهند" أنّ الشيخ زين الدّين المخدوم الثاني قد توفي عام ٩٩١هـ . تخالف هذه رواية ما كتبه جُرجي زيدان في تاريخ أدب اللّغة العربية " حيث ذكر أنّه مات عام ٩٧٨هـ . وقد دفن الشيخ زين الدين المخدوم بجوار مسجد "كنجي بلي"في شومبال وقبر زوجته أيضا موجود بقربه في نفس المقبرة ..[١]

كتاب تحفة المجاهدين وأهمّيتها التاريخيّة

هذا الكتاب من أهم مصنّفات الشيخ زين الدين المخدوم الصّغير . يعتبر من أهمّ المراجع التي اعتمد عليها المؤرّخون من شتّى أنحاء العالم عند كتابة تاريخ الهند وعلى الأخصّ منطقة مليبار التي تعرّضت للعديد من اعتداءات البلدان الأجنبيّة وما تبعتها من التطوّرات المختلفة بما فيها الإضطرابات والإشتباكات والثّورات الشّعبية . ولو لا هذا المرجع الرئيسي لكانت أخبار هذه التطوّرات كلّها منسيّة الى الأبد . انّ حاجة المؤرّخين الملحّة الى ما في هذا الكتاب من الحقائق النادرة هي التي جعلته منتشرة في كافة أرجاء العالم في اللغات المختلفة وبالتعليقات المطوّلة .

[١] حمزة جيلاكودن – تحفة المجاهدين وتحريض أهل مليبار – تحقيق وتعليق –الناشر-مكتبة الهدى صفحة ١١ – ١٩٩٦

يحتوي هذا الكتاب على أربعة أقسام . في القسم الأوّل يتحدّث بكلّ التفصيل عن الجهاد وأهمّيته ولا سيّما للدفاع عن الوطن وعرض المواطنين . هنا نرى المؤلّف يبالغ كلّ المبالغة في وصف الجهاد وفضائله المختلفة والثواب الذي سوف يتلقى القائمون به يوم الحساب . يحرّض الكاتب القراء في هذا القسم ، بإيراد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة الشريفة على القيام بكافّة العمليّات المطلوبة للدفاع عن الإعتقادات الدّينية وحرّية الوطن وعظمة الإنسانيّة .

يتحدّث في القسم الثاني عن تاريخ ظهور الإسلام في منطقة مليبار. في هذا القسم يقدّم لنا صورة واضحة عن تلك التطوّرات المختلفة التي أدّت الى ظهور الإسلام في هذه المنطقة . وقد أورد هنا بعض القصص المثيرة حول قدوم الدفعات الأولى من العرب ورحلة بعض الملوك الهنديين الى الجزيرة العربية وكذلك اعتنق بعضهم الإسلام .

أمّا القسم الثالث فهو ممتلئ بعدد لا يحصى من العادات والتقاليد التي اتّصف بها سكّان مليبار. يسلّط هذا القسم الضّوء على تلك العادات الغريبة والتقاليد العجيبة التي كانت سائدة في هذه الديار. يعتبر هذا القسم الذي يخلّد ذكريات تلك العادات والتقاليد من أكثر أقسام هذا الكتاب قيمة لدى الطلاب والباحثين .

أما القسم الرّابع وهو الأخير فمن أكبر أقسام هذا الكتاب لكونه يشتمل على أربعة عشر فصلا . يتحدّث في هذه الفصول عن جميع التطوّرات التي شاهدتها هذه المنطقة قرابة قرن واحد منذ قدوم البرتغاليين حتى سقوط قلعة شاليم في أيدي

الملك الساموتري وجنوده المسلمين وبعض الحوادث الأخرى التي جرت في السنوات التالية . يعالج الفصل الأوّل منها موضوع وصول البرتغاليين الى مليبار ووقوع الخلاف بينهم وبين السامري وبناء بعض القلاع في كوشن وكنّور وكولم وما يتعلّق بها من الأخبار الأخرى . وفي الفصل الثاني اشارات عديدة الى الأعمال الفضيحة والأفعال القبيحة التى قام به البرتغاليون . يتحدّث الفصل الثالث بكل التفصيل عن الاتّفاقيّة التي تمّت بين البرتغاليين والملك الساموتري التي مهّدت لهم الطريق لبناء القلعة في كاليكوت .

أما ما يذكر المؤلّف في الفصل الرابع فهي الأسباب التي أدّت الى وقوع الخلاف بين الملك والبرتغاليين والتطوّرات التي سبّبت فتح قلعة كاليكوت . وفي الفصل الخامس أخبار بالتفصيل عن بناء قلعة شاليات المشهورة والهدنة التي تمّت بين الطرفين للمرّة الثانية . مثل هذا توجد في الفصل السادس أخبار عن إتّفاقية أخرى ، هي الثالثة بين الملك والبرتغاليين .

أما الفصل السابع ففيه أخبار عن الإتّفاقية التي جرت بين السلطان بهادرشاه والبرتغاليين . وتتبعه أخبار وصول سليمان باشا الى ديو في الفصل الثامن ومصالحة الملك الساموتري للمرّة الرّابعة مع البرتغاليين في الفصل التاسع . أمّا الفصل العاشر فيتحدّث بكلّ التفصيل عن التطوّرات التي أدّت الى وقوع الخلاف الشديد بين الملك الساموتري والبرتغاليين . بعد الإشارة الى مصالحة الملك الساموتري مع البرتغاليين للمرّة الخامسة في الفصل الحادي عشر ينتقل المؤلّف

بالقرّاء الى الفصل الثاني عشر حيث يعدّد أسباب الخلاف الذي ظهر بين الطرفين والتطوّرات الأخرى التي أدّت الى الحروب الشديدة .

أما الفصل الثالث عشر ، وهو المهم في هذه الفصول الأربعة عشر ، ففيه أخبار مفصّلة عن الحروب التي دارت بين الملك الساموتري والبرتغاليين وانتهت بفتح قلعة شاليم المشهورة. ويتبعه الفصل الرابع عشر ، وهوالأخير في هذا الكتاب ، يتحدّث فيه المؤلّف عن أحوال البرتغاليين بعد سقوطهم في الحروب مع الملك الساموتري وفتح قلعة شاليم.[١]

***

[١] د . ن.ا.م عبد القادر- تحفة المجاهدين – ط – الخدمة القومي لكتب خطّية – دلهي جديدة –صفحة ٦-٧

الفصل الثالث

القاضى محمّد بن عبد العزيز الكالكوتى والمكافحات الشعبيّة

القاضى محمّد بن عبد العزيز الكاليكوتي(٩٨٠ – ١٠٢٥هـ)

ولد القاضى محمّد لأبوين كريمين ، فى بيت عز وعلم ، فى بيت القضاة ، فى كاليكوت عام ٩٨٠هـ/١٥٧٢م. وتمتدّ جذور أسرته العريقة إلى المدينة المنوّرة ، إلى أحد أصحاب رسول الله (صلعم) .

كان أبوه عبد العزيز عالما كبيرا وقاضيا فى كالكوت . وكان شجاعا مغوارا متمرسا فى فنون الحرب والقتال .وتولّى القضاء فى كالكوت فى ١٦٠٧م /١٠١٦هـ. وكان فيلسوفا كبيرا وشاعرا مجيدا وصوفيا شهيرا . ألّف أكثر من إثنى عشر عملا أديبا كما ساهم كثيرا فى نشأة وتطوّر لغة جديدة ممتزجة بإسم "عربي – مليالم " وكان يرى أن على القضاة أن يكونوا قدوة حسنة للمسلمين فى كلّ شؤون الحياة ، ومن ثم ، حمل السلاح ، وخاض غمار الحرب ضد المعتدين البرتغاليين . وكان فى مقدمة المحاربين القضاة والقادة المسلمون ، أمثال الشيخ ماموكويا الكالكوتى والقاضى محي الدين والشيخ عبد العزيز آل مخدوم المعبّرى . كان زعيما روحيا للمسلمين اللّذين ينتمّون إلى الطريقة القادريّة الصّوفيّة الّتى أسّسها الشيخ محي الدّين عبد القادر الجيلانى البغدادى رحمه الله تعالى . والمنظومة الشّهيرة بلغة عربي – مليالم

والمتداولة حتّى اليوم بشكل واسع فى دور مسلمي مليبار بإسم "محي الدّين مالا" كانت من آثاره الأدبيّة القيّمة .[١]

وكان القاضى محمد ، إلى جانب عمله وورعه ، يتمتع بملكة شعرية قويّة منقطع النّظير . وقد تناول شتى العلوم والفنون والمسائل الفقهية والقواعد النحوية والمفردات اللغوية في شعره . وممّا يدل على مهارته الشعرية تطويعه كلمات أعجمية شائعة ولا سيما أسماء الأماكن والأشخاص المعروفة في منطقة مليبار واستخدامها في الشّعر بعد صياغتها في القالب الشّعري العربي مثل ما فعل كثيرا في قصيدته "الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين ".

وتوفي القاضى محمّد الأوّل فى ١٥ ربيع الأوّل ١٦١٦م /١٠٢٥هـ ودفن فى مقابر المسلمين فى جامع "كتّجيرا" فى كالكوت .

مؤلّفاته

وقد نسب إلى القاضى محمد نحو من خمسين كتابا ، إلاّ أن معظمها ضاعت من أيدى الزمان ، ولم يبق إلاّ القليل ، ومنها :

١.الدر ر الفصيحة فى الوعظ والنصيحة . ٢.قصيدة " إلى كم أيّها الإخوان "فى نصيحة الإخوان ٣. الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين . ٤. نظم قطر الندى . ٥. منظومة الأجناس . ٦. منظومة فى علم الحساب . ٧. منظومة فى تجويد القرآن . ٨. منظومة فى علم الأفلاك والنجوم .٩. منظومة فى الرسائل والخطوط .

[١] د/ك ك ن كرب ، د/ ن .ا. محمّد عبد القادر- الأيديولوجيا والنضال ، دراسة عن مسلمى مليبار مركز المخطوطات تربونيتورا صفحة ٢٣-

١٠. مقاصد النكاح . ١١. منتخبات الفرائض . ١٢. منظومة فى العوامل ١٣. مدخل الجنان.

قصيدة فتح المبين للسّامرى الّذى يحبّ المسلمين

وهي قصيدة فى بيان أحوال كيرلا فى أيّام البرتغاليين وشرح معاملاتهم الشنيعة مع أهالي هذا البلد ولا سيّما مع المسلمين، وحروبهم مع الساموترى ملك كالكوت. تدلّ القصيدة على كثير من الوقائع التاريخيّة التي شهدتها منطقة كيرلا فى تلك الأيّام، يقول فيها الشاعر أن المسلمين بكالكوت اصطفّوا مع الملك الساموترى لحماية وطنهم وعاشروا مع أهل كيرلا معاشرة حسنة فى ودّ عميق. ولهذه القصيدة أهمّيّة تاريخيّة كبرى حيث إنّها تشير إلى كثير من زوايا تاريخ كيرلا فى تلك العصور. وظلّت مخطوطة إلى أن جمعها المولوى عبد القادر الفضفرى ونشرها في كتابه "جواهر الأشعار" الّذي طبع في مطبعة س.م.برس تروتانكور سنة١٣٥٨هـ والقصيدة طويلة جدا تحتوى على ٥٣٧ بيتا. يصف الشاعر فيها الملك الساموترى ويتحدّث عن الإجراءات الملكية المختلفة التي اتّخذها لحماية الإسلام والمسلمين والدّفاع عن أعراضهم ومعابدهم وممتلكاتهم. ومن الجدير بالذكر، أن هذه المنظومة المطوّلة التي ألّفها لإثارة عواطف المناضلين الذين خرجوا على البرتغاليّين لاسترجاع بقعة استيراتيجيّة تقع فيها قلعة تشاليم بناء على التصريحات الملكيّة من الملك السّاموتري. عندما استغرقت جذور البرتغاليين واستتبّت أمورهم وبدأ نفودهم يزداد يوما ويوما أهملوا الملك السّاموترى، حتى ساءت العلاقة بين الطّرفين، فأراد

الملك إغلاق أبواب القلعة وإجلاء البرتغاليين. إنّ التطوّرات المترتّبة من هذه الخلافات أسفرت عن حدوث الكثير والكثير من الإشتباكات والإعتداءات بالإضافة إلى حصار طويل حول القلعة . وقد أبلى المسلمون بلاء حسنا في جميع هذه التطوّرات مع أنّها كانت لمساعدة الملك الهندوكي ساموتري لتقوية سلطته على البحار والسّواحل[١] .

تقدّم لنا القصيدة صورا واضحة لجميع الشدائد والمحن المؤلمة التى تحملتها الأمّة المسلمة فى كالكوت فى تلك الأيّام .تحتوي على إشارات عديدة إلى ما قدّمها المسلمون من المساعدات بكلّ الإخلاص التّام إلى الملك وكذلك العشرات من الرسائل التي أرسلها إلى الملوك المسلمين خارج كيرلا وإجابتهم عليها .[٢]

هذه القصيدة تحتوي على خمس مائة وسبعة وثلاثين بيتا . يتحدّث النّاظم فيها عن وصول البرتغاليين إلى مليبار مستعمرين وبناء قلعة لهم فى شاليم ، و محاربة السامرى ملك كالكوت وجيشه البرتغاليين وفتحهم قلعة شاليم . فالشاعر يرى فتح القلعة البرتغالية فى شاليم فى سنة ١٥٧١م . لقد أوضح أن حركة مشتركة شارك فيها المسلمون وجنود "ناير" استطاعت أن تقاوم دسائس البرتغاليّين وتصميمهم السّياسى . ونظّم فيها قصيدة يصوّر ما رآه أيّام الحروب والفتح من

---

[١] د/ك ك ن كرب ، د/ ن .ا. محمّد عبد القادر: الأيديولوجيا والنضال ، دراسة عن مسلمى مليبار مركز المخطوطات تربونيتورا صفحة ٢٣

[٢] - الدكتور ويران محي الدين الفاروقى :الشعر العربي فى كيرلا مبدؤه وتطوّره – كاليكوت -٢٠٠٣م -صفحة-٨٠-٨٢

أحوال وأهوال . وقد أهدى هذه القصيدة للساموترى ملك كالكوت الذى حارب البرتغاليين وفتح قلعة شاليم .

كانت هذه القصيدة محاولة جادّة لنشر الوعي الوطنى وتربيته بحيث يمكن بها المدافعة الوطنية ونشر الفكر التارخى بين الأمّة . ولا غرابه فى أن المسلمين هم الّذين ربّوا هذه المعانى الفعالة أكثر من الآخرين .لقد جعلتهم هذه التوعيّة يستعدّون إستعدادا تامّا حتّى لتضحية أرواحهم الغالية في سبيل الوطن وملكهم العزيز . وقد كانوا يعتقدون أنّ التّضحية في سبيل الملك والوطن من واجبات المسلمين. فقد إعتبروها ضمن المفروضات الدينيّة الأخرى . جعلتهم هذه الإعتقادات من السّابقين الأوّلين في مجال النّضال للدّفاع عن الوطن والإعتقادات . إنّ الّذي يقوم بدراسة تحليلية لأبيات هذه المنظومة سوف يراها تستحق الإهتمام التارخي الكبير[١].

لقد بدأ الشاعر قصيدته بحمد الله قائلا :

الحمد لله القويّ القادر المالك المفني العليّ القاهر

القاسم الملوك والجبابرة وكاسر القيول والأكاسرة

ثمّ صلاة الله مع سلام على النّبي المصطفى التّهامى

محمّد وآله الأبـــــرار وصحبه والتّابع الأخيار

[١] د/ك ك ن كرب-الترجمة د/زهرابى ماتومال والأستاذ محمّد كنجاتود - تراث مسلمى مليبار -ط- معهد مليبار للبحوث والتنمية-كاليكوت-ص-٢٨

بعد الحمد والصلاة يبدأ الشاعر قصيدته بذكر أخبار الملك الساموتري الذي كان يحكم في كاليكوت . هنا يعدّد مناقبه المتعدّدة وينتقل الى وصف الحروب الشديدة التي دارت بينه وبين المستعمرين البرتغاليين .واصفا هذه التطوّرات يقول :

فإنّ هذى قصّة عجيبة فى شرح حرب شأنها غريبة

واقعة فى خطّة مليبار ومثلها لم يجر فى تلك الدّيار

بين محبّ المسلمين السّامرى وبين خصمه الفرنج الكافر

ثمّ يشير الشاعر بعض الشيئ الى الجهود التي بذلها في سبيل تدوين هذه الأخبار نظما ويقول :

ثمت لمّا كان نظم النّثر يصيّر الفضّة مثل النّضر

أمّا ما هو المفهوم من هذا البيت فقد كان له أن يواجه صعوبات عديدة عند نقل المواد النثريّة الى النظم . ثم يتحدّث الشاعر مشيرا الى تلك العلاقة الودّية التي كانت سائدة بين الملك ورعيّتهم المسلمين ويقول :

وهو محبّ ديننا الإسلام والمسلمين بين ذا الأنام

ناصر ديننا ومجرى شرعنا حتّى بخطبة على سلطاننا

والمسلمون كلّهم رعيّته وإن يكن فى أيّ أرض بلدته

ثمّ نراه يلتفت بعض الشيئ الى الوراء ويقدّم صورة واضحة للأخلاق الكريمة والمناقب الحسنة التي يتّصف بها هذا الملك الكريم الذي كان محبوبا لدي جميع الرّعيّة يقول :

لا يأخذ المال بغير جرم وليس يؤذي أحدا بظلم

لا يأخذ البلذان ممّن دونه وإن عصوا يعفوا بما يهدونه

وليس يعفوا لو عصى ملك كبير الاّ بأخذ بلد ولو صغير

بعد هذا يخبرنا عن البرتغاليين والظّروف التي سهّلت دخولهم الى الدّيار الهنديّة ولا سيّما الى منطقة مليبار التي كانت مشهورة بما يسود فيها من التعايش السلمي بين الطوائف المختلفة . ثمّ من خلال بعض الأبيات في هذه المنظومة يلقي الشاعر الضّوء على التّصرّفات السيّئة التي يقوم بها البرتغاليّون وأعمالهم الفضيحة التي تخجل منها حتي الحيوانات. كانت هذه الأعمال الشّنيعة في رأيه مدهشة للعامّة من النّاس الذين لم يروها من قبل . بعد هذا يتحدّث الشّاعر عن الإضطهادات والتعذيبات التي كانوا يقومون بها ضدّ النّاس ولا سيّما ضدّ المسلمين الذين يعتبرونهم من أحقر مخلوقات الله . بعد ان بالغ كلّ المبالغة في وصف الجرائم التي ارتكبوها يلقي الإشارات الى التطوّرات السّياسيّة المختلفة التي أدّت الي قيام قلعة لهم في كاليكوت وسقوطها في أيدي جنود الملك بعد الإشتباكات العنيفة . ثمّ يذكر أسباب سقوط قلعة كاليكوت والعناصر المختلفة التي شجّعت البرتغاليين على الذّهاب الى كوشن .

بعد هذا ترى في القصيدة اشارات عديدة الى تلك الإجراءات الإنتقامية التي أخذتها البرتغاليّون ضدّ الملك السّاموتري ورعاياه المسلمين . ثمّ ، بعد ذكر بعض الأمور عن قلعة البرتغايين في كدنغلّور وما فيها من الحوادث الأخرى يقول الشاعر عن الملوك

المسلمين والدول العربية الذين أقبلوا على تقديم المساعدات والتأييدات للملك السّاموتري وجنوده المسلمين لمواصلة الحروب ضدّ البرتغاليين .

ثمّ نرى الناظم يلتفت بنا من البيت ١٥٠ فصاعدا الى كافّة التطوّرات التي دارت حول قلعة شاليم ، معقلهم الأخير في جنوب الهند . تقدّم لنا هذه الأبيات صورة واضحة بكلّ الدقّة التامة عن جميع الأحداث والوقائع بما فيها الإضطرابات والإشتباكات والحروب التي شهدتها هذه المنطقة خلال فترة دامت قرابة سنة واحدة .

يبدأ الناظم هذا الجزء بذكر تصريح الملك الساموتري للبرتغاليين ببناء قلعة لهم في شاليات ويقول :

فالسّامري أعطي له في الشّاليات بقلعة ثمّ بناها عاليات

كيلا يراها السّامري كا لأوّل كأنّه يحفظ حكم الأزل

ثمّ يعدّد الإضطهادات المختلفة التي قاموا بها ضدّ العامّة من النّاس ولا سيّما المسلمين .يقول :

فأكثروا الصّولة والعناد وأظهروا الطّغيان والفساد

وهدموا مباني الإسلام كذا محوا شمائر الأحكام

ثمّ تسلّطوا على الملوك تسلّط المالك في الملوك

وخرّبوا أجلّة البلاد وعطّلوا معايش العباد .

بعد هذا في بعض الأبيات يشير الى الأضرار البالغة التي تعرّضت لها ديار المسلمين ومعابدهم المقدّسة ويقول :

كم في حبسهم مقيّدون وأيّ محنة بها يعذّبون

وأحرقوا المصحف والمساجد ثمّ بنوا لهم بها المعابد

ويضرب المسلم بالنّعال وينجس المسجد بالأبوال

ثمّ بالكثير من الأبيات يصوّر حالة الملك الساموتري الذي كان يعيش حوالي أربعين سنة في ظروف قاسيّة للغاية لأجل معاملات البرتغاليين السّيّئة وتصرّفاتهم القبيحة . يقول :

فاسّامري غاليا يحارب لظلمهم وما له مصاحب

ولم يزل يحصد جند زرعه في كلّ عام بجهاد ربّه

لكن على هذا مضت سنينا أزمنة تبلغ أربعينا .

هنا لم يهمل الناظم تلك المحاولات العديدة التي قام بها الملك للإستعانة بالملوك الآخرين والدخول في هدنة مع البرتغاليين حتي يجد حلّا لما يجدها من الصّعوبات . يقول في هذا الخصوص :

وكان عند ذاك عتدل شاه شاور حقّا مع نظام شاه

فاتّفقا وعاهد الله على حرب الملّاحين وأن يستلأصلا

فأرسلا للسّامري خطّها لأخذ حصن الشّاليات جازما.

ثمّ يتحدّث الناظم عن ملكين من الشمال الذان طلبا من الملك للقيام بوضع حصار حول قلعة شاليم التي كانت تجري حولها النشاطات التجاريّة المكثّفة . ثمّ يبيّن الشّاعر كيف ما نفّذ الملك نصائحهما ويقول

فأرسل العسكر مع وزيرين وسلّم الأمر إلى الوزيرين

فالأوّل الأصيل للوزارة والثّانى وهو ناظر الخزانة

ثمّ يلقي بعض الإشارات الى ما جرت بين هذين الوزيرين من الخصومة الشديدة ويقول:

وبينما ذا الحرب قام بهما إذ وقعت خصومة بينهما

وصاحب التّانور ذا اللعين أتاهما كأنّه يمين

فسكن الحرب بغير ما سبب وبعضهم يقول فى هذا السبب

لأنّ ذاك الشخص ذاالوجهين قد مدّ كفّه إلى الجهتين

عند ما أدرك الملك أنّ وزراءه ضعفاء غير قادرين لإيجاد الأجواء الملائمة التي تؤمّن له الإنتصار في المعارك . أرسل اليهم الجيوش فرقة تلو أخرى . مشيرا الى هذا يقول الشاعر:

فى كلّ أسبوع وزيرا ماهرا وكاتبا وخازنا وناظرا

وكلّما يجيئ منـــهم أحد يكون بطشه كقوّة الأسد

إذا مضى عليه يومان ترى ذاك الوزير ماشيا مثل الورى

كانت هذه الجيوش أيضا غير كافية لتحقيق أمنيّات الملك. وقد تدخّلت والدته العاقلة. في القضيّة واستشارت بأعيان المسلمين وطلبت منهم لتقديم المساعدات العسكرية المطلوبة لفتح القلعة وإجلاء البرتغاليين. يشير الناظم في هذه التطوّرات ويقول :

إذ ذاك أمّ السامرى بعقلها قد أرسلت للمسلمين خطّها

ليتفكّروا عن حال الحرب وينظروا لما يجئ فى العقب

وكان سيّدي أحمد القمامي مجاهدا فى جملة المقادم

وشيخنا المشهور ذوا الأسرار أبو الوفا محمّد الشّطار

والشّاه بندر عمر العنتابي وسائر الرّؤسا ألو الأنسباب

ومعهم المخدوم ذو الإتقان عبد العزيز المعبري الفنّاني

وهكذا قاضى قضاة المسلمين عبد العزيز الكالكوت كاالمعين

ومنهم مقدّم الشجعان كنجي على المشهور فى البلدان

فأحضروا أعيان كلّ البلد والوزرا جميعهم فى المسجد

فشاوروا مع غرّة العساكر وكتبوا الأحوال نحو السّامري

بناءا على طلب والدة الملك اجتمع قادة المسلمين فى مسجد كالكوت ليتفكّروا عن أحوال الحرب و يتدبّروا عن عواقبها إذا استمرت فترة طويلة. وكان منهم سيد أحمد القرامى، عبد الوافى محمّد ستّار ، شاه بندر عمر أنتابى ، العالم مخدوم عبد العزيز معبرى و القاضى عبد العزيز الكالكوتى والشجاعي الكبير كنجال مركّار.

ثمّ يشير الشاعر الى الإستعدات الأخرى للحرب ويقول :

وللّذى يجرح أو يموت عيّن حاسبا لديه القوت

تمّ لكلّ مائة ودونها أمر واحد مقدّما لها

كان النّاس بدون الفرق بين المسلمين والهندوكيين يتمنّون نهاية للأحوال المضطربة هناك . وكانوا يبتهلون الى الله بكلّ الطرق المعروفة لديهم وكانوا يقدّمون النذور الى الأمكنة المقدسة والآلهة لديهم لو يتمكّنوا السّيطرة على البرتغاليين .يشير النّاظم الى هذا ويقول :

وعيّن المنذور فى أمّ القرى كذا لطيبة بها خير الورى

وأحضر الكهّان والمرصّدين وصاحب الدعوة والمنجّمين

وأمر الوزرا ببذل الأموال لمن يجود روحه على القتال

من قتل النّفس وجا بسيفه يلبسه دُملجة بكفّه

ما عدّ يوما درهما ولا ذهب لكن يعدّ الكيس فهو من عجب

تلبية لنداء العلماء والأمراء أقبل النّاس أفواجا الى ساحة القتال ، وحاربوا حروبا شديدة يثبون وثوب الأسود والنمور الشّرسة على الأعداء. وبالأضافة الى هذا حفروا الخنادق حول القلعة ،وحاصروها بمنع المأكولات والمشروبات الى الداخل يقول الشّاعر في هذا الصدد:

فصار يأتى النّاس مثل النّمل حين رأى انكسار ظرف العسل

فخاض كلّ واحد فيما أمر من حربهم مثل الأسود والنّمر

فنبشواالخندق فى الأسحار فى كلّ جانب إلى الحصار

حتى يصير الطّفل يرمى بالحجر من خندق إلى الحصار والمدر

من يدخلن فى خندق من جندنا يمشى إلى كلّ خنادق هنا

فى كلّ خندق رجال وخيام كذا مدافع وماء وطعام

لكلّ خيمة أمير وعـــلّـــم والطّبل والزّمر ونار فى الظّلم

لمّا انتهى الخندق هذاالموضعا ولم يمكّن أحد أن يرفعا

من يرفعن من خندق لرأسه أصابه المدفع وسط رأسه

فجلس الجميع حول القلعة كحلقة القوم على المائدة

عندما اشتدّ الحصار أقبلت سفينة تقلّ الجنود البرتغاليين الى القلعة وحاولوا لاختراقها. ولكن ماستطاعوا الدّخول اليها. وقد جرت بينهم وبين جنود الملك اشتباكات عديدة انتهت بالتجاء بعض البرتغاليين الى القلعة وبعضهم الى سفينة مرساة لهم عن قريب .مصوّرا هذه اللحظات الحاسمة يقول الناظم :

وبينما العسكر حول القلعة إذ جاءت الغربان نحو القلعة

فارتمينا بمدافـــع كثـــير ولم يكن دافعهم عن المسير

وحين ما تدنوا إلى الحصار إذ خرج الأفرنج من حصار

ففرّ بعض عسكر من خندق لمّا رموا بمدفع كالودق

ومان بين خارج وداخـــل إذ جاءت العسكر بين السّاحل

وقد اشتدت الحرب بينهم، وتغيّر النّهار ليلا بالغبار المتربة والدّخان، وصاحت المدافع صياحا، وتتابعت الأسهم والرّصاص مقابل الأحزاب، وصار قدوم جيوش الفرقتين مثل فيضان الماء، وقتل فيه كثير من النّاس . واستمرّ القتال عنيفا ويقول:

أهلكها من كفّه المدافع وكيف لا والموت فيها واقع

وبالغبار والدّخان العالي قد أصبح النّهار كا للّيالي

وكا لرّعود صوت كلّ المدفع ولمعان السّيف مثل اللّمع

كذا رماحهم مع النّشاب يتابع الأعداء كالشّهاب

وحجرو المدفع والسّهام كمطر يمطره الغمام

ثمّ هجوم الخلق كان سيلا وكالفراشات مثال القتل

ولمّا رأى البرتغاليّون قدوم جيوش السّاموترى لاذوا بالفرار تاركين ورائهم سفنهم الممتلئة بالطّعام من الأرز واللّبن واللّحم والخبز ، دخل بعض البرتغاليين في القلعة فتحير الناس وخافوا يقول الشاعر في هذا الصدد:

وبينما هم بتلك الحال في الضّرب والطّعن وفي القتال

إذ ابصروا بعض غراب السّامري في النّهر يجري نحوهم كا الطّائري

فرجع الملعون حيث ما أتى إلى اللّذي يتبعه ملتفتا

والمركب المملوء بالأرزّ والجبن واللّحوم ثمّ الخبز

طارحة قدّام باب القلعة لينقلوا جميعها في القلعة

لا يقدر الأفرنج نقلها ولا طائفة من مسلم أن ينقلا

فبلغ الحال إلى السلطان فأحضر الوزرا بأمر ثان

وقال إنّي لست آكل الطعام ما دام هذا باقيا في ذالمقام

إن حصلت لنا فنحن الظّافرون أو حصلت له فنحن خاسرون

إذ كلّ من يأتي إليها يُقتل منّا ومنهم فهو حقّا مقتل

ومات خلق من كبار العسكر ولست عن جريحهم بحاصر

ثمّت لمّا لم يكن شيئ نفع من هذه الأشياء والخصم ارتفع

فالسّامري قد رام يوما أن يجي فى خندق مفكّرا للمخرج

أسفرت التطوّرات عن مقتل من رؤساء الجنود، وجرح عديد من العامة، فوصل السّاموترى إلى الخندق ، وجمع بين المسلمين وقبائل ناير من الهندوسيين.حتى يتمكّن من ايجاد قوّة مشتركة بينهما لمواجهة الأعداء. هنا يقول الناظم :

فاجتمع النيّار في مكان والمسلمون في مكان ثان

والوزراء سايروا بينهما ليخبروا الحال لكلّ منهما

فاختصّ كلّ مسلم في جانب لأن يكون غيرهم في جانب

واقسموا جميعهم بأنّنا نموت أوّلا على عدوّنا

فقالت النّيّار أنتم قليل ولا نخلّيكم على حرب الجليل

لكن نكون كلّنا جميعا على الحصون حملة طلوعا

فالتّفق الآرا على هذا الفكر وإن يمت في مرّة ألف نفر

فالسّامري اشفق من هذا الخبر لأنّ في ركوبهم ألف ضرر

فقال للجيوش كونوا حاضرين في خندق على العدا مشمّرين

وأمر الجيوش بالستعداد كذا برمي المدفع المرصاد

فاضطرّ من في قلعة بالمدفع وبانكسار جدرها المرتفع

وارتفع التّراب نحو القلعة ووضع السّلّم حول القلعة

ابتدأت المعركة من جديد حتى اشتدّت داخل القلعة وخارجها ويقول الناظم هنا :

وأوّلا أغرق في الطّريق سفينة لنيّة التّويق

فانقطعت حبالها من شيطة ولم تبت مكانها المعيّنة

وثانيا قفّل حافتي نهر بسلسلات وبأخشاب الشجر

وثالثا قفّل طرق البحر بسلسلات مع حديد الأنجر

ومنع استقاء ماء النّهر والبير قد تغيّرت بالكدر

أغرق السّفينة في البحر ليمنع إيصال سفينة العدوّ إلى القلعة ، و أغلق الطريق فى جانبي بحر شاليار بالسلاسل والخشب بحيث لم يستطع الأعداء دخولها.يقول النّاظم هنا :

فبينما هم على ذي الهمّة إذ عدم الطّعام من في القلعة

لكثرة الخلق وسدّ الطرق فصار أكلهم لسدّالرّمق

ومع ذا كان اللّيالي داجرة رياحها شديدة وماطرة

فصار يخرج الضّعيف والعبيد من قلعة في كلّيوم مثل عيد

وليس من أفرنج شخص يخرج لكنّهم إلى الطّعام أحوج

فأكلوا الفارة والغرابا والجلد والهرّة والكلابا

كذلك الحمار وابن آوى وذبح بعضهم لأكل أهوى

ولما فعلوا مثل ذلك قلّ الطّعام فى القلعة لم يحصلهم إلاّ لإنقاذ حياتهم . ومع ذلك صار العيش متأسّفا تماما بالظلمة والمطر الشديد والعاصفة . وأرسل إلى الخارج الضّعفاء والرقائق، ولم يخرج أحد من الإفرنج . واضطروا على أكل الحيوانات مثل الفأر والغراب والهرّة والكلاب والثعلب والحمار وغيرها. يشير الناظم هنا :

فالتمس الصّلح مرارا وعرض مالا ومدفعا فلم يكن غرض

ولم يزل من حصـــــنه يكلّم بما يريـــــد ويجيب المسلم

ومرّة رام لقـــــــاء السّامري لحاجة الصلح فزار السّامري

فلم يجد للصّلح وجها فطلب للشّرب ماء فأباه فغضب

فطلبوا لنـــــفســـهم أمانا ولم تكن فاقتهم بيـــــانا

لأنّ كلّ من يجي من حصن يكتم فقد قوتهم في الحصن

لو كان فقد قوتهم بيانا لم يجدوا من سامري أمانا

وكان قبل ذا يروم الأمنا مع مهلة ثمّ يخون خونا

فالسّامرى فكّر في ذا الأمر وخاف من إتلاف بعض العسكر

فابصر الأمانا خيرا من وجوه فقال للوزراء زمن له وجوه

من يخرجن في اليوم فهو آمن ولست شخصا بعد هذا أومن

فلم يزل يربط كلّ ماله حتّى النّعال في صناديق له

عند ما اشتدّت الحرب وأوشكت أن تنتهي بانتصار الملك طلب البرتغاليّون للمعاهدة مرارا . ووعدوا باعطاء المال والبنادق مقابل ما يحتاجون اليها داخل القلعة الخالية خلوّا تامّا من المأكولات والمشروبات والحوائج الأخرى .ولكن الملك لم يستعد للدخول في المعاهدة معهم . وقد اضطرّ البرتغاليون للإلتجاء الى الملك . ولكن الملك أخبرهم عن استعداده لتقديم الملجأ لمن يخرج من القلعة . فنزلوا منها مدعنين ومطيعين . ثم جاء الوزراء إلى باب القلعة ، وخرج منها جميع الناس . ودخل السّاموترى إلى القلعة ، وجمع سلعا ثمينة . فتحت القلعة سنة 999 من الهجرة السادس عشرة من شهر جمادى الأخرى . حسب ما ورد في كتاب تحفة المجاهدين وقعت هذه الحادثة في سنة ٩٧٩هـ الموافق لسنة ١٥٧١م . يشير الناظم الى هذا ويقول :

ثمّ أتى الوزرا بباب القلعة فخرج الجميع مثل الميّت

فصار يمشي بعضهم مثل الكلاب وبعضهم في الدّار خشية الذهاب

ثمّت حلّ السّامري في الحصن وضمّ كلّ تحفة في المخزن

وفتحها في يوم الإثنين جرا سادس عشر من جمادي الأخرى

من فضل ربّنا الغني في سنة تسع وتسعين وتسعمائة

وكان الإبتداء في سلخ صفر من ذلك العام فتمّ بالظّفر

هدموا القلعة بشكل تام حتى لا يبقى ولو حجر واحد منها . وقد نقلت بقايا القلعة من الأحجار والأخشاب الى كاليكوت. و استخدمت الأشياء الباقية في إعادة بناء مسجد الجمعة الذي هدمه البرتغاليون لبناء هذه القلعة يقول:

وبعد هذا عيّن الأنصارا في كلّ جنب يهدموا الحصارا

ثمّت لمّا أخبروا للسّامري خراب بيت الله من ذا الكافر

سلّم بعض قلعة بالقصد للمسلمين لبناء المسجد

وكلّ من كان من النّصارا مع الصّناديق بقوا حيارا

فالسّامري قد قال كلّ يدخل في دينه الأوّل ثمّ يشغل

بشغله الأوّل ثم امتثلوا وبعضهم في ديننا قدّخلوا

وبعد ذا أدخل في الخزانة جميع ما قد نقلت من قلعة

وكان فيها تحف نفيسة ولا يُطيق أحد مقيسة .

وكان فتح قلعة شاليم فى عام ٩٩٩ هـ وسقوطها نقطة تحول فى تاريخ البرتغاليين اذ أخذت شؤونهم تضمحل فى هذه الديار بعد هذه الحادثة [١]

***

[١] القاضي محمد بن عبد العزيز – قصيدة الفتح المبين – ترجمة – عبد العزيز المولوي – مكتبة الهدي –صفحة ٢

الباب الخامس

دور العلماء المسلمين المليباريين فى الثورات الشعبية ضد الإنجليزيين

- الفصل الأول : السيّد علوى المنفرمى و الثورات الشعبية ضد الإنجليزيين
- الفصل الثانى : فضل بوكويا تنغّل و الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين
- الفصل الثالث: آمنمّانرّكتّ فريكوتي مسليار و الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين

الفصل الأول

السيّد علوى المنفرمى و الثورات الشعبية ضد الإنجليزيين

السيّد علوي المنفرمي(١٧٥٣ – ١٨٤٥م)

كان السّيد علوي المنفرمي أحد الأعلام الصّوفيّة البارزين في ديار مليبار. وكان له القدح المعلّى فى نشر الإسلام والتّعاليم الدّينية في ربوع مليبار. وقد ساهم في شكل ملحوظ في المعارك النّضاليّة ضدّ قوات الاحتلال البريطانية في الهند .كان له دور بارز في توحيد صّفوف المقاتلين ضدّ الإحتلال الإنجليزي الغاشم في ديار مليبار.و كان يبذل جهودا جبّارة لتوعيّة النّاس ولاسيّما المسلمين منهم بأهمّية محاربة المستعمرين الإنجليزيين من أراضي الوطن . وبفضل نشاطاته المختلفة في هذا السّبيل أمكن لتوحيد الصّفوف الهنود بدون الفرق بين الأديان والأعراق والطّوائف المختلفة وكذلك لنشر روح التعايش السّلمي بين مختلف أجناس الشعوب.

ولد قطب الزّمان السّيد علوى المنفرمي في مدينة" تريم "من محافظة "حضر موت" في بلاد" يمن" سنة ١١٦٦هـ /١٧٥٣م . كان ينتمي إلى أسرة ذاع صيعتها في مجالي العلم والمجد . توفي والداه محمّد بن سهل مولى الدّويلة وفاطمة الجفريّة في صغر سنّه . وكفلته خالته وترعرع فى حضانتها[١] . كان ميّالا إلى العلم والعلماء منذ نُعومة أظفاره . تلقّى العلوم الدّينية على أيدى العلماء البارزين ونشأ في تربيتهم الصالحة.

[١] ك.ك. محمّد عبد الكريم – جواهر في مليبار (مليالم) – صفحة ١٤

.أتقن اللّغة العربيّة كتابة وقراءة وتحدّثا كلّ الإتقان وحفظ القرآن الكريم بأكمله ولمّا يبلغ السنة الثّامنة من عمره . وقد بذلت خالته كافّة جهودها لتربيته تربية صالحة حتّى أرسلته في بعض السّفن التّجاريّة إلى منطقة مليبار في سواحل كيرلا حيث كان يستغرق بعض إخوتها مع أسرهم في الدّعوة الإسلاميّة . هكذا وطئت أقدامه أراضي كاليكوت في سنة ١١٨٣ هـ وهو كان إبن سبعة عشر سنة .[١]

أمّا الأقرباء المذكورين الّذين يقومون بالدّعوة الإسلاميّة في مليبار فكانوا من أوائل الّذين وصلوا في ربوع كيرلا من منطقة "تريم" . وكانوا ينتمون إلى عائلة الجفري العريقة والمشهورة في "تريم" . وكان الشّيخ جفري وحسن جفري من أعيان هذه الأسرة .وقد وصل الشيخ جفري في ربوع كيرلا قبل ولادة صاحبنا ببضع سنوات . أمّا الثّاني فقد غادر موطنه إلى مليبار وصاحبنا في السنة الثانية من العمر. فارق الدّنيا مخبرا أخاه بقدوم إبن شقيقته السّيّد علوي إلى ديار كيرلا وموصيا إيّاه بتزويج إبنته له لو مات قبل وصوله .

وصل السّيد علوي في ميناء كالكوت مع التّجّار العرب في سنة ١١٨٣هجرية وقد أوصلوه في منزل الشيخ جفري الّذي أخذه في صّباح يوم التّالي إلى منفرم حيث كان يعيش خاله حسن جفري مع العائلة . ذهب به مباشرا إلى زيارة مرقد خاله الذي توفي قبل سنتين . ثمّ جاء به إلى أسرة المرحوم حيث عرّفه لأفراد الأسرة كلّهم بالإضافة إلى أعيان القرية .ثمّ غادر الشّيخ جفري إلى موطنه كاليكوت مولّيا إيّاه

[١] -جمّاد-صفحة ٧٠-٢٠٠٩ موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي

الرّئاسة الدّينيّة والقضاء في منفرم . يعتبروصول السيّد علوي في منفرم نقطة تحوّل فى تاريخ مسلمي مليبار.

بعد الوصول هنا بقليل تم زواجه مع ابنة خاله المرحوم السيّد حسن جفري المعروفة باسم "فاطمة بيوي" الّتي أنجبت منه بنتين الأولى فارقت الدّنيا فى صغر سنّها والثانية إسمها "شريفة كنج بيوي" أنجبت ثلاثة من الأبناء الّذين أبقوا سلسلة العلويين في كيرلا . بعد وفاة السّيّدة فاطمة بيوي تزوّج من السيدة فاطمة ابنة العالم الشهير "أبوبكر مدني" في "كويلاندي" . الذي أنجبت منها ولدا إشتهر فيما بعد ب"فضل بوكويا تنغل " . وبعد هذا تزوّج من سيّدتين : واحدة من أسرة شهيرة فى "بنمندم" قريب من تانور والأخرى سيدة تيموريّة من جزر "إندونيشيا" . إنّ هذه الأخيرة هي الوحيدة التى كانت فى قيد الحياة عند وفاته .

مواقفه السّاسيّة

كان السيّد علوي المنفرمي رئيسا روحيّا كبيرا يحترمه كافّة النّاس بدون الفرق بين المسلمين وغير المسلمين . كان يريد إيجاد الإصلاحات الإجتماعيّة معتمدا على التّعاليم الدّينيّة .كان يولي إهتماما بالغا بالتّعايش السّلمي بين الأديان والطوائف المختلفة والموجودة في مليبار . وكذلك كانت للتسامح أهمّية كبرى في حياته الممتلئة بالكثير والكثير من المواقف الروحيّة والماديّة . إنّ صفاته الممتازة وأخلاقه الكريمة جعلت النّاس من الأديان الأخرى يحبّونه ويعتبرونه رئيسهم الرّوحي . كثيرا ما كانوا يطلبون منه للإشراف على حلول مشاكلهم المختلفة . ويسترشدونه في

جميع مواقف الحياة . وكان الهندوس والنصارى دائما يحضرون مجالسه مع المسلمين ويتشاورون معه حتى لتحديد الأمكنة والمواعيد المناسبة لعقد طقوسهم واحتفالاتهم الدّينية . كان يعيّن بعض الأعيان الهندوكيّين فى المجلس الإستشاري للنظر في القضايا التي تتعلّق بالهندوكيين [1]. إنّ مواقفه هذه المتّسمة بالتّسامح والتراحم والتعاطف جلبت إليه نفوس النّاس من شتى طبقات المجتمع الّذين لا يزالون يتدفّقون حتى الآن إلى زيارة مرقده قريبا من مسجد منفرم القديم . أمّا موقفه تجاه القوى الاستعماريّة وكان شديدا جدّا مستمدّا من التعاليم الدّينية الذي تلقّاها منذ الطفولة وكان من ألد أعداء الاستعمار والمستعمرين . لمّا أدرك أنّ المستعمرين الإنجليزيين بالاشتراك مع ملّاك الأرض الّذين يضطهدون الفلّاحين الفقراء من المسلمين وغيرهم يحاولون للإتيان بتغييرات جذريّة فى النّظام الإجتماعي السّائد في أراضي كيرلا بالتّفريق بين الهندوكيين والمسلمين خرج هو بنفسه للدّفاع عن الوطن وما يسود فيه من التعايش السّلمي بين الأديان و الطّبقات المختلفة .[2]

وقد كان للسيّدعلوي دور كبير في ايقاظ عواطف المسلمين المحلّيين وشعورهم ضدّ الحكّام المستعمرين الإنجليزيين . وقد قام بتوعيّتهم بالخطبات البليغة والكتيبات الّتي نشرت في أنحاء هذه المنطقة. ومن هذه الكتيبات تلك التي تحتوي على ثمانية من الفتاوى في شكل الأسئلة والأجوبة أصدرها باسم "السيف البتار على من يوالي

[1] موين هدوي مليّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر : مكتبة أساس - دار الهدى اسلامك أكّادمي-جمّاد- صفحة ٩٢- ٢٠٠٩

[2] ك. ن. بنكّر –ملبار كلابم : بربهتوتّم راجوازجكّمتلرى- د س بكس كوتيم -٢٠٠٧م- صفحة ٨١

الكفّار ويتخذهم من دون الله ورسوله والمؤمنين انصار" إنّ هذه الخطّة التي اتّخذها لمواجهة الأعداء كانت كافية لإثارة الشّعوب وإضرام ما فيهم من الثّأر الشّديد من المستعمرين. فقد استجابوا لدعواته المتتابعة وخرجوا ثائرين ضدّ الإنجليز ومصالحهم التّجاريّة. عند ما تفاقمت الأوضاع واشتدّت العداوة إضطرّ الإنجليزيون إلى القضاء على هذا العالم الكبير.

الإنسجام الدّيني ومظاهر العلاقة الودّيّة بين المسلمين والهندوكيين

لقد كان للأوضاع الاجتماعيّة ولاسيّما للظروف السّياسية السّائدة دور كبير في تشكيل نظريّات السّيّد علوي المنفرمي . لمّا أدرك أنّ سياسة المستعمرين الإنجليزيين المستمدة من نّظريّة "فرّق تسد" سوف تُحدث تغييرا جذريّا في النّظام الإجتماعي السّائد وقتذاك بايجاد خلافات شديدة بين الأديان والطّوائف المختلفة ،خرج هو بنفسه مع الأعيان الآخرين للدّفاع عن النّظام السّائد المعتمد على التّعايش السّلمي بين الأجناس المختلفة . عند ما اشتدّت عداوة المستعمرين وبدأت أن تعكّر صفو الأجواء القائمة و تهدّد حتّى كيان المسلمين قام بتشكيل جبهة تتكوّن من المسلمين والهندوكيين الذين يتكاتفون ويتعاضدون بكلّ حماسة مرتفعة على وجه الأعداء . كان يرى أنّ هذا الإتّحاد بين الأديان المختلفة لمواجهة عدوّهم العام أمر لا مفر منه. وقد كلّلت مساعيه في هذا السبيل بالنجاح حتى تمكّن له من إيجاد الحماسة الوطنيّة في نفوس جميع النّاس بدون الفرق بين المسلمين منهم الهندوكيين والرجال منهم والنّساء والصّغار منهم والكبار.

سبّبت مواقفه النّبيلة لإجتذاب قلوب جميع النّاس الّذين اعتبروه رئيسهم السّياسي والروحي في آن واحد .وقد بدأوا يحبّونه مثل ما يحبّهم بكلّ الإخلاص التّام. كانوا دائما في أتمّ الاستعداد للقيام بكلّما هو يطلب منهم في سبيل الوطن والدّفاع عن حرّيّته . دائما كان يرى مصحوبا بالكثير من كبار المجتمع الّذين يمثّلون الأديان المختلفة . وكان من أشهرهم صديقه الحميم وكاتبه الأمين " كوند ناير" Konthu Nair) من الأسرة الهندوكيّة المشهورة باسم "جمبايا" الذي كان يلازمه حتى الموت .جميع النّاس كانوا ينظرون إليه كأنّه قاضي القضاة كلّ ما يحدث فيهم خلاف في أمر ما كانوا يتّصلون به للتحكيم في ذلك الأمر. وكذلك دائما كانوا يستشيرونه في جميع الأمور التي تتعلّق بهم ولاسيّما تلك التي تتعلّق بالزّواج والأعياد والاحتفالات الأخرى ولتحديد مواعيدها .[١]

هكذا لمّا كثر نفوده واتسعت شهرته بين النّاس صار قدى في عيون الإنجليزين الذين أدركوا خطرا هائلا في هذا العالم الكبير. وقد حاولوا كلّ المحاولة للسيطرة عليه وإخماد نيران الثورات التي أشعلها في شتّى أنحاء مليبار. ولكن بائت محاولاتهم كلّها بالفشل ، إذ أنّ هذا العالم كان غير مستعدّا للتّفاوض مع الأعداء رغم عروضهم المختلفة التي تؤمّن له حياة مريحة منعمة بكلّ التّسهيلات الدّنيويّة .[٢]

[١] جمّاد –ص-٩٦-٢٠٠٩ موين هدوي مليّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّاديم
[٢] ك.ك. محمّد عبد الكريم ، س.ن أحمد مولوي – مهتّاي مابلا ساهتي بارمبريم – آساد بكس ستال –كاليكوت -١٩٧٨

وفاته

وقد ظلّ هذا العالم الكبير الذي يستحقّ الرّيادة في نهضة مسلمي مليبار ساطعا في سماء الوطن كالنّجوم المتلئلئة مقدّما كافّة الخدمات الجليلة للأمّة والمجتمع أكثر من تسعين سنة . وقد فارق الدّنيا تاركا ورائه عددا غير يسير من الآثار الأدبيّة والعلميّة بالإضافة إلى الذّكريات الحلوة في قلوب كافّة النّاس فى سنة ١٨٤٥م/١٢٦٠هـ . إثر جروح بالغة تلقّاها في ثورة "جيرور" التي حارب فيها الإنجليزيين مباشرا . وفي الحقيقة كان يضمر هذه الجروح حتى قبيل الوفاة . ولو حاول الأطبّاء الشّعبيّون المشهورون مداواتها لم ينجحوا في إنقاذ هذا العالم الكبير الّذي يُضرب به المثل في الشّجاعة والإقدام .

حياته الاجتماعيّة

كانت أخلاقه الكريمة المستمدّة من التعاليم الدّينية وتدخّلاته المستمرّة في شؤون المجتمع وسياسة الدّولة من أهم العناصر التي تلفت اليه أنظار الناس. كان يتخذ طريقة مثلى واعدة معتمدا كلّ الإعتماد على القيم الإنسانيةّ النبيلة . وكان متميّزا بالعديد من الصفات الإنسانيّة بما فيها الشجاعة والإقدام ، والمعاملات الودّيّة ،و بعد النظر ، والسماحة ،والآراء السديدة .[١]

[١] موين هدوي مليم، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتميبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادي ٢٠٠٩ -صفحة١٣٢ م

وما أن وصل منطقة مليبار حتى أتقن في اللّغة المليالميّة إتقانا تامّا من خلال فترة وجيزة وبدأ أن يتبادل الآراء و الأفكار مع السكّان المحلّيين . إنّ هذه الموهبة الفريدة التي تحلّى بها جعلت الأبواب كلّها مفتوحة أمامه حتّى استطاع له أن يتّصل بجميع النّاس في المجتمع ويسافر معهم طولا وعرضا في المنطقة يتفقّدون الأماكن التي تُرى فيها المساجد والأماكن الّتي تتطلّب إلى المساجد الجديدة والمدارس الدينية والمعاهد الأخرى وكذلك للعثور على المساجد القديمة التي تحتاج الى اعادة التعمير. وكان من أشهر المساجد التي بنيت تحت إشرافه المباشر تلك التي وُجدت في كلّ من " تانور و كودنج وجابننغادي ومتّجيرا وغيرها . وقد استطاع بجميع ما اتّصف به من النّصائح القيّمة والإرشادات الفعّالة لتشكيل مجتمع فعّال يستعد دائما لمواجهة أقصى صنوف الشدائد التي يذيقهم بها الحكّام المستعمرون . وقد كان لديه حلّا مناسبا لكافّة المسائل والمشاكل التي يجيئ إليه النّاس من الطّبقات المختلفة.

أما بالنّسبة الى المسلمين في مليبار كانت العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر والأولى من القرن التالي مكتظّة بالكثير من المشاكل والمآزق الشديدة الناتجة عن عدم القيادة الرّشيدة النّاضجة. كان المسلمون في هذه المنطقة في أمسّ الحاجة إلى واحد يقودهم دينيّا ودنيويّا إلى الأمام . هكذا عندما كانوا في إنتظارهم الطّويل وصل هنا الدّعاة من أقصى جنوب الجزيرة العربية . وكان من طليعة هؤلاء الدّعاة الشيخ السيد جفري الذي وطئت أقدامه مرفأ كالكوت سنة ١٧٤٦م والشيخ

حسن جفري الذي وصل في قرية منفرم مع عائلته سنة ١٧٥٤م واستقروا فيها. .بعد هذا وصل السّيّد علوي المشهور باسم منفرم تنغل سنة ١١٨٣ هـ متمّا السّلسلة الباعلويّة الّذين غادروا ديارهم في الجزيرة العربيّة قاصدين ديار مليبار. كان المسلمون في هذه المنطقة ينظرون إليهم بكلّ الأمل الشديد . ومن خلال فترة وجيزة ذاع صيتهم في هذه الدّيار حتّى صاروا ملاذهم الوحيد في تلك الظّروف المضطربة .

كفاحاته

كان لمنطقة مليبار دور محوري في تاريخ كيرلا في القرن التّاسع عشر. كان الزعماء الدّينيين يركّزون إهتمامهم على توعيّة النّاس عن الأوضاع الرّاهنة الناتجة عن تصرّفات الحكّام المستعمرين .وقد كان للتّعاليم الدّينية النّاصحة ورغبة النّاس الشديدة في الانتقام من المستعمرين تأثير كبير في ظهور الحماسة القوميّة وازدهارها. إنّ التطوّرات السّياسيّة اللّاحقة بما فيها الاشتباكات والاضطرابات التي كثيرا ما كان يقودها السّيد علوي المنفرمي وغيره من العلماء الكبار كانت تهدّد كيان الحكّام المستعمرين وتوقعهم في ارتباك شديد .

أما بالنّسبة للعامّة من النّاس الذين يتعرّضون للخسائر الكبرى إجتماعيّا وثقافيّا وإقتصاديّا ودينيّا نتيجة سياسة المستعمرين فكان هؤلاء الأئمّة ملاذهم الوحيد حيث يجدون فيهم العزاء والسلوان لما يعانون من الإضطهادات المختلفة .وقد

[1] م. كنغادهرن – مابلا بدننغل – وجنم بكس – كاليكوت – ٢٠٠٤م

أدرك هؤلاء العلماء أنّ القوانين والأنظمة والإجراءات المترتّبة التي قام الحكّام المستعمرون بتطبيقها على الرّعيّة كانت كلّها مزعجة كلّ الإزعاج ولاسيّما للمسلمين منهم . في مثل هذه الظّروف الصّعبة ،حيث كان جميع الأنظمة السّياسيّة مضرّة للمسلمين خاصّة ، وما كان أمامهم إلاّ الالتجاء إلى الإجراءات الصارمة ضدّ المستعمرين ومصالحهم التجاريّة .

كان للثّورة ضدّ الإنجليزيين تحت قيادة الأسرة الباعلويّة دوران ملحوظان الأوّل يمثّله السّيّد علوي المنفرمي الذي قاد الثّورة قرابة نصف قرن والثّاني يمثّله السيّد فضل بوكويا إبن السيد علوي المنفرمي الذي قاد الثّورات حتّى اجلائه إلى الجزيرة العربيّة . أمّا الأوّل- ولو ظهرت الثّورة في أوائل القرن الثّامن عشر- فكان يقودها عندما بلغت أوجها في مطلع الأربعينيّات من هذا القرن. وكان مصدر الثّوّار الرّئيسي يقدّم لهم كافّة التّشجيعات والتّأييدات . وكان من أهمّ الثّورات التي وقعت وفقا لأوامره و تحت قيادته ثورة مابلا من المسلمين التى وقعت في أوائل القرن الثّامن عشر والاشتباكات التي جرت في منجيري سنة ١٨١٧م وقتال "متّجيرا" سنة ١٨٤١م وثورة "جيرور" سنة ١٨٤٣ م . وبالإضافة الى هذا نفهم من المصادر الموثوقة أنّ أونّي موسى موبن الذي شارك دبوسلطان ، ملك ميسور في بعض الثورات ضدّ الإنجليزيين وأتّنموين كركّض الذي قاتل مع الملك بازاشي كانا من أقرب مريدي السّيّد علوي المنفرمي ومن أكبر المتأثرين بتعاليمه القيمة. ومن

الواضح من الآثار التّاريخيّة أنّ السّيد فضل بوكويا إبن السّيد علوي المنفرمي هو الّذي قاد الثورات الثّلاثة الرّئيسية التي ظهرت في فترة ما بين ١٨٤٩م ١٨٥٢م .

السّيف البتار

"السيف البتار على من يوالي الكفار ويتخذهم من دون الله ورسوله والمؤمنين أنصار" عبارة عن كُتيبة تحتوي على ثماني فتويات في شكل الأسئلة والأجوبة. ألّفه العالم الكبير والمناضل الشّهير السيد علوي المنفرمي بعد ثورة "متّجيرى" التي حورب فيها الإنجليزيّون بشدّة حسب التعليمات والإرشادات من السّيد علوي المنفرمي . ولو لم يتدخل مباشرا في هذه الثّورة كان وراء كلّ خطوة يخطوها الثّوّار إلى الأمام لمحاربة أعدائهم الألدّاء . تعتبر الفتاوى الواردة في هذه الكتيبة والمستمدّة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النّبوية الشّريفة من أحدّ الأسلحة الموجّهة إلى الإنجليزيين من قبل السّكّان المحلّيين. أحدثت مخطوطات هذه الكتيبة الموزّعة بين المسلمين طولا وعرضا في منطقة كيرلا ضجّة كبرى في الأوساط الاجتماعيّة ولا سيّما في أوساط الإنجليزيين المستعمرين . أوجدت هذه الفتويات حماسة جديدة لا مثيل لها في قلوب السّكّان المحلّيين الّذين إنضمّوا الى جهة المناضلين أفواجا أفواجا ممّا أثارت غيظ الإنجليز الّذين حاكموا بمصادرة جميع المخطوطات ومعاقبة جميع من يتناقل الفتاوى الواردة فيها . ظلّت هذه المخطوطات محضورة طيلة أكثر من خمسة عشر سنة حتّى نُفي إبنه السّيد فضل بوكويا إلى الجزيرة العربيّة حيث طُبعت لأوّل مرّة في ا للّغة العربيّة .

وقد كان لهذا الكتاب مع نظيره "عدّة الأمراء" بقلم السيد فضل بوكويا إبن السيّدعلوي المنفرمي أهمية سياسية كبرى ولاسيّما في تلك الفترة التي يحتلّ فيها الإنجليزيون معظم الأراضي الماليباريّة. وقد كان ظهور هذه المصنّفات من قبل العلماء الكبار في أسرة "باعلوي" في الأيّام التي يتعرّض فيها المسلمون للعديد والعديد من الإضطهادات والمعاملات الخشنة من قبل الإنجليزيين والحكّام المحلّيين والقضاة ورجال الأمن وغيرهم من السلطات المختلفة الأخرى . كان معظم المسلمين في تلك الأيّام فقراء يعتمدون على الأعمال الزراعيّة في الأراضي التي يملكها الأغنياء من الهندوكيين. وكانوا مع تخلّفهم في جميع ميادين الحياة ضعفاء يتعرّضون لعدد لا يحصى من الاضطهادات. وما كان لهم حتى التحدّث للآخرين عمّا كانوا يتلقّونها من الاضطهادات والتعذيبات من الأغنياء والحكّام المستبدّين الذين دائما كانوا يرحّبون بقدوم القوى الاستعماريّة . في مثل هذه الظروف السوداء يقدم إليهم العلماء من أسرة باعلوي بنشر كلّ ما لديهم من الأفكار الجديدة لإنقاذ هؤلاء المستضعفين من براثن الظّالمين والحكام المستبدّين . وكان هؤلاء العلماء يعرفون جيّدا أنّ الطرق السلمية غير كافّية لانقاذ هؤلاء البؤساء الذين لا يعرفون شيئا عن الحرّيّة وقيمتها وكذلك عن حقوق الإنسان . إنّ أوّل شيئ فعلوه فورالوصول هنا الإرتكاز على توعية النّاس عن حقوقهم المهضومة وحرّيّتهم المسلوبة . ومن خلال محاولاتهم هذه العديدة نجحوا في اقناعهم . لأنّ

الثورات والحروب ضدّ المستعمرين هي الحلّ الوحيد لإيقاف ما يواجهونها من الإضطهادات والتعذيبات المختلفة.[١]

يحتوي هذا الكتاب على ثمانية من الفتاوى الهامّة في المسائل المختلفة التي يحتاج إليها المجتمع ولاسيّما المسلمين منهم في تلك الظروف المضطربة بدخول الإنجليزيين واحتلال أراضيهم واحتكار ما فيها من الموارد الطبيعية . لقد صنف هذا الكتاب بتضمين هذه الفتاوى الثمانية في شكل الأسئلة والأجوبة المناسبة لها . كانت هذه الأسئلة كلّها من الأمور التي تتعلّق بالأوضاع الرّاهنة وما ينبغي على المسلمين أن يفعلوا فيها . ومن خلال هذه الفتاوى كلّها كان يحثّ المسلمين على الانتقام من الإنجليزيين لاجلائهم إجلاء تامّا من أراضيهم المحتلّة . لقد أرسل المصنّف نسخها الخطية سرا إلى كافّة محلّات المسلمين فانتشرت في جميع أرجاء المنطقة طولا وعرضا . وقد بدأت هذه الكتيبات بما فيها من الفتاوى الحاسمة أن يزعج المستعمرين ويهدّد كيانهم في ربوع هذه الديار. عند ما أدركوا أن هذه الفتاوى هي الّتي تعمل وراء الإنتفاضات الجديدة من قبل المسلمين أمروا بمنعها منعا باتا وصادروها من أيدي المسلمين وأحرقوها بل عاقبوا جميع من يمتلكون نسخها ويتناقلون الفتاوى الواردة فيها .

طبعت هذه الكتيبة بعد أكثر من عشر سنوات في سنة ١٨٥٧م في مصر وذلك بعد ما نُفي الإنجليزيّون المصنّف السيّد فضل بوكويا تنغل إلى الجزيرة العربيّة . وقد

[١] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتميبتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي –ص-٢٨٠اد

وردت هذه الكتيبة بأكملها فصلا ثانيا في كتاب صنّفه باسم "عدّة الأمراء " [1] هناك رأيان مختلفان بين المؤرّخين حول مصنّف هذا الكتاب. يدّعي معظم المؤرّخين أن هذا من أهمّ مصنّفات السيّد علوي المنفرمي . ولكن بعض المؤرّخين يدحضون أقوالهم ويدّعون بأن هذا الكتاب من مصنّفات عالم قدير آخر هو السيّد عبد الله عبد البارى الّذي صنّفه لمناصرة السلطان عبد المجيد علي الجيوش الرّوسيين[2] ولكن الحقيقة التي توضّحها المصادر الموثوقة أنّ المصنّف الحقيقي هو السّيّد علوي المنفرمي . وقد أملى هذه الفتاوى المتعلّقة بالأوضاع الراهنة للسيّد عبد الله عبد الباري الذى جمعها ودوّنا في شكل الكتاب . وقد قدّم هذه الفتاوى كلّها في شكل أجوبة للأسئلة الموجهة من قبله .

أمّا مضمون الفتاوى الواردة في هذه الكتيبة في شكل الأجوبة فيركّز على توضيح المواقف التي ينبغي على المسلمين أن يتخذوها تجاه المستعمرين الأفرنجيين . يناقش معظم هذه الفتاوى المسائل الفقهيّة التي تتعلّق بطريقة التعامل مع الآخرين ولاسيّما مع المشركين وكذلك حكم إقامة المسلمين داخل الأراضي المحتلّة من قبل المستعمرين المسيحيين واليهوديين . وكذلك يناقش كثيرا عن بعض القضايا العريبة التي لم توضّح إلّا بقدر بسيط في الكتب الفقهيّة المعروفة .

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن المصنّف السيد علوي المنفرمي كان متعمّقا في العلوم القرآنيّة والأحاديث النبويّة الشريفة . ولو لا هذا التعمق في مثل هذه

[1] السيّد فضل بن امام الغوث علوي – عدّة الأمراء والحكّام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام –مصر -١٨٥٦
[2] الدكتور حسين رندتّاني – مابلا ملبار –اسلامك ببلشنغ بورى – كاليكوت -٢٠٠٥م

العلوم الدينية لما كان يستطيع أن يضمن قدرا كبيرا من الآيات القرآنية المناسبة والأحاديث الشريفة من صحاح الستّة وغيرها من كتب الحديث للإستدلال على ما يوضّحها من خلال هذه الفتاوى الستة .

أمّا أسلوب هذه الكتيبة فيتميّز بما فيها من المواقف الصارمة نحو الإنجليزيين الذين وصلوا هنا بالأغراض التجاريّة ثمّ تحوّلوا إلى الحكام المستبدّين باحتلال الأراضي كلّها والسيطرة على ممتلكات المواطنين في شكل تام . أنّ بعض الكلمات والتراكيب المستعملة في هذه الفتاوى منذ البداية حتى نهايتها كلّها تدل على ما في داخله من الحب الخالص للوطن والمواطنين والغيظ الشديد للأعداء المستعمرين بل أن بعض الألفاظ المستعملة فيها أحدّ من الأسلحة الحادة .

إنّ الفتوى الأولى في هذه الكتيبة هي التي وردت جوابا للسؤال عن مسلم ينتقل الإقامة إلى دولة المسلمين التي استولى عليها المستعمرون المسيحيّون هل يتمّ إيمانه إذا ما يستقرّ فيها راضيا رضاء تاما بما فيها من القوانين والأنظمة المتّبعة؟ [1] جوابا لهذا السؤال بين في هذه الفتوى إنّ هذه الديار ولو استولى عليها الأعداء هي ديار المسلمين وعلى المسلمين أن يكافحوا كفاحا شديدا لاسترادها من قبضة الأعداء . أما عن الذين ينتقلون إليها من المسلمين للإقامة فيها ويبذلون جهودهم لتنميتها مذعنين للقوانين والأنظمة المتبعة فيها فهم في منزلة المشركين يقترفون ذنوبا ويستحقون عقابا شديدا .[2]

[1] سيّد فضل بن امام الغوث علوي – عدّة الأمراء والحكّام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام –مصر -١٨٥٦
[2] المرجع السابق –صفحة – ٢٥-٢٩

أمّا الفتوى الثانية فهي الجواب للسؤال عن بعض المسلمين الّذين ، ولو يسكنون في الولة الإسلامية ، يدعون بكلّ الفخر الشديد بأنّهم من رعايا للحكّام المسيحيين ويتّخذون شعاراتهم الدينية . هل إيمان هؤلاء المسلمين متم أم لا؟[1] جوابا لهذا السّؤال يوضّح قائلا : إنّ الذي يفعل هكذا ويتبع خطوات المسيحيين ويتّخذ شعاراتهم الدينيّة بكلّ الوعي التام هو خارج من الإسلام ويعتبر من المرتدين . أما الذي يفعل هكذا لآجل الجهالة فمن واجب المسلمين الآخرين القيام بتوضيح الحقائق له وإفهامه عن مدى ضرر تلك النظريات والأعمال الفاسدة .[2]

وفي الفتوى الثالثة توضّح حكم من يشيّد بحكم الحكّام الغير المسلمين ويصفهم بأنّهم أصحاب العدالة والمساواة ويحتقر مع هذا الحكّام المسلمين ويهملهم كلّ الإهمال.[3] أما الجواب الذي يقدّمه في هذا الشأن فهو إذا ما يمدحه على أساس ما به من الكفر والجحود والأعمال الفاسدة التي تخالف التعاليم السماويّة فهو من الكافرين والمرتدين . إذا ما يمدحه على أساس ما به من الجهود المبذولة لاقامة العدل والمساواة بين شتّى الطبقات في المجتمع فأولئك المداحون من الظالمين الذين يرتكبون الأخطاء الجسيمة . وقد أورد المصنّف في هذه الفتوى العديد من أقوال النبي (صلعم) للدلالة على صحة ما أفتى به في هذا الصدد . وفي نهاية هذه الفتوى

[1] -المرجع السابق صفحة ٢٩
[2] المرجع السابق صفحة - ٢٩ -٣١
[3] المرجع السابق –صفحة - ٣١

يدعي بالشواهد والأدلّة الكافية بأن السلطان عبد المجيد من الحكّام العادلين الذين لا يخافون في الله لومة لائم من اللوّام .[١]

ثم يلتفت بنا المصنّف الى الفتوى الرابعة حيث يجيب للسؤال حول جواز سلب المواد التجارية التي تُنقل إلى دولة مسيحية للأغراض التجاريّة . وكذلك يوضّح في هذه الفتوى حكم من يقتل خلال الإشتباكات التي تحدث في ذلك الوقت [٢]. قبل الإجابة لهذا السؤال يقوم بتقسيم الدول المسيحيّة إلى طائفتين . طائفة تمثّلها دول مسيحيّة منذ القدم والأخرى دول مسيحيّة اغتصبها المسيحيّون قهرا من المسلمين وأقاموا دولتهم ظلما فيها . أما الأولى فيجوز للمسلمين إقامة العلاقات التجاريّة معها. وأن المسلمين الذين يعترضون طريق القوافل إليها سوف يلامون وقتلتهم سوف يقتلون جزاء لما ارتكبوها . أمّا الذي يتجه إلى الثانية بالمراد التجارية فيجوز منعه واعتراض طريقه حتى يرجع إلى الوراء . فلا يجوز للمسلمين قتله أو إعتصاب ما يحمله من البضائع التجارية [٣].

أما السؤال الخامس فعن الرعيّة المسلمين الذين يضطرّون لأن يعشوا في الأراضي التي يستولى عليها الحكّام المسيحيون . هل المطلوب منهم أن يهاجروا منها فرارا من المظالم أو البقاء فيها مطيعين أوامرهم وراضين بالقوانين والأنظمة التي يطبقونها عليهم ؟[٤] يجيب لهذه الأسئلة في شكل الفتاوى مرتكزا على نقاط أربعة: الأولى أنه سوف يرى التفاوت في شدة الذنوب على قدر ما يُرى من التفاوت في حبّه للكافرين

[١] المرجع السابق –صفحة ٣١-٣٣
[٢] المرجع السابق –صفحة -٣٣-٣٤
[٣] موين هدوي مليّم، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي –ص-١٢٨٠
[٤] سيّد فضل بن امام الغوث علوي – عدّة الأمراء والحكّام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام –مصر١٨٥٦م -

وكرهه لهم وكذلك في اطاعة قوانينهم ومراعاة أنظمتهم . النقطة الثانية أن الذي يطيع أوامر الكفّار بدون أيما إكراه من قبلهم يعصي أوامر الله . والنقطة الثالثة التى يرتكز عليها هي أن الذي يطيع أوامرهم بكلّ الكره الشديد في الظروف المضطرّة ليس من المخطئين . أمّا النقطة الأخيرة فهي أن الذي يستطيع الهجرة إذا ما يطيع أوامرهم حتى في الظروف المضطرّة يكون من المخطئين .[1]

وفي الفتوى السادسة يصدر حكمه في أمر شخصين الذين أوقعتهما الظروف السياسية في إرتباك شديد . سُنحت لهذين الشخصين المظلومين داخل دولة غير اسلامية فرصة للهجرة إلى دولتين : إسلاميّة وغير إسلاميّة . أما الهجرة إلى الأولى والإستقرار فيها فتؤمن لهما إيمانهما وتكلف عليهما خسائر مادية جسمية . والهجرة إلى الثانية والإستقرار فيها تؤمن لهما حياة مترفة ومريحة وتضر بما لديهما من الإعتقادات الدينية . وقد أولى واحد منهما الأفضلية للدولة الإسلامية فيهاجر اليها بكلّ الإستعداد التام للتعرض للخسائر الماليّة . أما الثاني فيهاجر إلى دولة الكفّار مهملا إعتقاداته الدينية . فما الحكم الديني في هذين الرجلين ؟ هل يمكن اعتبار الثاني منهما منافقا ؟[2] جوابا لهذه الأسئلة يصدر فتواه مقتبسا الآي الكريمة : " من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نُريد ثمّ جعلنا له جهنّم يصلاها مذموما مّدحورا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيَها وهو مؤمنٌ فألئك كان سعيهُم مَشكورا ".(سورة الإسراء-١٨-١٩) ويوضّح أن الله تعالى يعلم هو وحده خائنة

[1] المرجع السابق –صفحة ٣٥-٣٦

[2] سيّد فضل بن امام الغوث علوي – عدّة الأمراء والحكّام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام –مصر ١٨٥٦ -

القلوب وما فيها الإيمان، أما بالنسبة إلى وصف هؤلاء الناس بالنفاق فلا بأس لو يقصد بهذا ايجاد بعض التغييرات في تصرّفاته ، وأن كانت هذه التسمية لإحتقاره ولحط شأنه امام الناس فهي حرام .[١]

أما الفتوى السابعة فهي الجواب للسؤال عن تقديم جنازة من جنازتين للصلاة . الجنازة الأولى جنازة مسلم من دولة مسيحية والثانية من دولة إسلامية. اجابة لهذا السؤال يوضّح أنه من المستحب أن تقدم جنازة المسلم من دولة إسلامية للصلاة على الآخر . وأن كان من المضطرّين للإقامة في دولة مسيحيّة فالأفضل اعتبارهما أسوياء وتؤخذ جنازتهما معا للصّلاة [٢].

أما الفتوى الأخيرة وهي الثامنة فتدور حول مسألة الخلاف الذى ينشب بين مسلمين : واحد من دولة إسلامية وآخر من دولة مسيحيّة . الأوّل يطلب الحل لبعض المشاكل بينهما على أساس الشريعة الإسلامية ، والثانى يطلبه على أساس الأنظمة والقوانين المسيحية . أما السؤال في هذا الصدد فهو هل يمكن إعتبار هذا الثاني من المرتدين أو تاركي الإسلام ؟[٣] جوابا لهذا السؤال يصدر فتواه ويقول لو كان هذا الثاني يطلب هكذا إعجابا بالأنظمة والقوانين المسيحية واحتقارا من الشريعة الإسلامية لكان من طائفة من الكافرين والمرتدين . لو كان يطلب هكذا بدون أي قصد معيّن لكان من الضالين الذين يعاقبون على قدر ما إبتعدوا عن الحق.[٤]

ينتهي المصنّف من هذه الكتيبة معبّرا عما في داخله من القناعة الكبيرة في اظهار

[١] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي –ص-٢٨٢
[٢] المرجع السابق –صفحة ٢٨٢
[٣] المرجع السابق –صفحة ٢٨٣
[٤] المرجع السابق –صفحة -٢٨٣

الحق والباطل ويحمد الله قائلا أنّه قام بتأدية واجباته تجاه المجتمع خير قيام ، وقد آضاف قائلا أنّه رأى النّبي (صلعم) في المنام ليلة الفراغ من تصنيف هذه الكتيبة وكذلك وقد تبيّن له من هذا الأمر أن جميع الأسئلة وما تبعتها من الأجوبة في شكل الفتاوى كلّها مقبولة لدى الخالق وجميع المخلوقين[1].

***

[1] السيّد فضل بن امام الغوث علوي – عدّة الأمراء والحكّام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام –مصر ١٨٥٦ص-٤٠ -

الفصل الثانى

فضل بوكويا تنغّل و الثورات الشعبية ضدّ الإنجليزيين .

السيّد فضل فوكويا تنغال(١٨٢٣ – ١٩٠١م)

تشكّل حياة السيّد فضل فوكويا تنغل فصلا جدبدا في تاريخ المقاومة ضدّ الإحتلال الأجنبي في الأراضي المليبارية. وقد كان للسيّد فضل فوكويا تنغال و والده السيّد علوي المنفرمي السيادة في حركة المقاومة في القرن التاسع عشر الميلادي ، ولد السيد فضل فوكويا تنغال سنة ١٢٤٠هـ . كان والدته فاطمة بيوي بنت أبوبكر مدني من منطقة كويلاندي ، وقد نشأ وترعرع تحت حماية والده في الأجواء الدينية المحضة. بعد ما تلقى الدروس الأوّلية تلمذ لكبار العلماء في تلك الأيّام ، وأتقن اتقانا تامّا في العلوم المختلفة مثلما برع في علوم القرآن والحديث والفقه والتصوّف والأدب العربي ، وقد أعجبته طريقة والده السيد علوي المنفرمي الذي كان متضلعا في جميع العلوم الدينية بالإضافة إلى تدخله في شتى ميادين الحياة الإجتماعيّة وبدأ أن يحذو حذوه في كافة خطواته الى الأمام .

كان مع كونه عالما كبيرا في العلوم الدّينية وماهرا في اللّغة العربية وآدابها ، لا يترك ولو مجالا واحدا من شتى مجالات الحياة الإجتماعية الاّ أن يتدخل فيها ويحاول لإيجاد حل معقول مناسب لها . كثيرا ما كان الناس من شتى الأجناس والأديان يلتجؤون اليه بكل ثقة تامة للتحكيم في القضايا المختلفة بينهم . ومع هذا كان

غيورا على مصلحة المسلمين وتقدمهم في شتى مجالات الحياة. كان مستعدا لتضحية كل ما لديه في منفعه الأمّة وكذلك للقيام حتى بالأعمال الشاقة لتأمين الحياة الكريمة لهم.

كان السيد فضل فوكويا تنغال هو الذى قام بتشييد الجامع الكبير في منفرم . وكذالك هو الذي بدأ صلاة الجمعة في هذا المسجد ، وكان من عادته القاء خطبة الجمعة في اللغة العربية ، وكان يعالج فيها الموضوعات التي تهمهم ولاسيما في تلك الظروف الإجتماعية والسياسية . كانت هذه الخطبات كافية كل الكفاية لتثقيف العامّة من النّاس اجتماعيّا وسياسيّا ودينيا .

كان السّيّد فضل فوكويا تنغال ابن عشرين سنة عندما يفارقه والده السيّد علوي المنفرمي الحياة الدنيويّة . وقد اضطرّ ليتولّى المنصب الذي كان يحتلّه والده حتى آخر أنفاس حياته . وقد بدأ أن يقوم بتأدية واجباته أحسن قيام . وكان أشد من والده في المواقف تجاه الإنجليزيين . وكان من أهمّ أمنيّاته طرد القوي الأجنبيّة التي تحاول الإستعمار على أراضيهم الخصبة ومصادرة ممتلكاتهم الغالية وكذلك السيطرة عليهم ثقافيا وسياسيا . وقد أبقته المناصب التي استمدها من والده الغيور على حرية الوطن ومواقفه المتشددة نحو الإنجليزيين في مسار الكفاح ضد الإستعمار والمستعمرين وجعلته داعيا قويا لن يتهاون ولو بشكل بسيط في شؤون الوطن وحرّيته المفقودة .[1]

[1] موين هدوي مليّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –أتميتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي –ص-٧٩

عاش السيد فضل فوكويا تنغال في الأيّام التي كان الإنجليزيون يتحالفون مع ملاك الأرض. ويهيجون الفتن والثورات في شتى أنحاء المنطقة . دائما كان يشجّع أتباعه المسلمين على أن يعيشوا متمسكين أشد تمسك بالتعاليم الدينية . وقد جعلته أخلاقه الكريمة ومعاملاته الحسنة محبوبا لدى الجميع بدون الفرق بين الأديان المختلفة .

لقد أجبرت موافقه الصارمة ونشاطاته المختلفة لصالح الوطن والمواطنين الحكام الإنجليزيين لأن ينظروا اليه بكل ريبة شديدة ويعتبروه من أخطر أعدائهم . ان انتشار نفوده بين كافة الناس الذين ينتمون الى الأديان المختلفة أوغر صدور الإنجليزيين مثلما أثار تقدّمه في جميع مجالات الحياة غيظهم . وقد حاولوا لتقليل نفوده بين الناس والقضاء على ما حازها من الشهرة في كافة أنحاء جنوب الهند . وكانوا يعرفون جيّدا ان الإنتقامات من جهتهم في شكل التهديدات والعقابات لا تساعد الاّ لإضرام ما في داخل الناس من الغيظ الشديد نحو المستعمرين . فاتّخذوا وسائل أخرى للسيطرة عليه مثل الوعود الخلابة والجوائز المغرية والمناصب المرتفعة . ولكن ما كان مستعدا للإذعان أمام أوامر الإنجليزيين ولا لتضحية مبادئه واعتقاداته لمجرد الحصول على المنافع الدنيوية ، بل قام بتقديم حياته بأكملها لصالح المجتمع والإسلام والأمّة المسلمة .

الإصلاحات الإجتماعية

كان السيد فضل فوكويا تنغل من أشد الناس كرها للظلم والأعمال السيّئة . دائما كان يرى في مقدمة المعارضين للظلم والمناضلين على الظالمين والمعتدين ولاسيّما على الضعفاء والفقراء اللذين ينتمون الى الطبقات السفلى . وكان وراء معظم الإضرابات ضدّ الأغنياء الذين يمتلكون كافة الأراضي الزراعية ويضطهدون المزارعين الفقراء من المسلمين والمنبوذين باستغلالهم أيما استغلال . وقد أمكن له توحيد صفوف هؤلاء المضطهدين حتى اتّخذوه قائدا لهم لمتابعة خطواتهم الى الأمام في سبيل الكفاح ضدّ الظلم والإضطهاد . وكان لتدخله في شؤون الفلّاحين المستضعفين ومحاولاته الجادة لتخفيف آلامهم وصعوباتهم تأثير كبير في ذلك المجتمع الّذي اتسم بالتعايش السلمى بين الأديان والطبقات المختلفة ، وكان من أبرز تأثيره كثرة اقدام المستضعفين ولاسيّما من طبقة المنبوذين الذين يعانون من أشد أنواع التفرقة الجنسية والعرقية من قبل الطبقات العليى الى الإسلام أفواجا أفواجا. وقد اتّخذ وسائل مختلفة لتوعية المسلمين وكذلك لتثقيف الجدد منهم دينيا وأصدر عدة قرارات للترقية بمستوى حياة هؤلاء المسلمين الجدد الّذين وجدوا ملاذهم الأخير في ظلال الإسلام الوارفة .[١] كانت هذه القرارات كافية لتأمين حياة كريمة تتسم بالعدل والمساواة لهم .

[١] الدكتور حسين رندتّاني – مابلا ملبار –اسلامك ببلشنغ بورى – كاليكوت -٢٠٠٥م -صفحة٦١

أحدثت هذه التغييرات التي جاء بها السيّد فضل فوكويا تنغال في ذلك المجتمع ضجة كبرى في الأوساط الإجتماعية سببت لتغيّير جذري في البنية التحتية للحياة. كانت النشاطات المختلفة بما فيها الكفاحات ضد الحكام المستعمرين التي يقوم بها السيّد فضل فوكويا تنغال للدّفاع عن الوطن وحرّيته والاعتقادات الدينية مزعجة للحكّام الإنجليزيين . هذا كلّها بالإضافة الى ما كان له من النفود الكبير الذي يزداد ويتسع يوما فيوما بين السكان المحلّيين . وقد أدركوا خطرا هائلا يهدّد كيانهم في الأراضى المليبارية . وكان مثلما يذكر المؤرّخ الدكتور سي كى كريم ، ينتهز كافة الفرص التي تتاح له لتوعية الناس واثارتهم ضدّ الحكام المستعمرين وملاك الأرض الذين يقدّمون لهم كافة التأييدات لتنفيد ما لديهم من الأغراض التجارية والسياسية . ومن أهم هذه الفرص أيّام الجمعة التي يلقى فيها الخطبات المفروضة في الجامع الكبير بترورنغادي . وكان يعالج في هذه الخطبات القضايا الإجتماعية الهامة التي تمس حياتهم الإجتماعية مثل قضية الاستعمار والمستعمرين وقضية ملاك الأرض والمزارعين المستضعفين وقضية المنبوذين ومن ينتمي الى الطبقات السفلى في المجتمع . خلال هذه الخطبات كان يذكرهم بأهمية التعايش السلمي بين المسلمين والهندوكيين والأجناس المختلفة مثلما يحثهم على القيام معا متعاضدين ومتكاتفين بكل ما هو المطلوب لإزالة الظلم والفساد واقامة العدل والمساواة في المجتمع . موضحا أعمال الإنجليزيين الفضيحة في الديار المليبارية كان يشجعهم على القيام بكل ما هو المطلوب لاجلاء هؤلاء الأعداء الألداء وتسفيرهم الى حيث ما

أتوا. وكذلك كان يطلب منهم بكل شدة للإعتداءات على ملاك الأرض الذين يضطهدون المزارعين معظمهم من المسلمين ومن ينتمي الى الطبقات السفلى بالإشتراك مع الإنجليزيين .

وبالإضافة الى الخطبات في أيّام الجمعة كان ينتهز جميع الفرص أمامه لمخاطبة كافة الناس ولاسيّما الهندوكيين . وكذلك كان ينشر أفكاره الحارة بين الناس في الصورة الخطية . وقد قام بإعداد كتيبة باسم "عدّة الأمراء" وأرسل نسخها الى المحلات الهامة في كيرلا جنوبا وشمالا . كانت هذه الكتيبة كافية كل الكفاية لإخراج الأمراء والعامة من الناس على المستعمرين الإنجليزيين [1].وقد أدرك السيّد فضل فوكويا تنغال الأخطار الكامنة في الإشتباكات بين ملّاك الأرض والمزارعين الفقراء . هذه التطوّرات كانت مؤلمة للمسلمين والهندوكيين ومذيبة لأكبادهم . فقد حاول لتوحيد صفوفهم وتوجيه قواهم كلّها ضد المستعمرين الإنجليزيين.

أمّا الحكّام الإنجليزيين فكانوا يلازمونه و يراقبون كافة حركاته منذ أن كان يعيش في منفرام يقودهم الى الأمام كقائدهم الرّوحي . وفي تلك الأيّام وصل واحد من قرية تريكالور (Thrikkalur)باسم كوتي حسن في منفرم لزيارة مقبرة السيّد علوي المنفرمي . وفي صباح اليوم التالى رجع الى موطنه حاملا معه سيفا منقوشا عليه اسم السيّد فضل فوكويا تنغل . أمّا السيد فضل فما كان يعرف شيئا عن هذا الأمر . بعد وصوله في القرية بقليل جرت اشتباكات بين الإنجليزيين والمسلمين

[1] الدكتور حسين رندتّاني – مابلا ملبار –اسلامك ببلشنغ بورى – كاليكوت -٢٠٠٥م -صفحة - ٦١

واستشهد فيها كتّي حسن المذكور . وقد قام الإنجليزيون بمصادرة جميع الأشياء التي تركها المحاربون المسلمون في ميدان القتال بما فيها السيف المذكور . وباستدلال هذا السيف اتهموه بالتدخل المباشر في كافة الثورات والإشتباكات . وقد اتّصلوا بكبار المسؤوليين في مليبار وطلبوا منهم للتحقيق في هذا الأمر . بناء على هذا أسرع "كنولى" مدير مقاطعة مليبار وقتذاك الى منفرم حيث التقى شيخصيا بالسيد فضل فوكويا تنغال للإستفسار عن حقيقة الأمر . اما تنغل فقد رفض رفضا قاطعا ايّما تدخّل في هذه القضية .[1]

فقد رجع السيد كنولى حيث أتى وأعد تقريرا مفصلا يبين فيه ان السيد فضل تنغل هو الذى وراء جميع الثورات والإشتباكات التي تجري ضدّ الإنجليزيين طولا وعرضا في منطقة مليبار . بناء على هذا التقرير الرسمي أصدرت الحكومة الإنجليزية في اليوم الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٨٥٧م قرارا بتسفير السيد فضل فوكويا تنغال الى دولة أجنبية . وقد انتشرت الأخبار عن خطة الإنجليزيين في كافة أنحاء المنطقة وبدأ الناس أن يخرجوا بهتافات ضدهم . ولكن السيّد فضل تنغال الذي كان دائما يحب الخير للمسلمين وغيرهم لم يرد مواجهة الأعداء الإنجليزيين وإيقاع من ورائه من الأصحاب في التهلكة .

[1] موين هدوي مليمّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتميبيتا- بورائّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي-٨٢صفحة-٨٣

السّفر الى الخارج

لم يخبر السيد فضل فوكويا تنغل أحدا عن تسفيره الى الخارج الاّ أقرب الأقرباء . وقد أفهمهم جيّدا عن الظروف الراهنة التي استوجبت تلك الهجرة . ثم قام بتوكل زوج الأخت السيّد علوي جفري لإجراء الأمور التي تتعلّق بما يمتلكه من الأراضي الزراعيّة في منفرام مثلما عيّن واحدا من أقربائه السيد محمد على مولى الدويلة ليؤذن في المسجد الجامع الذي بناه في منفرام وكذلك لإلقاء الخطبة في أيّام الجمعة ويؤم للنّاس في الصلاة جميع الأوقات .

وفي نفس تلك اللّيلة تأهب للمغادرة الى الجزيرة العربية مع طائفة تضم ٥٧ من أقربائه الأقربين . وكان فيها ابناه وشقيقته فاطمة بيوي مع زوجها وأبنائها وحراسه الشخصية بالإضافة الى الخدامين . وقد اتّجهوا الى بربّننغادي (Parappanangadi) حيث باتوا في منزل غنيّ معروف بالسماحة والجود باسم "كويا كوجي نها" (Koya Kunchi Naha). صباح اليوم التالي أقلّهم قارب صغير له الى سفينة عربيّة مرساة بعيدة عن الشاطئ وركبوها قاصدين الجزيرة العربية سنة ١٨٥٢م .[١]

وقد أحدثت هذه الهجرة فراغا كبيرا في الأجواء الإجتماعيّة في مليبار. حتى لحطة خروجه الى العربية كان هو الذي يقود الناس برمتهم الى الأمام بدون الفرق بين الأديان والأجناس المختلفة . وكانت أقواله هي الأخيرة في جميع الأمور التي تتعلق

[١] ك.ك. محمّد عبد الكريم ، س.ن أحمد مولوي – مهتّاي مابلا ساهتي بارمبريم – آساد بكس ستال –كاليكوت –صفحة ١٧٢-١٩٧٨--

بهم . كانت قيادته السديدة تجعلهم يعيشون بدون الغلوّ والتطرف في القضايا المختلفة التي يواجهونها . اما بعد مغادرته الى العربية فما كان لهم قائد سياسي يقودهم الى الأمام . وقد اشتدت الأجواء السياسية سوء وبدأ الناس يتخبطون في الظلام بدون الأهداف الموجهة . اما المسلمون الذين لا يجدون قائدا لهم ولا مرشدا فبدؤوا يخرجون على الإنجليزيين في شكل غير منظّم . وقد أضرموا نيران العداوة على الإنجليزيين وقد نشبت الإشتباكات في أماكن عديدة اسفرت عن خسائر ضخمة مادية لهم وروحية . وقد اعتدوا على الأعداء كأنّما هم يتعطشون للإنتقام منهم . ولم يطفأ غليلهم الا باغتيال مدير المقاطعة السيد كونولي الذي أمر بتهجير السيد فضل فوكويا تنغال .

أما السيد فضل فوكويا تنغل فقد وصل مع صحبه في حضر موت حيث أقام معهم فترة قليلة يتنقل بينها وبين مسقط عاصمة سلطة عمان اليوم . خلال هذه الأيّام أيضا كان مستغرقا في الدعوة والأعمال التي تزعج الإنجليزيين وتضر بهم . وقد ذكر في كتاب " أنوار النبوية وآثار الأحمدية " بكل التفصيل عنه وعن الإصلاحات المختلفة التى قام بها في المجتمع .

آثاره الأدبيّة

كان السيّد فضل فوكويا تنغال كاتبا كبيرا في اللّغة العربية . وقد أثرى اللّغة العربية وآدابها بعدد غير قليل من المصنّفات معظمهما كانت في الموضوعات التي تتعلّق بالمؤمنين ومواقفهم نحو العبودية والإستعمار والمستعمرين . أكثر هذه الكتب كانت

مشهورة داخل الهند وخارجها . وكان من أهم هذه المصنّفات : حلل الإحسان في تزيين الإنسان واساس الإسلام في بيان الأحكام وبوارق الفطانة لتقوية البطانة ورسالة المسلم العابر لإذراك الغابرو اسعاف الشفيق في بيع الرقيق والطريقة الحنيفية ٧ عدّة الأمراء والحكام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام و كواكب الدرر ورسالة في التصوّف والقول المختار.

كان السيد فضل فوكويا تنغال مشهورا عالميا بفتاواه العديدة . وكان يصدر فتاواه في الأمور التي تمس حياة الإنسان الإجتماعية بكل أبعادها . كان لا يترك ولو قضية واحدة تمس حياة الإتسان الاّ ويصدر فيها فتاواه الدينية . كان الناس يتواقدوا عليه يستفتونه في المسائل المختلفة التي تتعلّق بهم .

وفاته

توفي السيد فضل تنغال بالقسطنطينية في تركيا عام ١٩٠١م في السنة ٧٨من عمره . عند انتشار خبر فراقه الحياة الدنيوية عم الحزن في العالم الإسلامي بأكمله . وقد دفن جثمانه بمقربة من ضريع السلطان محمود خان في مقبرة مخصصة للسلاطين التركيين .

عدّة الأمراء

عدّة الأمراء كتاب من أهمّ الكتب التي صنّفها العالم الكبير السّيد فضل بوكويا تنغل بن السيد علوي المنفرمي الذي قام بتضحية كافّة حياته في سبيل الدفاع عن الوطن ومحاربة المستعمرين الأجانب الذين يحاولون لإحتلال الأراضي الهنديّة

والسيطرة على مواردها الطبيعيّة . وقد كان لبعض الثورات المحلّيّة ضدّالمستعمرين مثل ثورة "منجيري" وثورة "كلتّور" تأثير كبير في تأليف هذا الكتاب . وقد طبع هذا الكتاب في أوّل مرّة في مصر سنة ١٨٥٠م بتسعة فصول في ١٦٨ صحفة بالإضافة إلى كلمة الناشر والمقدّمة . هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها في حين وآخر لتوعية النّاس ولاسيّما المسلمين ولتثقيفهم سياسيا في تلك الأجواء المضطربة من دخول الأجانب وتدخّلهم الكبير في شؤون الوطن السّياسية . وقد ذاع صيت هذا الكتاب عالميّا لكونه الأوّل من نوعه في معالجة القضايا الاستعماريّة . وفي تأليف هذا الكتاب حذا حذو والده السيد علوي المنفرمي في اعلاء المبادئ التي تركّز على الدفاع عن الوطن والاعتقادات الدّينية والعداوة الشديدة للمستعمرين الإنجليزيين . وقد نهج في هذاالكتاب منهج والده في كتاب " السيف البتار " .

وقد كان لهذا الكتاب دور كبير في اجلاء الكاتب من الهند. أحدث مضمون الكتاب الذي أتمّ معظمه قبل الإجلاء ضجّة كبرى في الأوساط السياسيّة . سبّب هذا الكتاب لنشوب عدّة ثورات في منطقة مليبار ولاسيّما ثورة "متّنّور وثورة "كلتّور. . ولاشتعال نيران العداوة ضدّ الاستعمار والمستعمرين. عندما اشتهر هذا الكتاب فاشتدّ ثأر السّكان المحلّيين إضطرّ الحكّام الإنجليزيّون لمصادرته ومنعه منعا باتا حتّى قبل إتمامه من قبل المؤلّف .

وقد بدأ تدوين هذا الكتاب بادراج شيئ غير يسير من كتاب "الدّعوة التامّة والتذكرة الامّة "لصاحبه الصوفي الشّهير والعالم القدير السيد عبد الله بن علوي بن حدّاد. يتحدّث في المقدّمة عن وجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وأهمية تقديم النصائح القيّمة والإرشادات السديدة للعامة من النّاس وكذلك لزوم أوامر الله التعالى وطاعته في جميع الأحيان . بعد الكتابة عن المسائل الأخرى الهامة التي يحتاج إليها الأمّة ينتقل بالقرّاء إلى الجوانب الأخرى من حياة الإنسان فيتحدّث كثيرا عن فضل العلم وطلبه ومسؤوليّات العلماء المسؤولين عن العامة من النّاس.[1]

موضّحا مسؤوليّات العلماء يقول: على العلماء أن يبذلوا غاية جهودهم لتوعية النّاس ويهديهم إلى الحقّ والصواب وابعادهم عن الذنوب والمعاصي ،عليهم أن يقوموا بتأدية واجباتهم أحسن قيام . أمّا الذين يقصّرون في واجباتهم هذه فيحذّرهم قائلا: إنّهم سيتلقّون عذابا شديدا . يذكّر هنا العلماء لأن يستيقظوا دائما بكلّ حذر شديد في مجتمع يتّسم بالجهالة و ساد فيه الفوضى والفساد . ويحذّرهم إيّاهم بما يسوء العاقبة .

وقد قام بتبويب هذا الكتاب إلى تسعة فصول . ويناقش في كلّ فصل قضايا مستقلّة تتعلّق بالبيئة التى يعيشون فيها .

[1] موين هدوي مليّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –آتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي-٨٢صفحة-٢٨٦

أمّا الفصل الأوّل فبعنوان "نبذة تتعلّق بتذكرة الأمراء وتبصرة الوزراء "[1] بعد ما بالغ في مدح النّبي (صلعم) وذكر أوصافه ومناقبه المتعدّدة يقول :يجب على المسلمين أن يطيعوا أوامر الأمراء والعلماء . فإنّ الإطاعة سوف تقوّي المسلمين ووحدتهم وكذلك إنّ عصيانهم سوف يؤدّى إلى هدم بنيان المجتمع . إنّ الحالة التي يطاع فيها الأمراء والعلماء سوف تؤمّن الأمن والطمأنينة في المجتمع . وبالتالي سوف يزول الظلم ويعم العدل في الأرض . مشيرا إلى الحكم العادل الذي يتّسم بالمساواة يذكر شيئا من أقوال النبي(صلعم) ويقول :"ثلاثة لا تردّ دعوتهم .الإمام العادل والصّائم حين يفطر ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتّح لها أبواب السّماء ويقول الرّبّ عزّوجلّ ..... (رواه الترمذي) .

يقول إنّ الملك العادل يحبّه رعيّته، أمّا الملك الظالم سوف يكرهه الرعيّة كلّهم . إنّ عدل الملك يجلب السّعادة وظلمه يجلب الشقاوة . إنّ الملك الذي يكره العدل ويقصّر في تطبيقه بين النّاس سوف يتعرض لغضب الله وسقط النّاس أجمعين . مشيرا إلى أهمّية العدل يذكر هنا جواب بعض الحكماء عندما سئلهم الملك "إسكندر" : أيّهما أفضل – العدل أوالشجاعة؟ فأجاب : لا كيان للشجاعة عندما يكون فيه العدل .

[1] السيّد فضل بن امام الغوث علوي – عدّة الأمراء والحكّام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام –مصر١٨٥٦ص- ٢٠

أمّا الفصل الثانى فهو عبارة عن الفتاوى الثمانية التي أصدرها والده السيد علوى المنفرمي في شكل الأسئلة والأجوبة . وقد ضمّه فصلا مستقلا في هذا الكتاب نظرا لأهمّيته في تلك الظروف الراهنة.

أما الفصل الثالث بعنوان "تنبيه الغافلين" فيصدر فيه إنذار ا واضحا لمن يتّخذ الأعداء من المشركين والمنافقين راعيا لهم وإقامة الصداقة الودّيّة معهم وكذلك نداءا واضحا للخروج على الأعداء الذين يحاولون للإعتداء على دينهم ووطنهم ثمّ موضّحا ثواب من يطيع أوامر الأمراء وعقاب من يعصيها يدخل مباشرا إلى تقديم النّصائح والإرشادات ويستدلّها بالكثير من الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة . من خلال صفحة هذا الفصل يعدّد فضائل القتال ومزاياها و يشجّع النّاس بل المسلمين منهم خاصّة على قتال أعدائهم الألدّاء الذين هدموا معابدهم وهتكوا حرمتها وحرمة نسائهم ونهبوا أموالهم وسبّبوا خسائر ضخمة لأرواحهم وممتلكاتهم .[1]

أمّا الفصل التالى فيجيئ بعنوان "الدّرر المنظوم لذوي العقل والفهم" نراه يحاول لتقديم القرّاء صورة واضحة لدولة مثاليّة يحلمها ، أوّلا يناقش مزايا تلك الدولة المثالية وفضائلها المتعدّدة . يتحدّث فيها عن الراعي والرّعيّة والصفات التي يجب عليهم أن يتصفوا بها . وكذلك يشير إشارة واضحة إلى ما ساد في هذه المملكة من العدل والمساواة والأمن والطمأنينة وما ماثلها من المزايا الأخرى التى يجب أن تتحلّى بها دولة مثالية . هنا نراه يقوم بالمقارنة بين دولة هكذا مثاليّة ودولة خياليّة التي

[1] المرجع السابق –ص- ٢٢

لن تستوفي هذه المزايا المذكورة .ثمّ يرسم صورة لملك مثالي دائما يتفكّر في مصلحة الناس وتطوّر مملكته في المجالات المختلفة . في رأيه إنّ هذا الملك دائما يسهر لمصلحة الرعيّة وإسعادهم في كافّة ميادين الحياة وسوف يركّز اهتمامه على إقامة العدل في الدولة . إنّ هذا الملك سوف يكون محبوبا لدى كافة النّاس. أمّا الذي يهمل سعادة النّاس ويسبّب الظلم في الدولة سوف يعاتب شديدا فيلام من قبل جميع النّاس .وبالتالي سوف تؤدّي إلى إضمحلال الدّولة وسقوطها سقوطا تامّا. ثمّ يتحدّث بكلّ طلاقة عن الدولة ونظامها وأمنها وإستقرارها ويقول على كلّ فرد واحد ان يخرج نفسه للدّفاع عن الوطن وأعراض المواطنين وللتضحية في سبيلها بالنفس والمال .[1]

يرجع في الفصول الثلاثة التالية إلى الوراء ويتحدّث عن بعض الحقائق التاريخيّة لعلّهم يعتبرون منها عبرة تساعدهم للقيام على واجباتهم خير قيام . تتعلّق هذه الحقائق التاريخيّة ببعض الدول الآسويّة مثل جزر جاوى والصين والفارس بما فيها من التتطوّرات التاريخيّة التي تتعلّق بالحكام المستعمرين. وبذكر هذه التطوّرات التاريخيّة التي مارستها هذه الدول الأجنبيّة يقصد الكاتب توعية الملوك والأمراء والمسؤولين الآخرين وإفهامهم عن مدى الخسائر المادّية والرّوحيّة التي سوف يتلقّونها عند دخول المستعمرين الأجانب.[2]

---

[1] المرجع السابق –ص – ٤٩-٥١

[2] الدكتور حسين رندتّاني – مابلامسلمس –– ادار بكس –كاليكوت -٢٠٠٧م

أمّا الفصل الخامس الذي يرى بعنوان "تنبيه الملوك من مكر الصّعلوك " فيوضّح فيه الكاتب بالأدلّة الكافية كيف انتقلت دولة من جزر جاوى التى كان يحكم فيها المسلمون إلى سيطرة المستعمرين الأوروبيين . هنا يحكي قصّة قدومهم إلى جزيرة جاوى لمجرّد النّشاطات التجاريّة وقال أنّهم ارتقوا تدريجيا إلى مرتبة الأمراء بإحداث خلل بين الحكّام المسلمين ورعيّتهم ، وكذلك بإيجاد الخلافات الشديدة بين الراعي والرعيّة. وقد اتّخذوا وسائل أخرى وخيمة وغير وخيمة لإدراك مراميهم الشنيعة .وقد مهّدت لهم أعمالهم تلك الفضيحة الطريق إلى الأمام حتّى استطاع لهم السيطرة التامّة على تلك الجزر المسلمة ونشر إعتقاداتهم الدينية .[١]

وفي نفس الفصل يحكي قصّة طائفة من المسلمين الذين يستوطنون جزيرة قريبة من جاوى . إنّ هؤلاء النّاس الذين يتخلّفون في شتى مجالات الحياة عندما دخل عليهم هؤلاء الإفرنجيين متظاهرين بالتجارة أوقفوهم داخل حدود رسموها ولم يسمحوا لهم بالتدخّل في شؤونهم الدّاخلية .عندما حاولوا لتجاوز الحدود المرسومة دفعوهم إلى الوراء وحاربوهم حروبا شديدة حتّى اضطرّوا للرّجوع إلى حيث أتوا والفرار من الجزيرة . وبسرد هاتين الحكايتين أمكن للكاتب إيجاد الخوف والحذر الشديد في داخل سكّان هذه المنطقة .[٢]

وفي الفصل السادس الذي يرى بعنوان " من مكر اليهود في عقد الصّين " ،يكشف تاريخ إحتلال آخر وخُدعة شنيعة أخرى . وذلك أنّ الملك اليهودي الذي خرج

[١] السيّد فضل بوكويا تنغل – عدّة الأمراء والحكّام لإهانة الكفارة وعبدة الأصنام –مصر١٨٥٦ص٥٥ --
[٢] المرجع السابق –ص-٥٦ -

لاحتلال الأراضي الصّينيّة والاستيلاء على ممالكها الأربعة اضطرّ لترك خطّته للدّخول مباشرا الى الأراضي الصينية . وقد أحدث تغييرا جدريّا في خطّته وأراد للإتّصال بملوكها واحداث الخلل في الوحدة التي تتّسم بها . وقد أمكن لهذا الملك اليهودي لتفتيت العلاقة الودّيّة التي كانت سائدة بين هؤلاءالملوك تارة بتقديمهم الهبات والهدايا حتّى في شكل البنات الجميلات وأخرى في شكل المكر والخدعة . وقد كلّلت سياسته الفضيحة بالنّجاح حتى تسنّى له الإستيلاء على جميع الأراضي الصّينية في توالي العصور . ولكن بعد مضيّ سنوات عديدة تبيّنت خدعة اليهود وخرج النّاس على اليهود وحاربوهم حروبا شديدة بلا هوادة حتى استولوا عليهم وأجلوهم اجلاء تامّا من الأراضي الصّينيّة . وبذكر هذه الحقائق التاريخية يحذّر الكاتب الناس من الإعتماد على الحكّام الأجنبيين ولاسيّما على الذين يماثلون هؤلاء اليهود .[1]

أمّا الفصل السابع بعنوان "مكر الفرس في إخراج ملوك النّصارى"فيرسم هنا أيضا صورة واضحة أخري لتاريخ الإحتلال . هنا يبيّن كيف أمكن للفرس مع ضعفهم وقلّة مواردهم الغلبة على الحكّام المسيحيين الذين يعتبرون من أقوى ملوك العالم في تلك الأيّام .إنّ ملك الفارس الّذي كان يعرف جيّدا أنّه لا يستطيع أن يغلب الملوك المسيحيين أرسل إليهم ثلاثة آلاف من الشّبان المدرّبين تدريبا كاملا في شتّى المجالات . وقد نجحوا في توظيف مواهبهم المختلفة وأصبحوا من خلال

[1] المرجع السابق –ص- ٥٧-٥٩

فترة يسيرة محبوبين لدى جميع النّاس . وصاروا أجزاءا لا تتجزّؤ في ذلك المجتمع . وقد أدّى نفوذهم الكبير إلى اضمحلال الطرق المتبعة و العرف الموروثة لدى السكان الأصليين وضعفهم المالي ـ وقد إنتهز الفرس هذه الفرصة واستولوا على إقليم كاملا يقطنه المسيحيّون بكلّ كثّافة . وقد جاءوا بتغييرات جذرية في الهيكل الإجتماعي وأحدث تغييرات عديدة في البنية التحتية . كانت التطوّرات المترتبة في شتّى مجالات الحياة بما فيها النّمو الاقتصادي والتقدم الثقافي بكل نواحيها كافيّة لاجتذاب قلوب السكّان المحلّيين وملوكهم المسيحيين . عندما طلب منهم الملوك المسيحيون الصّغار المزيد من المساعدة لتطوير ما لديهم من المصالح المختلفة اشترطوا عليهم الارتكاز التام على المصالح الدنيوية مهملين المناسك الدينية كل الإهمال . وقد إضطرّوا إلى إطاعة أوامرهم حرفا بحرف فابتعدوا تدريجيا عن الاعتقادات والمناسك الدينية . أدّت هذه الظاهرة إلى حدوث الخلل في المجتمع الذي كان مرصوصا كالبنيان . إستغلّ الفرس هذه الفرصة واستولوا على ممالكهم بأكملها . ثمّ بعد سنوات عديدة تبيّن للمسيحيين حقيقة الأمر وأرادوا إسترداد أراضيهم المسلوبة من أيدى الفرس . فقد حاربوهم حروبا شديدة حتّى أجبروهم للفرار إلى أراضيهم تاركين ورائهم الأراضي المحتلّة لأهاليها .[1]

وفي الفصلين الأخيرين قام بتضمين بعض الأجزاء من كتاب " الدّعوة التامّة والتذكرة العامة" الذي ألّفه العالم القدير عبد الله بن علوى الحداد نظرا لأهمّيتها

[1] المرجع السابق –ص - ٦٢

في تلك الظّروف المضطربة . أمّا في الأوّل وذلك الباب الثامن من هذا الكتاب فيتحدّث فيه عن العلم وفضله والعلماء ومسؤوليّاتهم اتّجاه المجتمع ولاسيّما العامة منهم ،هنا نراه يشبّه العلماء بالملح الذي نستخدمه في المأكولات .ويقول أنّ زيادة الملح في الأطعمة تفسدها وتجعلها غير قابلة للتناول و إذا استعمل بشكل معتدل يجعلها سائغة ولذيذة للألسنة مثل هذا يقول إذا ما صلح العلماء صلح المجتمع وإذا ما فسد العلماء فسد المجتمع . ثمّ يقول إنّ العلماء الكبار هم الذين يتقنون القرآن الكريم ويستوعبونه إستيعابا تامّا . ثمّ مؤكّدا أهمّية دراسة القرآن الكريم وتتطبيق الأوامر السماويّة الواردة فيه في حياة الإنسان. يكتب كثيرا عن العلوم وفضائلها المختلفة وكذلك ما هو المطلوب من العلماء. وفي رأيه إنّ أكبر النّاس خطرا للعامة من النّاس هو الذي يدّعي بوفرة العلم ويتظاهر في زيّ العلماء ويميل دائما إلى الحياة المترفة. وفي الحقيقة إنّ هؤلاء المتظاهرين هم الذين يفسدون النّاس ويضلّونهم . بعد ما ذكر كثيرا عن فضائل العلماء ومناقبهم ومسؤوليّتهم العظيمة يقوم بتقسيم طائفة العلماء على أساس حياتهم العمليّة .ويقول إنّ أفضل العلماء هم الذين يكتسبون العلم بكلّ الجهود المبذولة ويقدّمونها للآخرين ويطبقونها في حياتهم الشخصيّة . والعالم الذي يجيئ في مرتبة الثانية هو الذي يكتسب العلوم بكلّ وفرة ويطبّقها في حياته الشّخصيّة دون تقديم ولو قدر بسيط منها للآخرين .أما الذي يجيئ في المرتبة الثالثة فهو الذي يعلّم الآخرين ويشجعهم لأن يعيشوا وفقا لها مع أنّه يهملها في حياته الشخصّة . أمّا العلماء

الذين يجيؤون في المرتبة الأخيرة فيعتبرهم من أقتل الناس للمجتمع لأنّهم يكتسبون علوما مختلفة ولا يطبّقون لحياتهم الشّخصيّة بل يشجّع الآخرين لاتباع طريقه وارتكاب الذّنوب والمعاصي . وهم الذين يستحقّون عذابا أليما عاجلا أو آجلا . يبرهن آراءه هذه باستدلال الكثير من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الشريفة بالإضافة إلى الحوادث التاريخيّة .[1]

أمّا الفصل التاسع بعنوان " القول المختار في منع تخيير الكفّار " فيبدأه بمقدّمة طويلة يعالج فيها جميع الموضوعات التي تتعلّق باستقرار الدّولة وأمنها والرّاعي والرعيّة وحقوقهم ومسؤوليّاتهم . في هذه المقدّمة يلتفت بالقرّاء إلى الشؤون التي تتعلّق بالإمارة وأصحابها والمسؤوليّات والواجبات العديدة التى يجب عليهم أن يقوموا بتأيدها . ويقول أنّ الذين يتّقون الله لا يستطيعون لهم أن يتولّوا الإمارة إلاّ بكلّ صعوبة . وأنّ المتّقين سوف يبتعدون عنها كلّ الإبتعاد نظرا لكونها مسؤوليّة هائلة على عواتقهم . وفي رأيه لم يستطع لأيّ واحد من الأمراء أن يقوم بتأدية واجباتهم في شكل مطلوب إلاّ للخلفاء الرّاشدين وعمربن عبد العزيز من الخلفاء الأمويين . أمّا هؤلاء أيضا فكانوا مع ورعهم الشديد يواجهون صعوبات كثيرة في المناسب المختلفة . ولتوضيح هذه الحقيقة أدرج بعض الأقوال المأثورة لهؤلاء الخلافاء الراشدين التي تعتبر منارة لمن يهتدي بها الأمراء والحكّام .

[1] المرجع السابق –ص-٦٣

يقدّم المؤلّف في هذا الفصل عددا غير قليل من النّصائح القيّمة والإرشادات الغالية. نظرا لوفرة ما فيها من النصائح والإرشادات التي يحتاج إليها الأمّة يعتبر هذا الفصل من أهمّ فصول هذا الكتاب . ومن أكثر هذه النصائح نفعا وأكبرها قيمة تلك التي ألقيت موجّهة إلى الأمراء والعلماء الذين يمدّ إليهم العامّة من النّاس ايديهم كلما يواجهون مشاكل مختلفة في الحياة . يطلب من الحكّام والأمراء أن يقوموا بتأدية واجباتهم نحو الرّعيّة في شكل ينصه القرآن والسّنّة وكذلك لإقامة العدل والمساواة وإيجاد الأجواء الخالية خلوّا تامّا من المشاكل الخارجيّة والدّاخليّة النّاتجة عن الجهالة . يطلب منهم لأن يتعمّقوا في العلوم المختلفة ولاسيّما الدّينيّة منها . يحذّرهم من إهمال التعليمات السماويّة والحقوق الانسانيّة مثل ما يحثّهم على الإبتعاد عن حياة البذخ والترف التي تؤدّي إلى الفساد . يطلب منهم لأن لا يتخلّفوا ولو بقدر بسيط عن تطبيق الأوامر الدّينيّة كلّما يتدخّلون في شؤون الدّولة ورعاياها . يذكّرهم بضرورة الإلتفات إلى الفقراء والضّعفاء والمظلومين من الناس وتخفيف ما يكابدونها من الآلام المختلفة . وكذلك يشجّعهم على القيام بتأدية الواجبات بأنفسهم دون الاعتماد على الآخرين من الوزراء والولاّة . مثل هذا يطلب منهم بكلّ الجدّ أن يتدّخّلوا في شؤون الرعيّة ويفهموا مشاكلهم مباشرة ويأخذوا إجراءات مطلوبة لإزالة ما يواجهونها من الصعوبات المتعدّدة وما يتعثّرون عليها في مسيرتهم إلى الأمام من العوائق المختلفة . هذا كلّها بالإضافة إلى ما يقدّم إليهم من

النّصائح الأخرى التي تتعلّق بحقوق المظلومين والأيتام والأرامل وتناول أموال الدّولة والمؤسّسات الدّينية .[1]

ينهي هذه المقدّمة بذكر بعض الشيئ عن المسؤوليّات التي يجب على الرعيّة أن يقوموا بها ومن أهمّها الإبتعاد عن الأعمال التي تؤدّي إلى تشوية سمعة الأمراء والتدخّل في شؤونهم بسوء النّيّة .

وقد حاول المؤلّف لتضمين قدر لا بأس به من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الشريفة في هذه المقدّمة المطوّلة .

بعد هذه المقدّمة المطوّلة يقدّم لنا بعض النّصائح القيّمة التي تمسّ حياة الإنسان ولاسيّما المسلمين منهم طولا وعرضا. ولو ترى هذه النصائح والتعليمات في بادئ الأمر غير ملائم في مجتمع علمانيّ يتّسم بالتّعايش السّلمى بين الأديان المختلفة ، تدلّ الأدلّة والشواهدعلى أنّ المؤلّف يقصد بالنّصارى واليهود وغيرهم الكفّار الذين احتلّوا أراضيهم واستعمروها من الإنجليزيين الذين كانوا بأكملهم من الدّيانة المسيحيّة . يطلب من المسلمين أن لا يتفاوضوا معهم وأمثالهم من الكفّار في أيّ من الأمور التي تتعلّق بوطنهم وبدينهم وأن يشنوآ علىهم غارات عنيفة لإسترداد ما سلبوا من أراضيهم و ممتلكاتهم ومصالحهم الأخرى . وكذلك ينهي الأمراء عن توظيف ولو واحد منهم في المناصب الحكوميّة وغيرها إلاّ عند الحاجة المُلحّة .كان الأمراء والحكّام بدون الفرق بين المسلمين والهندوكيين في أتمّ الإستعداد لتنفيد هذه

[1] المرجع السابق –ص-١٣٤

الأوامر . لأنّهم يعرفون جيّدا أنّ الكاتب لا يفرّق بين حاكم مسلم وهندوكي ، كلّهم كانوا يطيعون أوامرهه ويتّبعون خطواته إلى الأمام بإعتبار الإنجليزيين ومن يؤيّدونهم من المسلمين والهندوكيين من ألدّ أعداء الوطن بل الإنسانيّة برمّتها .[1]

ومن الجدير بالذكر بهذا الصدد أنّ هذ الفصل الأخير الذي يحتلّ في حوالي ثمانين صفحة يتميّز في شكل ملحوظ بأسلوبه السردي على سبيل المثال نراه. يقوم ادراج القدر الممكن من الآيات القرآنيّة وأقوال النبي (صلعم) المطلوبة لتبرير ما يبديها من الآراء المختلفة وما يلقيها من التعليمات والنّصائح الغالية وتوضيحها ليستوعبها حتى العامة من الناس .

ولم ينس للإقتباس من تفاسير الإمام الرازي والطبري وغيرهما من المفسّرين الكبار لتوضيح الآيات القرآنيّة المقتبسة إزالة الخفاء عنها . مثل هذا عند توضيح الأحاديث النبويّة الشّريفة لم يبخل بإتيان الأقوال المأثورة من مصنّفات الأئمّة الفقهيّة الأربعة .

وفي الحقيقة عندما يرفض مكرّرا المصالحة مع الإنجليزيين وغيرهم من أعداء الوطن والمسلمين كان يحاول لإعلاء المبادئ التي يتمسّك بها والده السّيد علوي المنفرمي ويكتب عنها في كتابه المشهور" السّيف البتار" .

وفي الجملة كان لهذين الكتابين دورا ملحوظا في وضح الأساس لكافّة المكافحات والمظاهرات التي قام بها المسلمون وغيرهم في منطقة مليبار ضدّ الاستعمار . بل ما

[1] موين هدوي مليّ، محمود بنغاغر – ممبرم تنغل :جيوتم –أتمبيتا- بوراتّم – الناشر -أساس بكس سل- دار الهدى اسلامك أكّادمي-٨٢صفحة-٣٠١

كان هناك كتاب آخر يؤدّى هذه الوظيفة . وقد كانت منزلتهما نفس المنزلة التي كان يتمتّع بها كتاب تحفة المجاهدين الذي صنّف ضدّ المستعمرين البرتغاليين بقلم العالم الجليل " زين الدين المخدوم الصّغير".

***

الفصل الثالث

آمنمّانركت فريكوتي مسليار و الثورة الشعبية ضدّ الإنجليزيين

آمنمّانركات فريكوتي مسليار (١٨٧٦ – ١٩٣٤م)

كان فريكوتي مسليار من أبرز العلماء الّذين اشتهروا في مجالات مختلفة ولاسيّما في ميادين الثورة والقتال ضدّ المستعمرين الإنجليزيين . وقد قام الإنجليزيون بادراج اسمه ضمن قائمة أخطر الثوار حتى قبل نشوب ثورة مليبار سنة ١٩٢١م .[١]

ولد الكاتب المشهور فريكوتي مسليار في سنة ١٨٧٦م في قرية تانور . تلقّى علومه الدّينيّة الأوّلية من والده "أوران مُلّا" (Avaran Mulla)الذي كان مشغولا بتدريس المبادئ الدينية في الكتاتيب المنتشرة في كافة أنحاء منطقة مليبار . ثمّ إنتقل إلى المساجد متابعة الدراسات في العلوم الدّينية . بعد قضاء خمس سنوات متعلّما في الجامع الكبير بـ"ولياكلنغرا" (Valiyakulangara)في قرية تانور (Thanur)سافر إلى فنّاني (Ponnani)حيث إلتحق بالدروس المساجديّة التي تُلقى منذ أزمان طويلة في الجامع الكبير المشهور حتى في الدول الأجنبيّة . بعد التخرّج على أيدي العلماء الكبار هنا إنصرف إلى التدريس في بعض المساجد المحلّية . بعد خدمة خمس سنوات في المساجد المختلفة مدرسا ، بناء على الإلحاح الشديد من قبل النّاس اضطرّ

[١] Velicham مجلّة من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –عبد الرحمن منغاد - صفحة ١٠٨-٢٠١٥م -

للإنتقال إلى جامع الكبير "وليا كلنغرا" في قرية تانور وقضى هناك سنوات عديدة مستغرقا كلّ الاستغراق في التدريس .

كان فريكوتي مسليار خطيبا مصقعا منقطع النظير في تلك الأيّام . جعلته موهبته الفذة مشغولا دائما في الخطبات والمواعظ لتوعية العامّة من النّاس . وقد كان العلماء المعاصرون له أمثال مولانا تشاليلاكات كنج أحمد حاجي ، ووكام مولوي وماحين حمداني تنغل من أكبر المشجّعين له للقيام بالنشاطات التي تؤدّي إلى توعية الناس توعية إسلامية . قبلما يتولّى التدريس في هذا الجامع الكبير كان يساهم في أصدار مجلّة " صلاح الإخوان" التي تعالج القضايا الإجتماعيّة والسياسية وينشر فيها المقالات العديدة في هذا الخصوص .[١]

عندما كان يخدم في الجامع الكبير بـ"وليا كلنغرا" في تانور لفت انتباهه إلى الأوضاع السياسية الراهنة الناتجة من قدوم الإنجليزيين واستيلائهم على مصالح الوطن المختلفة . وقد أدرك أن من مسؤوليته ومسؤولية كافة الناس ولاسيّما المسلمين منهم القيام للدفاع عن الوطن وحريّته وأعراض المواطنين التي قضى عليها القوى الاستعماريّة . وقد أراد للقيام بتأدية واجباته هذه خير قيام وكتب عددا غير قليل من المقالات وأصدرها في المجلّات والجرائد المحلّية مثلما ألقى خطبات عديدة في محلّات مختلفة . أوجدت هذه المقالات والخطبات حماسة لا مثيل لها في قلوب النّاس ولاسيّما المسلمين منهم وأحدثت تغييرا جذريّا في معاملاتهم نحو الإنجليزيين .

[١] Velicham - مجلّة من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –اصلحي شهاب الدّين هدوي بلّبّرم - صفحة ٦٨-٢٠١٥م

وقد أوغرت نشاطاته هذه صدور الإنجليزيين وأشعلتهم غيظا تجاه هذا العالم الكبير الذي كان لا يستعد للتفاوض مع أعداء الوطن الألدّاء .

كان فريكوتي مسليار واحدا من أخلص أعضاء حزب المؤتمر الهندي الذي كان دائما يرتدي الملابس المنسوجة محلّيا بأيدي المواطنين ،كان دائما يحثّ النّاس على ترك الملابس المنسوجة في المصانع الإنجليزيّة ، وقد كان له مع كونه عالما قديرا متضلّعا في الإمور الدّينية موقفا محدّدا ورأيا قاطعا في القضايا السياسية .[١]

مرّة قام بعض الأمراءالمحلّيين الذين كانوا يؤيّدون الإنجليزيين سرّا وجهرا بعقد مؤتمر للعلماء المسلمين تحت رئاسة واحد من أسرة المخدوم في فنّاني. وكان من أهمّ أغراض ذلك المؤتمر أصدار الفتاوى الدّينية ضدّ حركة الخلافة[٢] باعتبار نشاطاتها المختلفة بما فيها عدم التعاون مع الإنجليزيين نشاطات غير إسلاميّة لا تتمشّى مع الشريعة الإسلاميّة. أمّا فريكدّ مسليار فكان أول من خالف هؤلاء العلماء الّذين يؤيّدون الإنجليزيين. فلم يحضر هذا المؤتمر بل عارضه معارضة لا هوادة فيها وقاوم آراء أصحابها مقاومة شديدة . في مثل هذه الظّروف المضطربة ألّف كتابه الشّهير "مهمّات المؤمنين " يدحض فيه آراء العلماء المؤيّدين للإنجليزيين التي وردت في مجلّة قاموا باصدارها. وقد نُشر هذا الكتاب سنة ١٩٢٤م في فنّاني بالموافقة التامة من قبل مشاهير العلماء أمثال تشرشيري أحمد كوتي مولوي وبُتيابلا عبد الرحمن مسليار وكوتايي باوا مسليار . وقد طبع هذا الكتاب سنة

١ Velichamمجلّة من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –اصلحي شهاب الدّين هدوي بلّبرم صفحة ٦٨-٢٠١٥م -
٢المرجع السابق –صفحة -٦٨

١٩٢١م[١] في مطبعة يمتلكها واحد من مسلمي تلشيري باسم "أنيابرتّ أمّو (Aniyapurath Ammu)". يركّز هذا الكتاب على ترويج الفكر العامّة ضدّ الاستعمار والمستعمرين وتقوية حركة الخلافة التي أنشأت لنشر مبادئ عدم التعاون مع الحكام المستعمرين . يذكر في المقدّمة أن هذا الكتاب طبع بعدالحصول على الموافقة التامّة من قبل عدد كبير من كبار العلماء في منطقة مليبار الذين قاموا بمراجعته وتحقيقه بكلّ الدقة الفائقة . ومما يدلّ على أهمّية هذا الكتاب أن بعض المثقفين والرؤساء الكبار مثل يم بي ناراينا مينون كانوا دائما يحرّضون النّاس على قرائته ويشجّعونهم على نشر أفكار صاحبه بين جميع النّاس . فقد إنتشر هذا الكتاب في مقاطعة مليبار بأكملها بالإضافة إلى المناطق التابعة لجنوب كانرا وكاسركود .

كان النّاس في قرية تانور بدون الفرق بين الأديان والأجناس يطيعون أوامر فريكوتي مسليار الذي كان يخدم لجنة حركة الخلافة سكرتيرا لها مع كونه مدرّسا في الجامع الكبير بـ وليكلنغرا ويتبعون خطواته بكلّ الإخلاص . وكانوا يعتمدون عليه كلّ الاعتماد في جميع قضاياهم الدّينية والسّياسية . مثل هذا كانوا معجبين بالنشاطات المختلفة التي كان يقوم بها المناضل الكبير أوميتاناكات كنجهي قادر. عند ما أقيمت محكمة الخلافة في تانور تولّى فريكوتي مسليار منصب رئيس القضاة

[١] Velichamمجلّة من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –عبد الرحمن منغاد - صفحة ١٠٩-٢٠١٥م -

فيها . بعد إقامة هذه المحكمة بدأ الناس أن يهملوا المحاكم التي أقامتها الحكومة الإنجليزية ويلتجؤا إلى محكمة الخلافة للتحكيم في قضاياهم المختلفة .[١]

وفي سنة ١٩٢٠م زار مهاتماغاندي يصحبة مولانا شوكت علي مدينة كاليكوت لتوعية الناس عن حركة الخلافة. نطرية حركة عدم التعاون التي اشتهرت بها ، وقد زارهما فريكتى مسليار برفقة كونجي قادر وجرت بينهم محاورات ومناقشات سياسية .[٢]

وقد اجتمع طائفة من العلماء الّذين كانوا يؤيّدون الإنجليزيين وحكمهم الإستبدادي في اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٢٤م في فنّاني وأصدروا عدة قرارات لتأييد الإنجليزيين بالإضافة إلى كتيبة أعدها واحد منهم هو مماد مسليار. وكان فريكتي مسليار في تلك الأيّام رئيس لجنة الخلافة في تانور .ردا لتلك الكتيبة أعد رسالة طويلة بكلّ لهجة غليظة ، لا هوادة فيها ، يدحض دعاواهم وينكرها انكارا تاما . موضّحا مسؤوليّات المسلمين وواجباتهم تجاه الوطن والمواطنين كتب فيها انّ من أهم مسؤوليات لكل واحد من المسلمين أن يقوموا ببذل كافة ما لديهم من الجهود الجادة للدّفاع عن مصالحهم المختلفة بما فيها المساكن التي يسكنون فيها والأراضي التي يستوطنونها والإعتقادات الدينية التي يتمسّكون بها بالإضافة الى أعراضهم وحرمة نسائهم .

---

[١] Velicham صفحة ٦٨-٢٠١٥م - مجلّة من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –اصلحي شهاب الدّين هدوي بلّبرم-

[٢] -Velicham - مجلّة من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –عبد الرحمن منغاد صفحة ١٠٩-٢٠١٥م

عندما نشبت ثورة مليبار اختفى بنفسه من ميدان المقاومة واستغرق في مخبئه استغراقا تاما في النشاطات المختلفة ضد الإنجليزيين . خلال هذه الفترة كان يزور متظاهرا المناطق التي انتشرت فيها الثورة ويتّصل بالثوّار ويقدم اليهم النصائح والإرشادات المطلوبة لمواصلة الثورة. عند ما عرف الإنجليزيون عن نشاطاته السرية خرجوا للقضاء عليه في المخبأ واتّخذوا كافة الوسائل الممكنة للقبض عليه وإزالة ذلك الشر الى ابد . وقد اضطرّوا حتّى لعرض جائزة تساوي ألف روبية لمن يساعدهم للقبض عليه حيّا أو ميّتا . ولو عرضوا جائزة مغرية هكذا لم يستعد أحد حتى لتقديم المعلومات البسيطة عن هذا العالم الكبير[1] عندما كان يقوم بتدريس الطلبة في مسجد تانور في اليوم ٢٠ من شهر آب سنة ١٩٢١م تلقى رسالة خطية من العالم المناضل الكبير علي مسليار. بناء على تلك الرسالة اتّصل بالمناضل كونجي قادر وجمع بمساعدته ٣٠٠٠ من الرجال الذين زحفوا تحت قيادتهما إلى ترورنغادي لمحاربة الأعداء الإنجليزيين .[2]

كان فريكوتي مسليار كاتبا كبيرا ولاسيّما في الجرائد والمجلّات . عند ما كان في الهند كان من أهمّ المساهمين بمقالاته في مجلّة "صلاح الإخوان " التي كان ينشرها السيد على كوتي ماستر من ترور . وكذلك بعد الإستقرار في المكّة المكرّمة بدأ أن يكتب

[1]– مجلّة وليجم من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –عبد الرحمن منغاد٢٠١٥م صفحة ١١٠-
[2]- مجلّة وليجم من كلّية اصلاح العلوم – كاتب –اصلحي شهاب الدّين هدوي بلّبرم-٢٠١٥م صفحة ٦٩-

مقالات في الموضوعات المختلفة في جريدة "أمّ القرى " العربيّة . وقد انغمس في مثل هذه النشاطات حتى وافته المنيّة في الأراضي المقدّسة سنة ١٩٣٤م /١٢٥٢هـ.[١]

مهمّات المؤمنين

"مهمّات المؤمنين" كتاب يحتوى على الفتاوى التى أفتى بها العالم القدير"آمنمّانركتّ فريكتى مسليار إبان أيّام حركة عدم التعاون سنة ١٩٢١م ، تعتبر الفتاوى الواردة في هذه الكتيبة المستمدّة من الآيات القرآن الكريمة والأحاديث النّبوية الشّريفة من أحدّ الأسلحة الموجّهة إلى الإنجليزيين من قبل السّكّان المحلّيين. كان المؤلّف في هذه الفترة سكرتير حركة الخلافة في منطقة تانور . وكان من أكبر الدّعاة إلى عدم التعاون مع الإنجليزيين. وكان لا يترك الفرص المتاحة أمامه إلاّ أن يوجّه أقتل أسلحته إلى الأعداء الإنجليزيين. وكان من أحدّ أسلحته الكتيبة باسم " مهمّات المؤمنين" التي يطلب من خلالها العامة من الناس باستدلال الآي القرآنية والأحاديث النبويّة الشريفة قطع التعاون مع البريطانيين وتقديم كافّة المساعدات الممكنة للمناضلين الوطنيين الذين يحاربونهم بدون التفرقة العرقيّة والدينية ولا سيّما فى تلك البيئة السّياسية التي يعيشون فيها سنة ١٩٢١م . ولو أنّ هذه الوثيقة تتناول الموضوعات السياسية الحاسمة وتستحق إنتباه المؤرّخين

[١] ك.ك. محمّد عبد الكريم ، س.ن أحمد مولوي – مهتّاي مابلا ساهتي بارمبريم – آساد بكس ستال –كاليكوت –صفحة ٥٠١--١٩٧٨

والباحثين لم تحظ إلاّ بقدر بسيط من التقدير ولم تذكر- لسوء حظّها - إلاّ نادرا في الكتب التاريخيّة .[١]

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الوثيقة تسلّط الضّوء على دور العلماء المسلمين الّذين دعموا حركة الخلافة بتبرير من أنفسهم بأنّ القرآن الكريم يشترط من المسلمين القيام بالدفاع عن أنفسهم و ممتلكاتهم و إعتقاداتهم والتضحية في سبيلها في كافة الطرق الممكنة . وفى الواقع كان لتدخّل هؤلاء العلماء في الشؤون الوطنية وسياستها تأثير كبير في الحركة الإستقلالية .

يبدأهذه الكتيبة بالبسملة والحمدلة ويدخل مباشرا إلى ذكر واجبات المؤمنين ومسؤوليّاتهم في تلك الظروف المضطربة و يطلب من المسلمين . مقتبسا الآية الكريمة " يا أيّها اللّذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنّصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنّه منهم إنّ الله لا يهدى القوم الظّالمين"[٢] . لأن لا يقيموا العلاقة الودّية مع الأعداء المستعمرين الذين يحاولون دائما للسّيطرة على أراضيهم واعتقاداتهم . ويحذّرهم بأنّ الله سوف لايهدي الذين يعتدون على الآخرين .

بعد الإشارة إلى سوء عاقبة المهملين لهذه النصائح يشير بعض الشيئ إلى المنافقين الذين يقفون وراء العلماء والأمراء مضمرين الصداقة للمستعمرين ويرجون منهم بعض المصالح الشخصيّة والتسهيلات الدّنيويّة. إنّ هؤلاء المنافقين الذين يتّصفون بضعف الإيمان يُرون دائما ملازمين للمستعمرين الأعداء ومؤيّدين لكافّة الأعمال

[١] د/ك ك ن كربالمحرر د/ ن .ا. محمّد عبد القادر: الأيديولوجيا والنضال ، دراسة عن مسلمى مليبار ،المحرّر العام. مركز المخطوطات تربونيتورا . صفحة ٥٠،٥١

[٢] سورة المائدة -٥١

التى يقومون بها بدون النظر إلى طبيعة تلك الأعمال . يطلب العامة من المسلمين أوّلا لمحاربة هؤلاء المنافقين ثمّ فقط للإلتفات إلى الأعداء الأوروبيين . هنا نراه يدحض إدّعاءات المنافقين باقتباس بعض الآيات القرآنية.

ثمّ يتحدّث في هذه الكتيبة عن غير المسلمين من اليهود والنصارى الذين يتمنّون تعايشا سلميا بين الأديان المختلفة خاليا خلوّا تامّا من الإيذاءات والإزعاجات للآخرين. ويقول أنّه لا يباح للمسلمين إظهار العداوة والبغضاء لهؤلاء النّاس بل يطلب من الأتبّاع المسلمين لأن يتعايشوا معهم بكلّ الودّ والصداقة[1] . هنا أيضا نراه يقتبس آية من سورة الممتحنة حيث يقول جلّ على " لا ينهاكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم فى الدّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين ."[2]

ثمّ نراه يتحدّث مؤكّدا ضرورة مناصرة مسلم يتعرّض للإعتداءات من قبل الأعداء ويقول مقتبسا بعض التعليمات من كتاب (بغية المسترشدين فى تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخّرين): فإذا حاول مسلم أن يدفع الأذى فيكون فرض عين على سائر المسلمين أن يعينوه بأنفسهم وأموالهم حسب طاقتهم ، ولا يجوز لأحد من المسلمين التقاعد عن إعانته ولا التغافل عنها .....الخ

وخلاصة ما ورد في هذه الكتيبة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أنّ على المسلمين أن يبذلوا كافة جهودهم بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله ودفع

[1] آمنمّانتكتّ فريكدّي مسليار – مهمّات المسلمين – نسخة الكترونيّة
[2] سورة الممتحنة - ٨

الكافرين الّذين يظلمونهم .[1] وقد حثّ عليهم للتّضحية بالأموال قبل التضحية بالأنفس باستدلال بعض الآيات القرآنيّة والأقوال النبويّة الشريفة .على سبيل المثال يذكر في هذا الصدد قوله التعالى : "وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" [2].وبمثل هذه الأدلّة السماويّة والشواهد العديدة يخاطبهم ويقول : عليكم أن تنفقوا أموالكم لإعلاء دين الله ، وأن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بعدم إنفاق الأموال والأنفس فى هذا السبيل ، إذا لم تستعدّوا لدفع الكافرين وإعلاء الدّين بأموالكم يشتد بأس الكافرين المخالفين ، فيصيب الدين وأهله كثير من المصائب والهلاك والذل كما هو مشاهد فى زماننا هذا ، وأما إذا بذل أحد ماله ونفسه فى سبيل الله فقد أعزّ نفسه فى الدنيا والآخرة ، ويستحق نعمة ورحمة من الله ،فهو من المهتدين . وأما الّذين يقولون بأنّ هؤلاء ممن ألقوا بأيديهم إلى التهلكة مستدلّين بالآية المذكورة فهم يؤوّلون القرآن تأويلا باطلا ابتغاء الفتنة والمصالح الدنيويّة ، فمقعدهم فى النّار، [3]كما هو واضح من الحديث المروي عن ابن عبّاس : من قال فى القرآن بغير علم فليَتبوّأ مقعده من النار. (الجامع الصغير)

وكذلك حديث آخر رواه أبو أمامة عن النبي (صلعم) قال : من لم يغز ولم يجهز غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة . (رواه أبوداود) ، وحديث آخر رواه أبوهريرة عن رسول (صلعم) حيث قال : قال رسول الله (صلّى) : من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبه من نفاق . (رواه

[1] آمنمّانتكتّ فريكدّي مسليار – مهمّات المسلمين – نسخة الكترونيّة
[2] ١٩٥ سورة البقرة -
[3] المرجع السابق

مسلم). بعد ما ذكر كثيرا عن فضائل الجهاد في سبيل الإعتقاد والوطن وحرّيّته ،باستدلال بعض العبارات من كتاب مرقات المفاتيح يتحدّث في أماكن عديدة عن وجوب الجهاد كأنّه فرض عين على كلّ مسلم إن سُنحت له الفرصة [1].

ثمّ يؤكّد أهمّية إطاعة الأمراء المسلمين ويقول إنّ طاعة الملك المسلم فرض على كل مسلم ، ويقتبس قوله تعالى : أطيعوا الله وأطيع الرّسول وأولى الأمر منكم ،..... مثلما يقتبس شيئا من أقوال رسول الله (صلعم) حيث قال : من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى ، وإنّما الإمام جنّة يقاتل من ورائه ويتّقى به ، فإن أمر بالتّقوى الله وعدل فإنّ له بذلك أجرا ..... . (متّفق عليه) . ولتبرير دعاواه أورد بعض الأحاديث الأخرى مثل الذي روي عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله (صلعم) على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

بعد هذا يتحدّث عن وجوب تعيين الإمام للأمّة الذي يعتبره فرض من أهمّ الفروض الشرعيّة.هنا أيضا يأتى ببعض الأقوال النبويّة الشريفة مثل الذي روي عن عبد الله بن عمر حيث قال سمعت رسول الله (صلى) يقول " من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجّة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة " .

[1] آمنمّانتكتّ فريكدّي مسليار – مهمّات المسلمين – نسخة الكترونيّة

بعد ذكر مثل هذه الأمور التي تحتاج إليها الأمّة المسلمة في تلك الأجواء الغير الإسلاميّة ،يقدّم الكاتب فريكوتي مسليار بعض الإرشادات الهامّة لكافّة المسلمين الذين يعيشون هنا وينصحهم لتأييد الدولة العثمانيّة ، ألد أعداء المستعمرين الإنجليزيين ، وتزويدها بكافّة المساعدات المادّية والمعنوية لتشييد دولتهم وتثبيت قواعدها حتّى يتسنّى لها إقامة دولة خالية خلوّا تامّا من الفساد والظلم حيث يعمّ العدل المساواة .[1]

ثمّ ينهي هذه الكتيبة بتوضيح جزاء المؤمنين الذين جاهدوا في سبيل الله واقتباس الآية القرآنيّة الكريمة " وعدهم الله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ولهم فيها رزق كريم ". وداعيا المولى القدير للتوفيق بالجنّة والنّعيم فيها.[2]

****

[1] المرجع السابق :نسخة الكترونيّة
[2] المرجع السابق

الخلاصة

دور العلماء المسلمين في الثورة الشعبية ضد الاستعمار في مليبار

ومن المعروف أن مجيئ الإسلام إلى كيرلا وتطوره التاريخى كان في طريقة الأمن والسلام، لقد عرف أهل كيرلا الاسلام بالعلاقات التجاريّة القديمة بينهم وبين العرب. ولم يحاول تجار العرب الأولون للهيمنة السياسية كما فعل البرتغاليون والإنجليزيون من بعدهم . فقد حصلوا على الدعم الكبير من مراكز القوة لنشرالاسلام. و احتفظوا على علاقة اجتماعيّة قويّة مع السكّان المحلّيين وأيدوا الوضع المالى للولاية بتجارة صادقة. ما الذي يُفهم من وصف الشيخ زين الدين المخدوم أنّ المسلمين كانوا يتمتّعون بكلّ الحرّيّة التامّة فى المجالات الاجتماعية والثقافية والسّياسية ، وكان القضاة يعيّنون فى مراكز المسلمين بنفقة الحكومة، وكان من يقترف الجرائم من المسلمين يعاقبون حسب الشريعة الإسلامية. وكذلك لم يكن لهم أي مانع لرفع الشريعة الإسلامية عاملا أساسيّا لتصرفاتهم الثقافيّة والاجتماعيّة .ولذا لم يشتبك المسلمون مع السّكان الغالبية ومراكز القوة لهم . وفى هذه الأجواء المتّسمة بالتعايش السّلمي بين الأديان والأجناس المختلفة ظهر البرتغاليون فى القرن الخامس عشر يبذرون البذور المسمومة التي سبّبت لظهور عدد لايحصى من الإضطرابات.[١]

[١] ك. ت. حسين : كيرلا مسلمكض أدهنويش ورده بورادتنرى برتاي شاسترام، دار النشر الاسلامي ، كوزكود، ٢٠٠٨ ص: ١٧ - ١٩ - ٢٣٩ -

ولم يكن الغرض وراء وصول البرتغاليين إلى كيرلا المصالح التجارية فحسب ، بل الإحتلال الثقافى والسياسى والمالى . وعند وصولهم إلى مليبار كان عنان التجارة عند المسلمين ، فأدركوا أن تجارتهم المعتمدة على الاستغلال لا تربح إلا بتدمير السيطرة التجارية للمسلمين. كان البرتغاليّون أكثر حقدا للاسلام والمسلمين . وكذلك كان المسلمون أشد أعداءهم لأسباب عديدة: دينيّة وتجاريّةو تاريخيّةو سياسيّةو وماليّة. وقد نجح البرتغاليون فى بناء القلعة بكوشن وكنّور .وكذلك حاولوا أوّلا لإنهاء سيطرة المسلمين التجاريّة وللقضاء عليهم بدنيّا باستغلال الخصومات الشّديدة التي كانت موجودة بين ملوك ولاية كيرالا .وكان سبب كراهيّتهم للملك الساموترى حمايته للمسلمين . وقد طلبوا من الساموترى مرارا لطرد المسلمين من البلاد ،ولكنّه كان حاكما محسنا يحبّ المسلمين حبّا شديدا مثل ما قال قاضى محمد فى قصيدته " فتح المبين " :

وهو محبّ ديننا الإســـلام والمسلمين بين ذا الأنام

ناصر ديننا ومجرى شرعنا حتّى بخطبة على سلطاننا

والمسلمون كلّهم رعيّـــته وإن يكن فى أيّ أرض بلدته

ولا يقوم فى يمينه أحـــد فى العيد إلاّ مسلم إلى الأبد

وإنّما يقوم رأس المسلمين الشاه بندر مع جميع المسلمين[1] .

[1] القاضي محمد الكاليكوتي: فتح المبين، ص: ٤

وعندما فتحوا مستودعا لهم باسم "باندكشالا" بكاليكوت ظهروا ببعض الخطط الإستراتيجية للسيطرة على بحر العرب وطلبوا من الملك الساموترى لمقاطعة المسلمين وإبعادهم عن النّشاطات التجاريّة .ولكنّ الملك الساموتري كان غير مستعدّا لتنفيد مطالباتهم المكررة. وما كان المسلمون الذين لهم الإحترام والمناصب لدى الملك الساموترى مستعدين للموافقة على هذا الطلب . واصلوا التجارة البحرية بدون أدنى انتباه الى مطالبة البرتغاليين . أما البرتغاليون الذين لم يرضوا بموقف الملك فاتّخذوا طرقا وحشيّة وقاسية لتحقيق ما لديهم من الأمنيّات .يمكن لنا قراءة هذه الأمور في قصيدة الشيخ زين الدّين الكبير حيث يقول :

وجلد وقطع من يقول محمّد وسبّ رسول الله من غير خفية

وتقيد أسرى بالقيود الثّقيلة وتعذيبهم بالنار من غير رأفة

وجلد بنعل للأسارى بفيهم خصوصا لواستنجوا لاذوا بجلدة

وتحريضهم أن يسجدوا لصليبهم وتحضيضهم أن يقبلوا قول ردّة

وسخر من الإسلام والمسلم الذي يمرّ طريقا ثمّ ضحك بجهرة[1]

ومن الإضطهادات المختلفة التي قام بها البرتغاليين ولا سيّما على المسلمين حادثة احراق سفينة تقلّ الحجّاج من الأراضي المقدّسة الى الهند بكلّ من فيها قريبا من سواحل العرب الجنوبية . هذه الحادثة المأساويّة التي أبكت جميع من في العالم سبّبت لإضرام مافي قلوب المسلمين من الإنتقام الشديد على البرتغاليين .لأنه ليس

[1] الشيخ زين الدين الكبير: تحريض أهل الإيمان، تحقيق: حمزة جيلوكودن ص: ٩٧

من شيمتهم العفو عن العنف والظلم. وقد أدّت هذه التطوّرات الى نشوب ثورات عديدة ضدّ الإمبرياليّة والاستعمار في مليبار، وكانت هذه الثورات ملحوظة باعتبارها فصولا رائعة في تاريخ ولاية كيرلا .يعتبر المؤرّخون هذه الثورات من قبل المسلمين في مليبار بمساعدة الملك الساموترى مدخلا لحركة استقلال الهند في ولاية كيرلا.

ما هو المعروف من التاريخ العالمي أن الثورات الخالية خلوّا تامّا من القيادة الراشدة سوف لا تنجح في تحقيق أهدافها .أما بالنسبة للثورات التي قام به المسلمون في كيرلا فكانت تحت قيادة الزعماء المتّصفين بالحلم والإخلاص أو على الأقل مؤيّدة من قبلهم بكلّ التبريكات ، وقد كان هذا هو السّر وراء نجاح معظم الثورات التي قام بها المسلمون .

وكان العلماء من الأسرة المخدومية مصدر التحريض على النضال ضد البرتغاليين، لأنهم لم يكونوا مجرد العلماء الذين انحصروا في بعض العبادات والأعمال الدينية. بل كانوا يقودون المسلمين في الأمور الاجتماعية والسياسية والثقافية أيضا. جعلتهم أسفارهم الطويلة عبر البلدان الأجنبية طالبين العلوم المختلفة متضلّعين في الفنون المختلفة بالإضافة الى ما اكتسبوا من المعلومات حول التطوّرات المختلفة في العالم .انّ هذه الخبرة كافية لتشكيل نظرة عالميّة جديدة لديهم. وهذه النظرة هي التي ساعدتهم لإدراك الأخطار المختبئة وراء التطوّرات المختلفة بما فيها ظاهرة الاستعمار الأجنبي .

ومن العلماء الأجلاء الذين عاشوا بفنّان في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الشيخ زين الدين المخدوم الأول والمخدوم الثّانى وغيرهما كثير .وقد أناروا جميع مجالات الحياة للمسلمين فى مليبار وقادوهم على الطرق المستقيمة لحظة تعرّضهم للعديد من الصّعوبات والمشقّات .

كان أواخر سنوات القرن الخامس عشر نقطة تحوّل بالنسبة لمسلمي كيرلا . حتى تلك الفترة كانوا يعيشون في الأجواء المريحة يتمتّعون بكل الأمن والطمأنينة التي يؤمّنها لهم الملوك المحلّيين . ولكن قدوم البرتغاليين تحت قيادة واسكودا غاما غيّر مجرى حياة المسلمين وأحدث في الأجواء الإجتماعيّة خلافات شديدة . وقد أدّت التطوّرات المترتّبة الى احداث تغيير جذري في سلوك المسلمين الذين دائما كانوا يحبّون السلم والطمأنينة . وقد رموا بأنفسهم الى نيران الحرب حيث حاربوا الأعداء بلا هوادة ورجعوا منتصرين في معظم الأحيان .

يعدّ الشيخ زين الدين المخدوم الأول والمخدوم الثاني من طليعة الذين قاموا بالنهضة والإصلاح في المجتمع الإسلامي في كيرالا ، و قد أدركا نقاط الضعف الداخلية للمجتمع الإسلامي وقاما باتيان الحلول الفعّالة والمفيدة لهذه المشاكل، وقد حرضا هذه الأمة على الإستعداد للمقاومة ضد الاستعمار الأجنبي ولإستعادة عظمتهم المفقودة . وكانا من العلماء الأعزاء الذين أدركوا دور الإسلام في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية وتحمّلوا المسؤولية الحاسمة لمعارضة الأنظمة الفاسدة في المجتمع.

وكان رجوع زين الدين المخدوم الأول إلى كيرلا بعد دراساته العليا من الخارج في فترة يواجه فيها المسلمون أزمة كبرى . وقد كانوا يواجهون مشاكل عديدة تهدّد ببقائهم في هذه الديار . لقد أدرك الشيخ أن الأسباب الداخلية لأزمات المسلمين لن تهمل أبدا وإن كانت الأسباب الخارجية لها تستحق أهمية كبرى. لقد تفكر في تقويتهم الداخلية وإنقاذهم من الخرافات قبل أن يجعلهم مستعدين للنضال ضد البرتغاليين. ولا شك أنّ قوّة العلم هي الطريقة المفيدة للبقاء السياسي والإصلاحي لأي مجتمع كان. وإذا نظرنا إلى تاريخ كيرالا بهذه البصيرة التى نظربها الشيخ زين الدين المخدوم نجده في حالة سيئة ووضيعة. وكان المسلمون يهتمون ببناء المكتبات والمعاهد العلمية في البقع التي كانت لهم السيطرة عليها . وعلى هذا قد تفكر الشيخ زين الدين في بدء مشروع جديد لتقوية الأجيال في مجال العلوم وشاور مع الأعيان في فنان وأسس فيها المسجد الجامع ونظم فيه التعليم الديني. وكان ذلك بداية دروس المساجد التي أوقدت النهضة العلمية في كيرالا طولا وعرضا . وبهذه الدروس المساجدية أصبحت فنان مسجلة في صفحات التاريخ. وكان الشيخ زين الدين الكبير أول من لقب بـ"المخدوم". ويرى المؤرخ الأستاذ عبد الرحمن منغاد أن أهل فنّان لقبوه بهذا اللقب تكريما على أعماله في المجالات العلمية والسياسية والاجتماعية.

ولم يكتف أعمال الشيخ زين الدين في درسه فحسب، بل كان يهتم بالإصلاح الاجتماعي والسياسي وجعل درسه في المسجد مجالا لهذه الأغراض. وكان المسلمون آنذاك قد فقدوا المعرفة الحقيقة عن الإسلام وتعرضوا لخرافات واعتقادات باطلة بسبب اختلاطهم بالثقافات الأجنبية. ومع ذلك قد انتشرت في المجتمع مبادئ الصوفية الزائفة والطريقات الباطلة التي تناقض بعض الأحكام الشرعية. وفي جانب آخر لقد أعرض المسلمون الأغنياء عن الحياة الإسلامية وأهملوا الحياة الأخروية. وفي هذه الظروف قد نزل الشيخ زين الدين إلى المجتمع بالتوعية والإرشاد. وعارض بشدة الصوفية الزائفة والطريقات الباطلة. وقدجعل المسلمين يشعرون بأنهم لا يستطيعون الثبات أمام الأعداء إذا لم يعيشوا حياة دينية. وكان الشيخ يستهدف بمواعظه وارشاداته وكتاباته تجهيز المسلمين للنضال ضد الاستعمار الأجنبي.

نرى فى كتاب "الدراسات التّاريخية للحركات المابلية " لزين الدّين مندلام كن حيث يقول: "تطورت الاتصالات التجارية في كيرالا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وتوسعت المصادر المالية فيها بسبب اختلاطهم بتجار العرب الذين كانوا يمتلكون الريادة في التجارات الدولية. أصبح التجار العرب الذين وصلوا سواحل ولاية كيرالا قوة حاسمة بسبب اختلاطهم في الطرق المختلفة مثل العلاقات الزواجية والتصرفات الثقافية. ولما ازدهرت الحالة الاقتصادية تحسن مستوى

الحياة لدى المسلمين وتوسعت المدن الساحلية. وهذا التقدم أثر في المسلمين المحليين والخارجيين حتى ابتعدوا عن القيم الإسلامية. فضعفت همتهم الباطنية كما هو واضح في "تحفة المجاهدين"[1].

مصادر الأيديولوجيّة للمقاومة

وبالنسبة إلى المسلمين كانت الإضطهادات والظلم غريبة وغير متوقعة. ما كانوا يعرفون العداوة المستمرة لأي مجتمع كان . ولذا لم يتمكنوا أول الأمر من الفهم للأيديولوجية وراء الإرهابيات عند البرتغاليين. وقد أدرك التجار العرب والعلماء والصوفيين مدى الخطر الهائل وراء الأعمال الإرهابية. و قاد زين الدين المخدوم أعمال التوعية بين المسلمين وحرضهم على الجهاد. و كان من أبرز مساهمات الشيخ زين الدين في هذا القبيل أنه أنشأ جوا ملائما بأعماله القيمة لقيام المسلمين ضد الاستعمار الأجنبي. وقد أخبر الناس بأن النضال ضد الاستعمار ليس من مسؤولية المسلمين فحسب بل كان من مسؤولية جميع من في المجتمع الذين سوف يتعرّضون للإضطهاد والظلم من قبل المستعمرين. فدعا الشيخ زين الدين المخدوم المسلمين إلى المكافحة ضدّ البرتغاليين. ألف كتابه المشهور "تحريض اهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان " لتوعية النّاس في هذا السبيل .

ومما لا شك فيه أن مؤلفات الشيخ وأعماله الجليلة قد لعبت دورا رئيسيا في تحريض أسرة مركار للنضال ضد القوات الاستعمارية. ومن أبرز إنجازاته أنه أعدّ

[1] زين الدين مندلان كون: مابلا سمرا جرترا بدننغل: ص: ٤٤

المجتمع الاسلامي للتضحية في سبيل الأغراض النبيلة بما فيها الدّفاع عن الوطن وحرّيّته والإعتقادات الدّينيّة بدون أن يتعرّض لأيّ نوع من مرافق الحياة المغرية .

وبواسطة التوعية العامة التي قام بها الشيخ زين الدين المخدوم استطاع لكنجالي مركار أن يقوم بتجنيد الآلاف من الشبان المسلمين للمكافحة ضد البرتغاليين تحت قيادته الرشيدة . وقد توفي هذا الشيخ الجليل عام ١٥٢٢م تاركا ورائه آثاره القيّمة التي لا تزال تستخدم حتى الآن في شتى أنحاء العالم في المستويات المختلفة والذكريات الحلوة التي تخلّد مآثره الى الأبد ليتحمّس بها الأجيال القادمة .

كان لمواعظ العلماء الصوفيين وارشاداتهم تأثير كبير على ذلك المجتمع الذي كان يتّصف بالعدل والمساواة بين الأجناس والأديان المختلفة . وقد كان هذا التأثير كبيرا لدى الملوك الهندوكيين الذين يحترمونهم ويوقّرونهم ولاسيّما لدى الملك الساموتري . وقد خرج هذا الملك المتحمّس على الأعداءالبرتغاليين بكلّ التأييدات من قبل المسلمين وقائدهم الروحي الشيخ زين الدين المخدوم الكبير . سافر الشيخ في ديار المسلمين طولا وعرضا وحرّضهم على القتال ضدّ المستعمرين مع الملك . في نفس الوقت كان يوزّع بينهم النسخ الخطّيّة للقصيدة التي نظّمها باسم " تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان ". مع هذا كان يرسل نسخها الى ملوك العرب والهند يطلب منهم كافة التأييدات لمحاربة الأعداء الأجنبيين.

كان معظم الملوك المحلّيين ما عدا الملك الساموترى مذعنين للمستعمرين البرتغاليين ومطيعين لأوامرهم . وكانوا مهدّدين من قبلهم حتي أسبغوا عليهم كافة

التسهيلات لإجراء النشاطات التجارية. أما المسلمون الذين يسيطرون على النشاطات التجاريّة في تلك الأيّام فما كانوا يرضون بالبرتغاليين وتدخّلاتهم في الشّئون التجارية . ولو كانت هناك علاقة تجاريّة لأسرة مركّار الشهيرة مع البرتغاليين في أوائل أيّامهم هنا ،أدركت فيما بعد أنّها سوف لا تربح في الصفقات التجاريّة معهم . فانضمّت الى جبهة الملك الساموتري وقامت بإغارات بحرية عديدة على البرتغاليين .

وقد اتّضح من المصادر التاريخية أنّ القوّاد البحريين من أسرة مركّار قد أبدوا جرأة لا مثيل لها في الحروب البحريّة ضدّ البرتغاليين وأبلوا فيها بلاء حسنا . وكانوا متحمّسين بالتعاليم التي تلقّونها من الأئمّة الأجلّاء مثل الشّيخ زين الدّين المخدوم الكبير والشيخ عبد العزيز و الشيخ زين الدين المخدوم الثانى والشيخ عبد الوفا شمس الدين محمد والقاضى محمد الكاليكوتي وغيرهم.

موقف العلماء من الحكام المحليين

كان المسلمون فى مليبار مقاتلين على الاستعمار البرتغالى الذي استغرق قرنا ونصف. خلال هذه الفترة كانوا يتلقّون التأييدات من الملوك الساموتريين قرنا واحدا على التقريب، ولكن الملوك الساموتريين الذين جاؤوا في ما بعد كانوا يميلون إلى جانب البرتغاليين، أما المحاربون المسلمون فقد استمرّوا في نضالهم ولو لم يتلقّوا التأييدات من الحكّام المحلّيين . ما الذي كان يقودهم الى الأمام في سبيل الكفاح ما

كان الاّ المواعظ والتحريضات التي يتلقّونها من العلماء المتصوّفين .وقد تحوّل هذه الكفاحات إلى الاضطرابات ضد الإقطاعيين والإقطاعية فى عهد الإنجليزيين .

ولما تمّت السيطرة الإنجليزية على الأراضي الهندية حاربهم المسلمون و قاوموا الإجراءات التي قام بها نظام الإقطاعية (Feudalism)ضد الفلاحين والمستأجرين. هذه النضالات كلها كانت ابتغاء العدل والأمن. وما كانت مقاومتهم ضد قيادة الملوك المحلّيين ، بل كانت ضدّ نظام الإقطاعية التي جاء بالكثير من الأمور التي تزعج المزارعين . ومن الجدير بالذكر هنا أن الذين هاجموا الملك الساموتري الذي أعان البرتغاليين للغلبة على كنجالي مركار الرابع ما كانوا مسلمين بل كانوا جنودا هندوكيين من طائفة ناير.

ما كانت فترة الاستعمار الإنجليزي خالية من التطوّرات التي اتّسمت بها فترة البرتغاليين. كانت هذه الفترة أيضا ممتلئة بالكثير والكثير من الإضطرابات والثورات الشّعبية . كانت كلّها لإيجاد العدل والمساواة المغتصبة من قبل الأعداء الأجنبيين وتحرير الأراضي الهندية من براثن المستعمرين . وقد كانت للمسلمين مع قلّة عددهم في المجتمع أدوار ملحوظة في جميع هذه الإضطرابات الشعبيّة. وبالنّسبة لهؤلاء الّذين علّمهم نبيّهم الكريم حبّ الوطن ، انّ الكفاحات والحروب للدفاع عن حرّيّة الوطن هي من العمليّات المقدّسة . وقد اعتبروها بالواجباتهم الدّينية .

انطلاقا من هذه التعاليم الدينية والعظات والدّروس المختلفة التي كانوا يتلقّونها من العلماء المتصوّفين أسرعوا الى ميدان القتال وحاربوا أعدائهم محاربة شديدة .

وبالإضافة الى التعليمات والإرشادات التي تلقّونها من ألسنة العلماء الكبار أمثال السيد علوي المنفرمي وابنه السيد فضل فوكويا تنغال والصوفي الجليل آمنماندااكات فريد كوتي مسليار والقاضي عمر البلنكوتي و أوكويا مسليار فرفّنغادى وعلي مسليار قائد حركة الخلافة ، وكتّلشيرى محمّد مسليار، وكى م مولوي وغيرهم ، كانوا متحمّسين بقدر هائل بما وردت من التحريضات والتشجيعات في المصنّفات المختلفة نظما ونثرا ظهرت في تلك الفترة . وكانت من أشهر مؤلّفاتهم في تلك الفترة "السيف البتار" بقلم السيد علوي المنفرمي و"عدة الأمراء" للسيد فضل فوكويا تنغال و"مهمات المؤمنين" لآمنماندااكات فريد كوتي مسليار[١] .

وكان من طبيعة المسلمين أن يعارضوا الظلم والإضطهاد أين ما وجد . عندما اشتدّت عداوة الحكّام المستعمرين قاوموها مقاومة شديدة حتى انتشرت الثورات الشعبية طول الهند وعرضها . حاولت القوات الاستعمارية لإخمادها. قامت بتهديد المسلمين وحكّامهم في البقاع المختلفة . شنّت غارات عنيفة على الذين حاربوهم . وفي الحقيقة ما كانت هذه المقاومات تجري على قيادة أي حاكم مسلم بل كانت على قيادة العلماء في شمال الهند وجنوبها. وممن قاد هذه المقاومات التي أدّت الى استقلال الهند في الشمال مولانا فضل الحق الخيرابادى والشيخ أحمد الله شاه وعلماء صادق بور وغيره

[١] المرجع السابق ، ص: ٤٧

الحركات المليبارية

ومن الحركات الاستقلالية البارزة التي جرت في الهند ضد القوات الاستعمارية الحركات المليبارية التي قادها المابليون من المسلمين في مليبار من القرن السادس عشر. ولكن بعض المؤرخين أهملوها وأعرضوا عنها ووصفوها بأنّها ثورات قام بها المابليّون لتحقيق بعض الأغراض الشّخصيّة. وفي الحقيقة ما هو المطلوب من كافّة العلماء والمؤرّخين أن يتّخذوا موقفا حياديا في هذا الخصوص ويدوّنوا الحقائق التاريخيّة كما هي و يضيفوا فصولا لمّاعة مستقلّة في الكتب التاريخيّة التي تعالج قضايا الاستعمار والمستعمرين .

***

نتائج البحث

من خلال الدراسات التحليلية في الأبواب السابقة عن ظهور الإسلام في ربوع كيرلا وقدوم المستعمرين من البرتغاليين والإنجليزيين وكذلك الثورات والكفاحات والإشتباكات العديدة التي نشبت في هذه الديار ودور العلماء المسلمين فيها توصّلت الباحثة الى النتائج التالية :

- ولد العالم الكبير الشيخ زين الدّين المخدوم الكبير في السنة ١٤٦٦م وتوفي سنة ١٥٢١م
  - كان في السنة الثانية والثلاثين عند قدوم واسكودا غاما أوّل مرّة في كاليكوت سنة ١٤٩٨م
  - عاصر جميع القوّاد البرتغاليين البحريين أمثال واسكودا غاما ، وألوارس كبرال وجون دينيوا وألبكّرك و ألميدا .
  - شاهد جميع التطوّرات بما فيها الإشتباكات والإنتفاضات الشعبيّة ضدّ المستعمرين .
  - تعرّض مع الآخرين من المسلمين وغيرهم للإضطهادات من قبل البرتغاليين .
  - ساهم كتابه المشهور "تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان" في اضرام نيران الثورة الشعبيّة ضدّ البرتغاليين .

- كان وراء كافة الإنتفاضات الشعبيّة في أيّامه ضدّ الإستعمار والمستعمرين.

❖ ولد الشيخ زين الدّين المخدوم الصغير في السّنة ١٥٣٢م وتوفي سنة ١٥٨٤م

- كان معاصرا للإمراطور الموغلي الشهير أكبر
- وصل القائد البحريّ البرتغالي "نونودا كنها " في كاليكوت سنة ١٥٢٩م وشّيّد بناءا على تصريح من الملك الساموترى قلعة لهم في شاليات . عندما زاد نفودهم وكادوا يسيطرون على الملك الساموتري ومصالحه المختلفة حاصرها الملك بمساعدة الجيوش المسلمين واستولوا عليها استيلاءا تامّا حتّى حطموها برمّتها سنة ١٥٧١م .
- عاصر جميع هذه التطوّرات منذ البداية حتّى النّهاية بل استجاب لها بتقديم كافّة التشجيعات والتحريضات للمسلمين وحلفائهم .
- صوّر هذه التطوّرات كلّها بشكل رائع في كتاب له باسم تحفة المجاهدين الذي يعتبر أوّل وثيقة تاريخيّة في كيرلا .

❖ ولد القاضي محمد بن عبد العزيز سنة ٩٨٠هـ وتوفي سنة ١٠٢٥هـ.

- نظّم قصيدته الشهيرة "الفتح المبين للسامري الّذي يحب المسلمين" موضّحا فيها جميع التطوّرات التي أدّت الى فتح قلعة شاليات.
- ومن الواضح من الأبيات من ٢٤٤ الى ٢٥٢ في هذه القصيدة أنّ والده الشيخ عبد العزيز شارك مع بعض أعيان المسلمين في جلسة استشاريّة عقدتها والدة الملك الساموتري لإيجاد حلّ سريع في قضيّة قلعة شاليات .
- تناقل النّاس أبيات هذه المنظومة حتى دوّت في جميع أرجاء الهند .
- أشعلت أبيات هذه القصيدة نيران العداوة نحو الحكّام المستعمرين.

❖ ولد السّيد علوي المنفرمي سنة ١٧٥٣م وتوفي ١٨٤٥م .

- وصل في ربوع كيرلا سنة ١٧٧٠م وهو ابن سبعة عشر سنة بقي هنا حتى آخر حياته.
- خلال فترة حياته هنا وقعت معظم الثورات الشعبيّة ضدّ الإنجليزيين ولاسيّما ثورات المسلمين الأولى مثل:
  - ثورة آتنغّل (Attingal) (١٧٧٢)
  - ثورة ميسور (Mysore) (١٧٦٦ - ١٧٧٣)
  - ثورة بازاشي (Pazhassi)(١٧٩٣- ١٧٩٨)
  - ثورة المسلمين(مابلا)الأولى (١٨١٧)

- ثورة فنتّلّور (Pandallur) (١٨٣٦)
- ثورة متّجيرا (Muttichira) (١٨٤١)
- ثورة جيرور (Cherur) (١٨٤٣)

- كان له دور مهمّ في معظم هذه الثورات والإنتفاضات ما عدا ثورة آتّنغل .
- كان المناضل الشهير "أتّنموين كوريكّل" الذي شارك مع صحبه في ثورة بازشي من أقرب تلاميذ السّيّد علوي المنفرمي. وكان من أكثر المتحمّسين بإرشاداته وفتاواه الدينية.
- كان "كنجي أحمد كويا كوريكّل ابن المذكور و أونّيموسى موبّن الذي كان من أجداد الباحثة، وصديقه جيمبان بوكار الّذين قادوا الثّوّار على الإنجليزيين من أقرب مريدي السيّد علوي المنفرمي.
- كلّما يخرجون لمواجهة الأعداء كانوا يتّصلون بالسّيّد علوي المنفرمي ويتلقّون منه نصائحه القيّمة .
- وقعت ثورة موتيجّرا المشهورة سنة ١٨٤١م تحت قيادته المباشرة .قدّم فيها كافّة التأييدات والمساعدات الماديّة منها والرّوحيّة.

شارك في ثورة جيرور يقود الثّوّار وأبلى فيها بلاءا حسنا.

- أُصيب فيها بجروح قاتلة في إحدى فخذيه أودت بحياته بعد سنتين.
- فتاواه الواردة في كتيبة له باسم "السيف البتار" كانت المصدر الرّئيسي لقوى الثوّار الّذين يحاربون أعداءهم الإنجليزيين

❖ولد السيّد فضل فوكويا تنغال سنة ١٨٢٣م وتوفي سنة ١٩٠١م

- كان في طليعة الثورات الشعبيّة الكبرى التي نُشبت ضدّالمستعمرين الإنجليزيين أمثال :
  - ثورة منجيري(Mangeri) (١٨٤٩م)
  - ثورة كولتّور(Kulathur) (١٨٥١م)
  - ثورة متّنّور (Mattanur)(١٨٥٢م)
- كانت ثورة منجيري هي الثورة الأولى التي نُشبت بعد وصوله من الجزيرة العربيّة.
- كان حسين محي الدين كوريكّل وصديقه وكونجي كويا تنغال من أقرب مريديه الأوفياء . هما الّذان يقودان هذه الثورة حسب ارشاداته القيّمة.
- كانت ثورة كولوتّور التي جرت سنة ١٨٥١م ودامت أسبوعا بأكمله هي الثورة الثانية التي وقعت بكلّ التّمنيّات والتّبريكات من قبل السيّد فضل فوكويا تنغال.
- كانت ثورة متّنّور في سنة ١٨٥٢م هي الأخيرة التي نشبت في منطقة مليبار تحت تأثير السّيّد فضل فوكويا تنغال.

- كان لخطباته العديدة ولاسيّما أيّام الجمعة ومصنّفاته المختلفة تأثير كبير في إثارة العامة من النّاس ضدّ المستعمرين الإنجليزيين.
- يُعتبر كتابه "عدّة الأمراء" من أهمّ الكتب المصنّفة ضدّ الحكّام المستعمرين.

❖ ولد العالم الكبير فريكوتي مسليار سنة ١٨٧٦م وتوفي سنة ١٩٣٤م .

- كان من أكبر العلماء الّذين رأّسوا حركة الخلافة في تانور.
- كان عضوا من أعضاء حزب المؤتمر الهندي (Indian National Congress)وممن يرتدون الملابس المنسوجة محلّيا(Khadi) .
- اتّصل بمهاتماغاندي ومولانا شوكت علي مباشرا لحظة زيارتهما الى كاليكوت سنة ١٩٢٠م برفقه صديق له كونهي قادر.
- تلبية لنداء العالم السّياسي الكبير علي مسليار أسرع الى "تيرورنغادي " قائدا جمعا غفيرا من الطلبة والعامة من النّاس لمحاربة الإنجليزيين.
- عند انتهاء المعركة بانهزامه بقي مختفيا بنفسه فترة ثمّ اضطرّ لمغادرة دياره الى الجزيرة العربية حيث استغرق في النشاطات ضدّ الإستعمار حتّى وافاه أجله سنة ١٩٣٤م.

- كتابه الشهير "مهمّات المؤمنين "الّذي نُشر سنة ١٩٢١م كان محظورا من قبل الحكومة الإنجليزية باعتبارها مصدرَ كافة العناصر التي تُزعج الحكومة الإنجليزية ومصالحها المختلفة وتهدّد بكيانها في الأراضي الهنديّة.

***

الخاتمة

هذه الأطروحة ، وعنوانها **"الثورات الشّعبية ضدّ القوى الإستعماريّة: دراسة استكشافيّة عن دور العلماء المسلمين المليباريين كما تنعكس في الأعمال الأدبيّة العربيّة المختارة"** نتيجة محاولة متواضعة لإزالة الخفاء عن بعض الحقائق التّاريخيّة. وعلى الأخصّ عن دور المسلمين في منطقة مليبار ولاسيّما العلماء منهم في الثّورات الشّعبيّة التي دامت قرونا ضدّ المستعمرين البرتغاليين والإنجليزيين . ولو ألّفت كتب عديدة وكتبت مقالات مختلفة في اللّغات المحلّية و الإنجليزية والعربية في هذا الموضوع ،لم تذكر فيها أدوار علماء هذه المنطقة الاّ بقدر بسيط ولم أجريت فيهم دراسات مكثّفة .لقد أحدث عدم التركيز من قبل الباحثين على هذا الموضوع فراغا كبيرا في الكتب التاريخيّة . أمّا هذه المحاولة المتواضعة من قبل الباحثة فستكون كافية لسدّ هذا الفراغ الى حدّما . ولو أمكنت للباحثة ، خلال محاولاتها العديدة لتفقّد أخبار العلماء الذين لهم مساهمة كبرى في التطوّرات السّياسيّة ، العثور على عدد كبير من العلماء ، اختارت منهم ستّة من البارزين الّذين كان لهم نفود كبير في ذلك المجتمع بالإضافة الى ما لهم من المصنّفات القيّمة. ومن هؤلاء العلماء السّتة ثلاثة يمثّلون فترة الاستعمار البرتغالي والآخرون يمثّلون فترة الاستعمار الانجليزي .

وقد استطاعت للباحثة خلال دراساتها المستفيضة للإتيان بالعديد من النقاط العامّة التي تسلّط الضّوء على تاريخ مسلمي مليبار ومساهماتهم الكبرى في الكفاحات الشّعبية بالإضافة الى ما يسود في ذلك المجتمع المليباري من التعايش السلمي بين الأجناس والأديان المختلفة ولاسيّما بين المسلمين والهندوكيين . حاولت الباحثة لتصوير بعض الثّورات الشّعبيّة التي نشبت في كافة ارجاء المنطقة بإستدلال ما ورد في مصنّفات هؤلاء العلماء من الحقائق التاريخيّة .

لا تدّعي الباحثة بشموليّة هذه الأطروحة ، مع هذا تترك الأبواب مفتوحة أمام الطلبة لإجراء المزيد من الدراسات البحثيّة في جوانب هذا الموضوع المختلفة حتّى يتسنّى لهم ازالة العديد من الخفاء حول الحقائق التاريخية .

تختتم الباحثة راجية من المحسنين الكرام الإشارة الى ما وقعت في هذه الأطروحة من الزلل والأخطاء بروح الإخلاص والتقوى والله هو الّذي يكافئ من يشاء بغير حساب .

وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

***

المصادر والمراجع

الكتب العربيّة

1. عبد الغفور عبدالله القاسمي –المسلمون في كيرالا- مالابرم – 2000م
2. د . جمال الدين الفاروقي -،وعبد الرحمان المنغادي أعلام الأدب العربي في الهند–مكتبة الهدى – كاليكوت -2008
3. د. محي الدين الآلوائي – الدعوة الإسلامية وزتطوّرها في شبه القارة الهندية – دار القلم –دمشق -1986م
4. علّامة سيّدنا سليمان الندوى – العلاقات الهندية العربية –الناشر-شارع الجبلاية باالأوبرا-الجزيرة-القاهرة التاريخ 2008م
5. أبو الحسن على الندوي – الدوة الإسلاميّة في الهند وتطوّراتها – لكنو - 1990
6. ياقوت الحموي – معجم البلدان – دار صادر – بيروت – 1977م
7. زين الدين المخدوم الصغير – تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين – الناشر مكتبة الهدى –كاليكوت -1996م
8. د. جمال الدين الفاروقي – دراسات في الثقافة والحضارة – الناشر –مكتبة الهدى –كالكوت -2010م

9. د. ويران محي الدين الفاروقي – الشعر العربي في كيرلا مبدأ وتطوّره – كاليكوت -2003

10. د. أبوبكر محمد –مقاومة الإستعمار البرتغالى في مليبار – كاليكوت – 2007م

11. د ك.ك.ن.كرب ود/ن.اى.م عبد القادر – الأيديولوجيا والنضال :دراسة مسلمي مليبار –مركز المخطوطات –تربونترا-

12. حمزة جيلاكودن – تحفة المجاهدين وتحريض أهل مليبار – تحقيق وتعليق –الناشر-مكتبة الهدى -1996

13. د/ك ك ن كرب-الترجمة د/زهرابى ماتومال والأستاذ محمّد كنجاتودى-تراث مسلمي مليبار للبحوث والتنمية- كاليكوت

14. لعلاقات بين العرب والهند – مجلّة البشرى ولانجيري – أبو حسينة ،اتّحاد معلمي العربية –كيرلا 1974م

15. عبد الحي الحسني – نزهة الخواطر – حيدراباد -1382ه

16. زين الدين المخدوم الكبير – تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان – مكتبة الهدى –كاليكوت 1996م

17. مسعود الندوي – تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند –الناشر الدار العربية - 1987م

18. الأستاذ .عبد العزيز المنغادي – ترجمة –قصيدة فتح المبين – مكتبة الهدى –كاليكوت

19. مجلّة عربية سنوية "مليبار" تصدر عن قسم الغة العربية في كلّية السيد بوكويا التذكارية

20. شاكر محمود – التاريخ الإسلامي – (التاريخ المعاصرة القارة الهندية) المكتبة الإسلامي – بيروت – 1997م

21. محمد واضح رشيد الحسني – حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج الهندي – لكنو- الهند-2006

22. امرؤالقيس – معلّقة امرؤالقيس

23. مولانا المولوي عبد القادر الشيخ يوسف - جواهر الأشعار وغرائب الحكايات والأخبار- سى يم برس ترورنغادى

24. البشرى--مجلّة علميّة أدبيّة ثقافيّة1 - 25 كانون الثاني (يناير)1963م

25. علامة صديق حسن خان- فتح البيان فى مقاصد القرآن – الناشر- القاهرة-

26. رحلة ابن بطوطة – دار التراث – بيروت

27. المسعودي – مروج الذهب

28. زكريا القزنيني – آثار البلدان – أوربّا

29. جورجي زيدان – تاريخ آداب اللّغة العربية – المجلد الثالث- دار الهلال – القاهرة

30. السيّد علوي المنفرمى – السيف البتار على من يوالي الكفار

31. آمنمّانركتّ بريكتي مسليار – مهمّات المؤمنين- نسخة الكترونية –من مكتبة جامعة كاليكوت

الكتب الإنجليزية

1. Dr .Hussain Randathani – Mappila Muslims- A study of society and Anti-Colonial Struggle, Calicut –Other Books –Calicut -2007.
2. Stephen Frederic Dale - The Mappilas of Malabar -1498 -1922- Clarendon press –Oxford-1980
3. William Logan –Malabar Manual – Vol-1-Chaithram Publication – Trivandram -1981
4. Kalid Ahmad Nizami –On history and historians of Medival India – Munshiram Manoharlal publication pvt Ltd -1983
5. Arun Chandra Guha – India's struggle quarater of a centuary 1921-1946 –part –II- Publication Division –The central electrical press – Kamla Nagar –Delhi

6. DN JHA – Ancient India –In historical out line –Ajaykumar jain for Manchar publications –NewDelhi -1998
7. Dr CK Kareem -Kerala under Haidar Ali and Tippu Sulthan –Paico publication house-Eranakulam -1973
8. V.C Pandey,Ushattri,Pro:LN Mukarjee-Ancient India – Luknow -1985
9. MGS Narayanan, cultural Symbiosis, TVM,1972
10. A.Sreedhara Menon. Cultural Heritage of Kerala- an Introduction, East West publication, Cochin 1978
11. K.M Panikker.A History of Kerala 1498-1801, Annamalai university - Tamilnadu 1960
12. Dr Kareem- Kerala Mulsim history Statistics and Dictionary – vol –1.
13. Shankunny Menon A History of Travancore, Kottayam, 1962
14. Miller E Roland, Mappila Muslims of Kerala, Orient Longman 1976
15. Ibrahim Kunju A.P. Mappila Muslims of Kerala, their History and Culture,TVM 1989
16. KV.Krishna Ayyar The Zamorins of Calicut, Krishna chaithanya, Calicut -1938
17. Miller E Roland, Muslims Friends, Orient Longaman 2000

18. M.G.S., Narayanan. Perumals of Kerala, Calicut 1990

19. Kusuman. K.K. Issues in Kerala Historiography, International Center for Kerala Studies, University of Kerala, Trivandrum, Kerala,2003

20. The Malabar manual – William logan

21. VA. Kabeer Ahamed , Muslim Monuments in Kerala, velavoor, TVM 1987

22. Dr .A. Ubaid. Arabic Sources and History of Kerala, journal of Kerala studiesVoxxx 111. March, June, September, December, Dept.of History of Kerala 2006

23. The Encyclopaedia of Islam, Vol. VII, Newyork – 1993

24. Chad Tara, Influence of Islam on Indian Culture, Alahabad- 1976

25. Abul Hassan Ali Nadvi-Translation –Mohammed Asif Kidwai - Muslims in India – Acadamy of Research and publications –Luknow –India-1980

26. RC Majumdar – An Advanced History of India – macmillan Ltd 4th ed -1988

27. Ronald E .Miller –Mappila Muslims of Kerala –Orient Longman - 1976

28. KM .Panikkar –Ahistory of Kerala -1498-1801- Annamalai University –Thamilnadu-1960

29. AP .Ibrahim Kunju – Mappila Muslims of Kerala their history and culture –TVM-1989

الكتب الملیالمية

1. Parappil Mammed.P.P Kozhikotte Muslimgalude Charithram Calicut, 1994
2. Moin Hudavi Malayamma& Mahmood Panangagara, Mampuram . Thangal Geevitham, athmeeyatha, Porattam Annas Book Stall, Darul Huda Acadami, Malappuram 2009
3. Prof. K.M .Bahaudheen , Keralala Muslimkal Chruthunilpinte Charithram IPH .Calicut,1995
4. Elamkulam Kunjampillai, Keralacharithrathile Irrilu Adanja Edukal Thiruvananthapuram,1953
5. Elamkulam Kunjampillai, Annathekeralam. Thiruvananthapuram, 1969
6. KT Hussain –Kerala muslingal adhinivesha virudha porattathinte prathya shasthram –IPH-Calicut -2008

7. Malabar Kalapam 1921-smaranakalum padanangalum-60 th varshkakoshacommitty-2015
8. A.Shreedhara Menon – Kerala chariyhram –DC Books -1967
9. Faizee. P.M.K, Vaskodi gamayum Ibn Majidum, Poomkavanam Book StallCalicut, 2005
10. Gangadharan M, Mappila padanangal , Vachanam Books Calicut, 2004
11. Hamsa .C, Thufathul Mujahideen, Alhuda Book Stall. Calicut, 1995
12. Aboo jasim, Arabi Malayalathile Athulya Prathibakal, ISA Calicut,1999
13. Ali Mohammed Musliyar AP. Malayalathinte Maharathanmar, Irshad BookCalicut – 1997
14. Abdul Hassan .U.A, Ponani Makhdoom Charithram, Makdoomiya Book Stall Ponani 1996
15. PK Mohammed Kunji – Muslimeengalum Kerala samskaravum – Kerala Sahithya Academy – Thrissur- 1982
16. T Mohammed Velam – Thuhfathul Mugahideen Vazhiyum Vayanayum – IPH-Calicut -2012

17. Dr Hussain Randathani – Makhdoomum Ponnaniyum – Ponnani Juma Masjid Committee – 2010 August
18. Asgar Ali Engineer, Islamum Varthamana Kalavum, Olive Publication. Calicut -2004
19. Abdul Kadir Koduvalli, Kerala Muslimkalude Ulpathi, Tirurangadi,1998
20. Abdul Aziz Mankada, Fathuhul Mubeen (Tr) Calicut, 1995
21. Prof S.Achuthavarier- Kerala Samskaram- Kerala Bhasha Institute
22. IPH Publication, Islamika Vijnhana Kosham, Vol. 1 calicut 1995
23. Jamal Kochangadi, Kerala Samskarathile Athana Parathanangal, Vanchana Books, Calicut, 2006
24. Dr CKKareem- Pracheena Keralavum Muslim Avirbhavavum- ISA Calicut 1999
25. KKN Kurup & Poker.P.K, Mampuram Sayyid Fazal Pookiya Thangal: Adhinivesa Virudha Charithrathile Nitya Sanidyam, Chintha Publishers Thiruvananthapuram,2006
26. Kunhipaky.K.Muhammed Ali .P.K- India Charithram- Kerala Bhasha InstituteThiruvananthapuram, 2006

27. KKN Kurup.- Arakkal Rajavamsam- Poomkavanam Publications,Calicut 1998

28. Krishnan TV, Malabar Manual (mal) martibumi books, kottayam 2004

29. Kayyum abdul V, Prajeena Malabar, Kozhikode, 1954

30. Kunjan Pilla Elakulam, Kerala charithathila iruladanja Edukal, Kottayam,1953

31. Dr CK Kareem - Muslim Charithram Sthithivivarana Kanakk Dayaraktrym. Vol.1 chaithram publication-Edappally-1997

32. A ShreedharaMenon – India Charithram – DC Books -1971

33. Kunjan Pilla Elakulam, Annathe Keralam, National Bools, TV M,1969

34. P.K Muhammed Kunju - Islaminte agamanam Keralathil

35. Muhammed, P.V. History of Kerala, Kerala Basha Institute - 1969

36. Dr MGS Narayanan – Kozhikottu charithrathil ninn chila edukal – Pratheeksha- Kozhikode-2011

37. Muhammadali musliyar. A.P, Thufathul Mujahideen, Genius Books. Calicut-2006

38. Muhammadali Musliyar. A.P, Malayalathile Maharathanmar, Irshad Publication. Calicut

39. Muhammed Mattathu, Katubuzaman Mamburam Thangal Charithram, C.H. Muhammed & Sons. Tirurangadi, 1883

40. SaidMohammed P.A, Kerala Muslim Charithram. Al huda, Calicut, 1951

41. Muhammed Abdul Kareem. K.K, Arabikalude Kappalottam. Malappuram

42. Malayakeezh GopalaKrishnan – Keralam Loga charithrathilude- Kerala Basha Institute –

43. Muthukoya Thangal, Manburam Thangal – charithram , noorul islam press-Malappuram, 2000

44. CN Ahmad Moulavi & KK Mohammed Abdul Kareem Mahathaya Mappila Sahita Paramparyam- Asad Book stall- Calicut-1978

45. Mohammed, PA. Kerala Muslim Charithram, Kerala Basha Institute, TVM .

46. Abdulla Moulavi PP, Rihlathul muluk (tra) Thalassery 1987

47. Ibrahim FaizeePuthoor - Islam Keralathil. Malappuram, 1995

48. VelayudhanPanikkasheri- Keralacharithrapatanangal, Current Books
49. Parambikadavu. C.A, Sayyid Saikh Jifri, Jeeva Charithram, Arafa Books- Calicut, 1996
50. Velaudan. Panikkashery Sanjarikal Kanda Keralam. DC.Books, Kottaam-2001
51. Pilla, Madavan. Sampoorna Malayala Charithram, Kerala Basha Institute-1978
52. Balakrshnan Panikkar Mappila Sahithyavum Navavinghanavum, Uvatha book House, Calicut 2008
53. Raja .P.C.M, Samoothirimar, Poorna Publications. Calicut, 2007
54. Rahmathulla Saquafi, Keralathile Sayyid Kudumpangal. Calicut, 2006
55. Hussain Randathani - Mappila Malabar – Islamic Publishing Beuru. Calicut,2005
56. KMadhavan Nayar – Malabar Kalapam –Mathrubumi Books-1987
57. William Logan –Malabar Charithram – MathrubumiBooks
58. Zainudheen, Mappila Samarangalude Mathavum Rashtreeyavum, Poomkavanam publication. Calicut, 2006.

59. Ibrahim kunku.AP :Mappila Muslims of kerala their History and culture

60. C. Gopalan Nair- Malayalathila Mappilamar

61. Tharachand – The History of Freedom Movement in India.

62. KN Panikkar – Malabar Kalabam prabhuthvathinum Raja vazhchakkumethire – DC Books Kottayam -2007

63. Sayyid Muhammed PA , Kerala Muslim Charithram .

64. Pro. Abdul Khadar Koduvally - Kerala Muslimkalude Ulpathi .

65. I.P.H Prasidheekaranam Islamika viknjana Kosham .

66. C. Hamza, "In notes of translation of thuhfata-1- mujahidin." Al makhdum.

67. K.K Mhammed Abdul Kareem – Malabarile Rathnangal

68. T.B Selu Raj – Kozhikkodinte Paithrkam –Mathrubhumi -2011

69. Dr. Shamsulla Qadiri: Pracheena Malabar, Other Books, 2012

70. KT Hussain- Kerala muslingal adhinivesha virudha porattathinte prathya shahthram –Isla٣mic publishing house –Kozhikode-2008.

DECLARATION

I hereby declare that the thesis entitled **"The Popular Revolt against the Colonial Powers: An Exploration into the Role of Malabar Muslim Scholars as Reflected in Selected Arabic Literary Works"** ,submitted by me for the award of the Degree of Ph.D. in Arabic is a bonafide research work carried out by me under the supervision of Dr. **C.P Aboobacker**, Associate Professor and Head of the Department (Rtd), PG & Research Dept. of Arabic, Farook College, and no part thereof has been presented earlier , for any other Degree or Diploma.

Sakkeena MK

CERTIFICATE

This is to certify that this is the revised thesis entitled "**The Popular Revolt Against the Colonial Powers: An Exploration into the Role of Malabar Muslim Scholars as Reflected in Selected Arabic Literary Works** ", submitted by Mrs. SAKKEENA MK to University of Calicut. As per the corrections/suggestions from the adjudicators have been incorporated in this thesis.

Place:

Date:

Dr. CP ABOOBACKER

Research Guide and .Former Head,
P.G. & Research Dept. of Arabic
Farook College(Autonomous) Kozhikode

:

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled "**The Popular Revolt against the Colonial Powers: An Exploration into the Role of Malabar Muslim Scholars as Reflected in Selected Arabic Literary Works** "submitted to University of Calicut for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Literature is a bonafied record of the research work carried out by **Sakkeena MK** under my supervision and guidance . No part of this thesis has been submitted earlier for any degree or diploma in any University.

Date:

Dr.C.P.Aboobacker
Research Guide,
PG and Research Dept of Arabic,
Farook College

The Popular Revolt Against the Colonial Powers:

An Exploration into the Role of Malabar Muslim Scholars as Reflected in Selected Arabic Literary Works

(Revised copy)

The Thesis is submitted to the University of Calicut
For award of the degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

By

SAKKEENA MK

Under the supervision and guidance of

Dr. C.P ABOOBACKER

Research Guide and Former Head,
P.G. Teaching and Research Department of Arabic
FAROOK COLLEGE (Autonomous)

Co-Guide: Dr. SAJITH .E.K
Assistant Professor,
Department of Arabic, Farook College

University of Calicut, Kerala, India
www.universityofcalicut.info
2019